سلسلة الرسائل الصوفية - الرسالة الثانية

القولُ المعروف في الرد على من أنكر التصوف

للأستاذ الأجل
سيدي أحمد بن مصطفى العلوي
رضي الله عنه



تحقيق وتعليق
عبد الله محمد عكور
كان الله له

تقديم الدكتور
أمين يوسف عودة
جامعة آل البيت- الأردن

القولُ المعروف
في الرد على من أنكر التصوف

سلسلة الرسائل الصوفية – الرسالة الثانية

القولُ المعروف
في الرد على من أنكر التصوف

للأستاذ الأجل

سيدي أحمد بن مصطفى العلوي

رضي الله عنه

تحقيق وتعليق

عبد الله محمد عكور

كان الله له

تقديم الدكتور

أمين يوسف عودة

جامعة آل البيت– الأردن

عالم الكتب الحديث

Modern Books' World

إربد– الأردن

٢٠١١

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م

٢١٩

القول المعروف في الرد على من أنكر التصوف/ أحمد مصطفى العلوي؛ تحقيق: عبدالله محمد عكور.- إربد: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ٢٠١١.

(   ) ص. (سلسلة الرسائل العلوية، ٢)

ر. إ.: (٢٤٩٣ / ٧ / ٢٠١٠)

الواصفات:/ التصوف الإسلامي//نظريات التصوف/

*يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN ٩٧٨-٩٩٥٧-٧٠-٤٢٧

عالم الكتب الحديث
Modern Book Wo
للنشر والتوزيع

الفرع الأول

إربد- شارع الجامعة- بجانب البنك الإسلامي

تلفون: (٢٧٢٧٢٢٧٢- ٠٠٩٦٢) خلوي: ٠٧٩ /٥٢٦٤٣٦٣ فاكس: ٢٧٢٦٩٩٠٩- ٠٠٩٦٢

صندوق البريد: (٣٤٦٩) - الرمزي البريدي: (٢١١١٠)

البريد الإلكتروني almalktob@yahoo.com
almalktob@hotmail.com
almalktob@gmail.com

الموقع الإلكتروني: www.almalkotob.com

الفرع الثاني

جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع

الأردن- العبدلي- عمان- تلفون: ٠٧٩ /٥٢٦٤٣٦٣

مكتب بيروت

روضة الغدير- بناية بزي- هاتف: ٠٠٩٦١ ١ ٤٧١٣٥٧ فاكس: ٠٠٩٦١ ١ ٤٧٥٩٠٥

الفهرس

الموضوع	الصفحة

حلفَ الزمانُ لَيأتينَ بمثله   حنثتْ يمينُك يا زمانُ فكفّرِ

تقديم

بقلم الدكتور أمين يوسف عودة

جامعة آل البيت/ الأردن

الحمد لله ربّ العالمين، اللهم صلّ على سيدنا محمّد صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنّا، وعلى الآل والصحب الكرام.

فالتصوّف ركن من أركان الدين الإسلاميّ، وهو ركن الإحسان الثالث بعد ركني الإسلام والإيمان. ويختصّ بتحقيق هذا الركن أهل الله تعالى وخاصّته، ذوو الهمم القويّة العالية، والقلوب السليمة الصافية، أولئك الذين يرتقون بإيمانهم ويقينهم من مراتب التقليد والتوريث، إلى مراتب اليقين والإيمان عن شهود وذوق وعيان، وهو المراد الحقيقي من الدين وعباداته وشرائعه.

وفضلا عن ذلك، يمثل التصوّف وجه الإسلام التربويّ والسلوكيّ والأخلاقيّ والروحيّ والمعرفيّ، انطلاقًا من تعاليم القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة، وأحوال الرسول الأعظم، صلّى الله عليه وآله وسلّم، وصحابته الكرام، رضوان الله عليهم، والتابعين من بعدهم بإحسان إلى يوم الدين. وإذا أردنا أن نجمل مفهوم التصوّف في كلمات، أجملناه في ثلاث هي: التخلّي والتحلّي والتجلّي؛ فالتخلّي هو أن يتخلّى المرء عن الأخلاق الدنيّة، والتحلّي أن يتحلّى بالأخلاق السنية، والتلبّس بسلوك التخلّي والتحلّي تلبّسًا حقيقيًّا هو ما يشكّل حقيقة التقوى وفحواها. وأمّا التجلّي فهو المعارف التي يتجلّى بها الحقّ تعالى لعباده المحبّين المخلَصين ذوي القلوب السليمة، ويمنّ بها عليهم جرّاء صدقهم في

التوجّه والطلب، وإخلاصهم في العبادة والنّصَب، فلا يتركهم لأنفسهم، وإنّما يتولاهم بالتربية والتزكية والتعليم، والتحقّق بالحقائق الإيمانية والإحسانية والمعاني القرآنية والنبوية على مراد الله تعالى، لا على منازعات الظنّ والتخمين والهوى، وهي خلاصة المعرفة بالله تعالى من عين اليقين وحقّه، التي هي ثمرة التقوى وحقيقتها. يقول تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. ويقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ [الأنفال: ٢٩] أي فرقانًا يفرق به بين الحقّ الباطل، وهو النور والهداية.

على أنّ التصوّف ابتُلي بآفات، منها ما هو من داخله، ومنها ما هو من خارجه. فأمّا التي من داخله فهو فيما يمارسه بعض المتسببين إلى التصوّف، وهم في الحقيقة ليسوا من أهله، فهؤلاء مدّعون وبطّالون وكذبة. وثمّة من ينتسب إليهم بخلوص نيّة، وصدق توجّه، لكنّه قد يصادف شيئًا من البدع التي تمارسها بعض الطرق الصوفية، فيجري في مجراها ويسير في ركابها، وهو يظنّ أنّها من الدين وهي ليست كذلك. وليس على الله بعزيز أن يمنّ على هؤلاء بنور هدايته، فينقلهم من مظانّ البدع إلى موطن الاتّباع والحقّ والهدى؛ لخلوص نواياهم وصدق توجهاتهم. وأمّا التي من خارجه، فقوم عميت بصائرهم عن إدراك الحقّ الأبلج ومعرفة أهله، ورأوا في التصوّف الذي هو الركن الإحساني من الدين، بدعة ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، وأخذوا يطعنون على التصوّف وأهله الأتقياء الأنقياء، ويصوّرونه بعقولهم القاصرة المنحرفة على أنّه بدعة، ويستدلّون باستدلالات سقيمة ملتوية على ما يتوهّمون

أنّه ليس من الدين باسم الدين، وهم يدركون أو لا يدركون أنّهم يطعنون بركن شديد متأصّل في جوهر الدين الإسلامي، وهو الركن الذي يجعله حيًا صورة ومعنًى وروحًا في العقول والجوارح والقلوب، وهو الركن المؤهّل لأن يغيّر النفوس الأمّارة بالسوء إلى نفوس لوّامة، ثمّ إلى نفوس راضية مرضيّة ملهمة، تنطق بالحقّ وتعمل به، وتشيع الفضيلة والأخلاق المرضية في المجتمع، وتخرج الأناسيّ من ظلمات النفوس الشهوانيّة، وعبوديات الصور الكونيّة، إلى نورانيّة الحقّ المتجلّي في الوجود، والتعبّد لله تعالى الواحد المعبود.

ولمّا استشرى أمر هؤلاء الذين طمس الله على بصائرهم ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] وتطايرت فتنهم في الشرق والغرب، وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعًا- كان لزامًا على أولياء الله تعالى المستمسكين بكتاب الله الكريم وسنّة نبيّه صلوات الله تعالى وسلامه عليه وآله والعاملين بهما، أن يبادروا إلى الوقوف في وجه هذه القوّة العاتية التي تهدف، واعية أو غير واعية، إلى النيل من ركن سامٍ من أركان الدين الذي هو ركن الإحسان، الذي تجلّى سلوكًا في ما اصطُلح عليه بالتصوّف منذ مطلع القرن الثاني الهجريّ.

وقد قام نفر من أجلّة العلماء الغيورين على الدين، ببيان تهافت آراء هذه العصبة التي تعصّبت لآرائها تعصّبًا أعماها عن رؤية الحقّ الصريح الواضح في آراء غيرهم. وعندما يصرّ المرء على أن يصمّ أذنيه عن سماع الحقّ إذا كان عند غيره، ويكفّ بصره عن رؤيته، عندئذٍ يكون تعصّبه تعصّبًا للنفس والهوى، لا تعصّبًا للحقّ والهدى. ولو أنّا فرضنا

فـيهم الترفّـع عـن الأهواء ومكائد النفوس الخفيّة، وأنّ ما يرونه من رأي يـصدر عن سعي صادق لإصابة الحقّ، فلِمَ هذا التعصّب المقيت للرأي!؟ ولِمَ الإصـرار على أنّه هو الرأي الصواب، وأنّ غيره ما دام مخالفًا لهم فهو خطـأ !؟ أليس في هذا ادّعاء بامتلاك الصواب المطلق، ولا يكون ذلك إلا لله تعـالى!؟ وليـتهم اطّلعـوا علـى حال الإمام المحقّق الفخر الرازي، وقد رئـي مـرّة وهـو يبكـي، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: مسألة أعتَقِدُ صحّتها بالدلـيل والـبرهان مـنذ ثلاثـين سـنة، والآن ظهـر لـي بالدلـيل النظـريّ والبرهان أنّها خطأ، وما يدريني أنّ الذي ظهر لي الآن ربّما يظهر لي بعد سنين أنّه خطأ، وما أنا على ثقة من نفسي، هل أموت على الخطأ أو على الصواب؟

من بين العلماء المربّين الذين سارعوا إلى إظهار حقائق التصوّف المـستقاة مـن القـرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة، والتعبّد لله تعالى من مـراتب الإحـسان ومقاماته، والردّ ببيان علمي هادئ ورصين وبليغ على دعـاوى التـبديع والتشنيع التي رُمي بها أولياء الله، الأستاذ الشيخ الجليل الحـاجّ أحمـد بـن مـصطفى العلـويّ المـستغانميّ، رضـي الله تعالى عنه، في رسـالتين مباركـتين مهمّتين، الأولى بعنوان: "الناصر معروف في الذبّ عن مجـد التصوّف" وهي في الأصل مقالات نُشرت في صحيفة البلاغ الجزائرية بإمضاء "الناصر معروف" ردًا على المدرّس بالحرم النبويّ الشريف في حينه، وكـان كـتب بمجلّـة الـشهاب، العـدد (١٧٤) كتابات تنكر التصوّف من أصـله، وتحطّ من قدر أهله. والرسالة الأخرى بعنوان: "القول المعروف في الـردّ علـى مـن أنكـر التـصوّف" كتـبها ردًا علـى الشيخ عثمان بن المكي المـدرس بمدينة تونس آنذاك، وكان هذا كتب رسالة بعنوان: "المرآة لإظهار

الضلالات رمى فيها أولياء الحقّ ومذهب الصوفيّة بالضلالات زورًا وبهتانًا.

ورسالة الأستاذ العلويّ الثانية تنحو نحو الرسالة الأولى في الدفاع عن التصوّف الحقّ وأهله الأخيار، وبيان أصالته في الإسلام، وضرورة سلوكه وممارسته؛ لأنّه من متمّمات الدين، وهو المكمّل لفقه الجوارح. ولعلّ خير كلمة عبّرت عن تعاضد فقه الجوارح وفقه القلوب الذي هو التصوّف، الكلمة التي تنسب إلى الإمام مالك رضي الله عنه: "من تفقّه ولم يتصوّف فقد تفسّق، ومن تصوّف ولم يتفقّه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقّق". وعلى المعنى نفسه دندن الشافعي، رضي الله عنه، في قوله:

فقيهًا صوفيًّا فَكُنْ وليس واحدًا ... فإنّي وحقّ الله إيّاك أنصَحُ
فذلك قاسٍ ولم يذقْ قلبُه تُقًى ... وهذا جهولٌ كيف ذو الجهلِ يَصْلُحُ

ومن الموضوعات التي عرض لها الأستاذ العلويّ في هذه الرسالة، بعد أن أوضح غير قليل من المقدّمات الضرورية المتعلّقة بها: سند التلقين الصوفي، والجهر بالذكر والاجتماع عليه، وأولياء الطريق الصوفيّ، والبدعة وأحكامها، والردّ على القول بأنّ مذهب التصوّف بطالة، والسماع، والذكر، والاحتفال بالمولد النبويّ الشريف، وسوى ذلك من موضوعات ينبغي لكلّ مسلم حريص على سلامة دينه، وصحّة معتقده أن يطّلع عليها، ويتّخذ الموقف الحقّ منها.

وممّا يثلج صدر الناظر في هاتين الرسالتين، أنّ الأستاذ الأجلّ العلويّ، وقف على الموضوعات الرئيسة التي هي مناط النزاع أخذًا وردًّا بين الفريقين، وقفة مستأنية مستبصرة، حاور فيها الخصم حوارًا علميًّا

رصينًا، وساق أقوال فحول علماء السلف المتقدّمين والمتأخّرين في حقيقة التصوّف والصوفيّة، وانتهى إلى إبطال دعاوى المنتقدين، وإلى بيان الخلل الظاهر في مناهجهم وحججهم وطرائق استدلالهم ونتائجهم.

ومن وفرة الحظّ السعيد، أن هيّأ الله تعالى لهاتين الرسالتين المباركتين، الأخ المكرّم الشيخ عبد الله محمد العكور، الذي قام بتحقيقهما وإخراجهما وفق مناهج التحقيق المتداولة، فقدّم للرسالتين بمقدّمات ضافية، بيّن فيها ظروف تأليف الرسالتين، وتحدّث عنهما مخطوطتين، وعرض لحياة المؤلّف وتصوّفه وعلومه ومؤلّفاته وتأسيسه الطريقة العلويّة، وبيّن نشاط الشيخ ونشاط المنتسبين إلى طريقته في الدعوة إلى الله تعالى، ونشر العلم الشرعيّ، وخدمة المسلمين، ومناهضة الاستعمار الفرنسيّ. وقام بتصحيح ما اكتنف بعض كلمات المتن من التصحيف والتحريف، وشرح ما يستوجب الشرح من مفردات ومصطلحات، وترجم للأعلام، وخرّج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة. فجزاه الله تعالى خير الجزاء عن الإسلام والمسلمين عامّة، وعن أهل النسبة خاصّة. وأسأله تعالى أن يهدينا جميعًا إلى الوقوف على الحقّ والصواب، وأن يؤتينا الحكمة وفصل الخطاب. والحمد لله أولا وآخرًا، وصلّى الله تعالى على سيدنا محمّد وعلى الآل والأصحاب والأحباب، صلاة تُرضيه ويَرضى بها عنّا ربُّنا الكريم الوهّاب.

د. امين يوسف عودة

الثلاثاء ١٤ رمضان المبارك ١٤٣١هـ

الموافق ٢٤/٨/ ٢٠١٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

أما بعد: فهذه الرسالة الثانية من سلسلة الرسائل العلوية، وهي سلسلة تعنى بتحقيق تراث الشيخ الأجل المجدد للقرن الرابع عشر الهجري، سيدي أحمد بن مصطفى العلوي المستغانمي، وهذا الكتاب في موضوعه مكمل لما قبله وهو {الناصر معروف في الذب عن مجد التصوف} ومناسبتهما متشابهة إن لم نقل واحدة، فالكتاب الأول رد فيه على المدرس بالحرم النبوي الشريف والذي كان معاصرا للمؤلف، حيث أنكر هذا المذهب من أصله، وصرح بمقاله الذي نشره في جريدة الشهاب العدد (١٧٤) بأن الجنيد وعصابته كانوا أقل رتبة من الخوارج (كَبُرَتْ كَلِمةً تَخْرُجُ مِنْ أفْوَاهِهِم إنْ يَقُولُونَ إلاَّ كَذِباً) معتمدا على كتاب بلي وأكلته أرضة الهجر، قال عنه العلماء بأنه مما لبّس به إبليس على مؤلفه، فهو كتاب ساقط علميا، مردود من قبل العلماء لأنه لم يترك فئة من فئات المسلمين إلا وطعن فيها، فقام الشيخ رحمه الله بالرد عليه بجريدة أخرى وهي صحيفة {البلاغ} الجزائرية تحت العدد (٢٧٨) تاريخ ١١/١١/١٩٣٢م وما يليه، التي كانت تصدر خلال الحكم الفرنسي للجزائر، وهذا الكتاب هو (القول المعروف في الرد على من أنكر التصوف) رد فيه على الشيخ المحكي عثمان بن المكي المدرس بمدينة تونس بجامعها الأعظم، حيث جمع جملاً من كلام أعداء التصوف، ولفق جملاً أخر زورا ونسبها لبعض العلماء وجمعها في كتاب وبعث به إلى الشيخ رحمه الله، عاب فيه

على الصوفية ما يفعلونه من الاجتماع لذكر الله، وإنكار الاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف واتخاذ سبحة للذكر وغير ذلك، فرد عليه الشيخ بهذا الكتاب، فهما رد على شرذمة الباطل التي نصبها الشيطان للتعرض لأولياء الله في كل عصر، وهكذا هو صراع الحق والباطل من لدن أبينا آدم عليه الصلاة والسلام في الجنة قبل أن يهبط إلى الأرض، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ليميز الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم، ولكن لا بد لمن له ملكة المقال أو الكتابة من الدفاع عن سياج هذا الدين بأي وسيلة كانت، وهكذا وجدنا أستاذنا حجة الله على أهل عصره سيدي العلوي الشريف ذي النسب الروحي والجسمي، قد حطم بما آتاه الله من بيان، معاول الشر وجعلها في صدور أبنائها، ورد سهام المارقين إلى نحورهم، فجزاه الله عن أهل النسبة خير الجزاء، وأخلف الله على هذه الأمة من يقوم مقامه.

هذا الكتاب

حصلت على مخطوطة لهذا الكتاب مصورة منذ أكثر من خمسة وعشرين عاما، وقرأتها ثم قرأتها، وأنا أقدم رجلاً وأؤخر أخرى في تحقيقه، وكلما أقدمت على هذا العمل أشعر وكأني أخوض غمار بحر لا ساحل له، وتهيبت منه، ومن مثلي حتى يحقق كتاباً لمثل الشيخ العلوي الذي بحق أقول: إنه أعلى وأجلُّ من أن يعرف به واحد مثلي، وبدأت بتحقيق كتاب الناصر معروف، وما أن كتبت فيه المقدمة حتى شرفني الله برؤية سيدي أحمد العلوي مؤلف الكتاب، فعلمت أن ذلك إذن من الله تعالى، وأنه لا بد لتلامذة الشيخ أن ينشروا تراث شيخهم لتعم فائدته، ويسر الله الأمر وما مضت مدة وجيزة حتى أنهيت التحقيق بدون صعوبات، وهذه علامة التيسير والمدد، وقمت بعرضه على ثلة من العلماء فأبدوا إعجابهم بهذا الجهد، وكل ذلك ولا شك مدد الله تعالى الذي أكرمني به بخدمتي أشياخي حشرني الله في سلكهم ولا باعد بي عن مشربهم دنيا وأخرى.

فجدير بأبناء العصر أن يقرءوا هذا الكتاب مرات ومرات، ويقتنوه ويجعلوه في مكتباتهم، ليكون لهم نبراساً يستنيرون بنوره في ظلمة البدع التي خيم ظلامها في كل مكان.

حياة المؤلِّف

هو أبو العباس سيدي أحمد بن مصطفى العلوي بن محمد بن أحمد المعروف بأبي شنتوف والملقب بمدبوغ الجبهة بن الحاج علي المعروف عند العامة بابن عليوة.

ولد شيخنا عام ١٢٩١هـ وحيداً بين أختين، فاعتنى الأب به غاية وسعه، وأخذ يغذوه بـما أنعم الله به عليه، وكعادة كل أب اعتنى بولده وعمل جهده فـي تربيته على أحسن حال، وعلمه القرآن فتركه حتى وصل سورة الرحمن، ثم فارقه ليلبي نداء ربه، وعمر ولده سبعة عشر عاما.

دفعت ظروف الحياة السيد العلوي إلى العمل من أجل نفسه ووالدته، ولكن فـي نفس الوقت لم ينس حظه من العلم والتثقيف والتكوين، فكان يقصد المساجد من أجل طلب العلم مساء مدفوعاً برغبة جامحة فـي القراءة والحفظ، وكان يساعد على تحقيق هذا التطلع ما وهبه الله تعالى من قريحة وقّادة واستعداد تام لتلقي العلم، واستمر على ذلك النهج إلى أن حصلت له ملكة الفهم والقدرة على الاستفادة مما يقرأ، فأصبحت القراءة شغله الشاغل يشتغل به وحده ومع أحبابه، وهذا الجموح لحو القراءة والمذاكرة دفعه لتحويل بيته ليلاً منتدى للمذاكرة العلمية، والقراءة المفـيدة وطلب المزيد عن طريق الحوار والنقاش بين المجتمعين.

تصوفه

إذا أراد الله تعالى شيئا هيأ له أسبابه، فيحكي لنا العارف بالله سيدي أحمد العلوي سبب دخوله في طريق القوم واتجاهه نحو التصوف، والذي أصبح فيما بعد من ساداتهم هو اتصاله بالعارف بالله سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي المعروف {بسيدي حمّو} المستغانمي منشأ ودارا، الدرقاوي نسبة ومشربا، فقال له: بلغني أنك تأخذ الحية ولا تخشى من لسعها، فقلت له: نعم هكذا كنت، قال لي: هل يمكنك الآن أن تأتيني بواحدة فتأخذها بحضرتنا؟ قلت: نعم متيسر، وذهبت إلى خارج البلد وبعد ما مرّ نصف يوم لم أجد إلا واحدة صغيرة الجرم يقرب طولها من نصف ذراع، فجئته بها ووضعتها بين يديه وأخذت أقلبها كما هي عادتي وهو ينظر رضي الله عنه إلى ذلك، ثم قال لي: هل تستطيع أن تأخذ غير هاته الحية مما هي أكبر منها جرما؟ فقلت له: إنها عندي على السواء، فقال لي: ها أنا أدلك على واحدة أكبر وأشد منها بأسا، فإن أمسكتها فأنت الحكيم، فقلت له: فأين هي؟ فقال لي: هي نفسك التي بين جنبيك، فإن سمها أشد من سم الحية، فإن أمسكتها وتصرفت فيها فأنت الحكيم، ثم قال لي: اذهب فافعل بهاته الحية ما هي عادتك أن تفعل بها ولا تعد لمثل هذا، فخرجت من عنده وأنا أتخيل في شأن النفس وكيف يكون سمها أشد بأساً من سُم الحية.

فكانت هاته الكلمة بمثابة جمرة أوقدت في قلب السيد أحمد العلوي رضي الله عنه، وهكذا راض نفسه بأنواع الرياضات على طريقة الصوفية بمخالفته نفسه وإخراجها عن مألوفاتها، وأخذ يذكر الله تعالى

غالب الوقت، حتى صار إذا جلس للذكر يهتز جميع بدنه من شدة الذكر وتفاعله معه، إلى أن فتح الله عليه وطرقه الحال الذي يطرق القوم، نفعنا الله به في الدنيا والآخرة آمين.

تأسيسه للطريقة العلوية

والطريقة العلوية هي امتداد للطرق الموصلة إلى الله تعالى، والتي كانت في العالم الإسلامي منذ البعثة المحمدية، وهدفها هو التربية والتزكية لهذه النفس الأمارة بالسوء، وإجبارها على التخلق بالأخلاق النبوية العظيمة، ودلالة الناس على هذا الطريق الحق وإفراد الله تعالى بالعبادة والقصد، وعدم إشراك غيره في نية العبادة، وتأسيس هذه الطريق في المغرب العربي كان على يد الشيخ العلوي رضوان الله تعالى عليه عام (١٣٣٣هـ) بعد انتقال شيخه إلى جوار ربه.

كان الشيخ العلوي ذا علم غزير وحجة قوية وعزيمة نافذة، كما كان يتمتع بشخصية قيادية، حتى صار يشار إليه بالبنان، ولكن الشيخ البوزيدي انتقل إلى الله ولم يستخلفه، تاركاً ذلك إلى الله تعالى قائلاً: إنما مثلي كمثل رجل أستقر في دار لصاحبها، ولما أراد الخروج أرجع مفاتيحها إلى صاحبها وهو أدرى بمن يليق متصرفاً بداره. ولكن أتباع الشيخ البوزيدي أجمعوا على تقديم العلوي بعد وفاة أستاذهم، حيث اتفقوا على أن يكون هو المقدم فيهم وخليفة الشيخ بإلهام من الله تعالى، فقال أحدهم في اجتماعهم في زاوية الشيخ: يا فقراء، من رأى منكم رؤيا فليقصها في الاجتماع القادم، فانفض الاجتماع على ذلك، وما تم الأجل المضروب حتى ما من رؤيا إلا وتشير إلى الشيخ العلوي، فقام

بحمل لواء الطريق التي رسمها شيخه والأشياخ من قبله بكل جد وحزم، حتى صارت الطريقة علماً عليه، ولم تزل تسمى باسمه إلى يومنا هذا.

سندُ طريقهِ

وسند الطريقة العلوية متصل اتصالاً روحانياً بسيد الوجود ﷺ وضعه الشيخ العلوي نفسه وقد نقلناه عنه بالنص:

ولما كان مشربُ القوم ـ رضوان الله عليهم ـ أبلغَ المشارب في التحقيق وأسنى المدارج في التدقيق، تعين على كل منتسب إليهم أن يحقق مستنده على الوجه الأحق، لأن الحقائق لا تؤخذ من كل ذي دعوة إلا بعد تحقق انتسابه على الوجه الأكمل كما ستراه ـ إن شاء الله ـ في هذه السلسلة المرتبطة خلفاً عن سلف إلى الرسول ﷺ من غير ريبة ولا أدنى شبهة في درة من دررها، فالمتمسك بالفرع آخذ بالأصل مهما تحقق الاتصال إلى أن قال: وللمقتصر أن يقتصر على الجهة العليا من الصحيفة لأنها أولى بالتحفظ، وهي في طريقنا حسبما بلغنا وتلقيناه من ذروة مجدهم وثمرة غرسهم، ذي الأخلاق الطيبة والأسرار العجيبة سيدنا ومولانا محمد بن الحبيب البوزيدي الشريف المستغانمي طيب الله مثواه وجعل الحضرة العلية منزله ومأواه، فعنه رضي الله عنه أخذنا ولقننا وأذن لنا فجزاه الله بما هو أهله، وهو أخذها عن أستاذه أبي المواهب سيدي محمد بن قدور الوكيلي، عن سيدنا محمد بن عبد القادر الباشا، عن سيدي أبي يعزى المهاجي، وهما عن سيدي مولاي العربي بن احمد الدرقاوي، عن سيدي علي الجمل، عن سيدي العربي بن عبد الله، عن سيدي أحمد بن عبد الله، عن سيدي قاسم الخصاصي، عن سيدي محمد

بن عبد الله، عن سيدي عبد الرحمن الفاسي، عن سيدي يوسف الفاسي، عن سيدي عبد الرحمن المجذوب، عن سيدي علي الصنهاجي، عن سيدي إبراهيم الفحام، عن سيدي أحمد زروق الفاسي، عن سيدي أحمد الحضرمي، عن سيدي يحي القادري، عن سيدي علي بن وفا، عن أبيه سيدي محمد وفا، عن سيدي داود الباخلي، عن سيدي أحمد بن عطاء الله، عن سيدي أبي العباس المرسي، عن سيدي أبي الحسن الشاذلي، عن سيدي عبد السلام بن مشيش، عن سيدي عبد الرحمن العطار الزيات، عن سيدي تقي الدين الفُقَيْر (بالتصغير فيهما) عن سيدي فخر الدين، عن سيدي نورالدين أبي الحسن علي، عن سيدي محمد تاج الدين، عن سيدي محمد شمس الدين، عن سيدي زين الدين القزويني، عن سيدي إبراهيم البصري، عن سيدي أحمد المرواني، عن سيدي سعد، عن سيدي فتح السعود، عن سيدي سعيد الغزواني، عن سيدي أبي محمد جابر، عن سيدي الحسن بن علي، عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه، عن سيد المرسلين سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

اتصال المحقق بهذا النسب الشريف

وتحدثاً بنعمة الله تعالى وتبركاً بهذه السلسلة الذهبية الشريفة المباركة أذكر سند اتصالي بها، فقد أخذت الطريق عن سيدي الشريف الحسيني القطب عبد الكريم بن سليم المومني الجنيدي رضي الله عنه، عن الفقيه علامة عصره الشيخ محمد سعيد الكردي، عن سيدي القطب

محمد بن أحمد بن الهاشمي التلمساني، عن سيدنا الإمام أحمد العلوي رضي الله عن جميعهم، وخرطنا في سلكهم ورزقنا محبتهم وشفاعتهم:

لي سادة من عزهم أقدامهم فوق الجباه
إن لم أكن منهم فلي في حبهم عز وجاه

طريقته في الإرشاد

عاش الشيخ العلوي في زمنٍ استولى فيه الاستعمار الفرنسي على الجزائر، ولم يألُ الاستعمارُ جهداً في سلخ الشعب الجزائري عن هُويته العربية، ودينه الإسلام، فأراد العلوي أن يُبقي على الشعب هذه الهوية، وهذا الدين، فسار في خطين:

الأول: على الصعيد الداخلي.

الثاني: على الصعيد الخارجي.

أما على الصعيد الداخلي، فكان نشاطه داخل الزاوية وخارجها، أما داخل الزاوية فكان إذا أتاه المريد لقنه التوبة، ثم يأمره بقراءة أوراد الطريقة من الأذكار الواردة في السنة وهي؛ كلمة التوحيد، والصلاة على النبي ﷺ والاستغفار، ثم يأمره بمداومة الذكر في خلوته، ويعلمه ما يحتاجه من علم العقيدة والفقه، ويأمره بملازمة حضور مجالس العلم، حتى لا يمضي عليه مدة وجيزة إلا وقد تخرج عالماً من عند شيخه، وهكذا، فأقبل الناس عليه ونهلوا من علمه، حتى صاروا يُعدّون أكثر من مليون مريد خلال خمسة من الأعوام، وانتشرت زواياه في أنحاء الجزائر

كافة، وذلك حركة معاكسة لقوى الشر المتمثلة فـي الاستعمار، فتيقظ الشعب لذلك، وتـمسك بأهداب دينه الحنيف، وصار أتباعه دعاة داخل الجزائر وخارجها.

وأما نشاطه خارج الزاوية فقد سار فـي عدة خطوط أهمها:

- استعمال الإعلام من أجل توصيل الثقافة الإسلامية لكل بيت فـي الجزائر، والتحذير من خطر الاستعمار، فأنشأ صحفاً محلية كانت تطبع باللغتين العربية والفرنسية، فأنشأ صحيفة {البلاغ} وبعد سنوات أمرت السلطات الفرنسية بإغلاقها، ثم أنشأ صحيفة {المرشد} وبعد مدة وجيزة أمرت السلطات الفرنسية بإغلاقها لما رأته فـيها من خطر ضدها، ثم أنشأ خليفته الشيخ عدة بن تونس صحيفة {لسان الدين}.
- إقامة المؤتـمرات والندوات الدينية فـي كافه أرجاء الجزائر.
- إرسال المعلمين والمتخرجين فـي زواياه إلى مدن الجزائر ليعلموا الناس.
- إنشاء الزوايا فـي مدن الجزائر المختلفة، والتي كانت تشكل صروحاً دينية تعليمية وإرشادية للناس.
- إصدار العديد من المؤلفات وتعميمها على الناس، وقد عمت هذه الكتب مدن الجزائر وما حولها كافة، وكانت مكتوبة بأسلوب محبب للقارئ فلا تُمل، وقد كانت تترجم شخصية الأستاذ وأدبه وأخلاقه وعلمه، فلا يسع القارئ إلا أن يشد الرحال ليحظى برؤية هذا العالم الجليل.

❁ القيام بالزيارات الجماعية لكثير من المدن، يرافقه فيها أتباعه وعدد من رجال الصحافة لتغطية برنامج الزيارة، والهدف من ذلك إيصال دعوة الإسلام إلى كل مكان باستطاعتهم الوصول إليه، وتوعية المواطنين من خطر الاستعمار، وما يحيكه من مؤامرات سرية ضد الإسلام.

وأما خارج الجزائر فقد سار الإمام العلوي خارج البلاد بنفس الخط الذي انتهجه على الصعيد الداخلي، فقد بث أتباعه في قلب أوروبا، وأنشأ الزوايا فيها، وكانت منطلقاً وصروحاً يؤمّها الناس ليأخذوا من القائمين على خدمتها، فأنشأ زوايا في كل من: فرنسا، حيث كان له زاوية في باريس وأقام فيها مسجداً، وكذلك في أهيوْ بهولندا، وزوايا في بريطانيا، في كارديف، وليفربويل، وهال، وسوث شيلدز، وزاوية في لاهاي، وواحدة في مرسيليا، وأنشأ كذلك زوايا في البلاد العربية مثل؛ حضرموت، وسوريا، وفلسطين، والمغرب، وتونس، وأديس أبابا.

أثر هذه الزوايا

أجمل أثر هذه الزوايا فيما يلي:

(١) أحدثت هذه الزوايا ردة فعل معاكسة لنهج فرنسا التي انتهجته، والمتمثل بفرنسة الشعب الجزائري، فثاب الناس إلى دينهم وتمسكوا بقرآنهم، وأحدثت عندهم التوعية لمخططات فرنسا وعملائها داخل البلاد الإسلامية.

(٢) زادت من تمسك الشعب الجزائري بتراثه، فلم تصنع فيه المغريات والتحديات شيئا، بعد أن عرف الشعب قيمة هذا الدين الذي ينتمي إليه، وخطورة التيار والبرنامج الاستعماري الذي يواجهون.

(٣) دخول كثير من العائلات الفرنسية النصرانية في الإسلام بسبب وصول دعوته إليهم، وسأضرب على ذلك مثالاً: استعمل أتباع الأستاذ العلوي منهاجاً غريباً في توصيل دعوة الإسلام إلى الكفار، فقد كانوا يشيّعون الميت برفع أصواتهم بالتهليل، ويمرون به في شوارع باريس وأسواقها، يمضون ساعات في ذلك حتى يتم دفنه، وكانوا يهدفون من ذلك إلى لفت أنظار الناس، فإذا ما تساءلوا عن ذلك انبرى لهم أحد الدعاة الذي يجيد اللغة الفرنسية، فيجمعهم ويتحدث إليهم عن محاسن الإسلام، فلا يقوم من عندهم إلاّ وقد دخل بعضهم في الإسلام، ورغب فيه البعض الآخر وهكذا، حتى دخلت آلاف من العائلات الفرنسية في الإسلام بهذه الطريقة.

(٤) إسلام عدد من المسئولين الفرنسيين في الجزائر، والذي كان سبباً في تسهيل مهمة الأستاذ، فبعد أن كانوا أعداءً له، صاروا من أتباعه ومناصريه.

(٥) توبة كثير من الأسر الجزائرية التي بهرتها الثقافة الأجنبية، فبعد أن كانت معولاً لهدم الإسلام أصبحت اليوم أيدي بناءة لصرحه.

(٦) توبة الكثير من كبار المسؤولين الجزائريين الذين كانوا موظفين في حكومة فرنسا الحاكمة، فصاروا أنصاراً للإسلام بعد أن كانوا

غير ذلك، ولا زالت هذه الزوايا قائمة إلى يومنا هذا والحمد لله، وقد اجتمعت بعدد منهم، فرأيت منهم الغيرة على الإسلام والتمسك بتعاليمه، لكنهم لا يجيدون الكتابة في العربية إلا أنهم يحسنون النطق بها.

مؤلّفاته

ترك الأستاذ مجموعة قيمة من الكتب، وغالب كتاباته كانت في الصحف، وهذا ما استطعت الوقوف عليه من مؤلفاته:

(١) القول المعروف في الرد على من أنكر التصوف.

(٢) مفتاح الشهود في مظاهر الوجود.

(٣) المواد الغيثية الناشئة عن الحِكَم الغوثية، وهو شرح للحكم المنسوبة للغوث أبي مدين شعيب الأندلسي.

(٤) الناصر معروف في الذب عن مجد التصوف، وهو موضوع كتابنا هذا.

(٥) القول المقبول فيما تتوصل إليه العقول.

(٦) البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور.

(٧) مبادئ التأييد فيما يحتاج إليه المريد في علم الفقه والتوحيد، وهو على نهج منظومة ابن عاشر ألفه سنة (١٩٢٦).

(٨) الرسالة العلوية، وهي منظومة حوت قضايا الفقه المالكي وسار فيها على نسق الشيخ خليل في مختصره، وهي قصيدة في ألف بيت.

(٩) الأنموذج الفريد المشير لخالص التوحيد.

(١٠) دوحة الأسرار في معنى الصلاة على النبي المختار، وقد قمت بتحقيق الكتاب ونشره عام (١٤٢٣هـ) وهو الحلقة الثالثة من هذه السلسلة.

(١١) المنح القدوسية بشرح المرشد المعين على طريقة الصوفية، شرح فيها منظومة ابن عاشر في الفقه المالكي.

(١٢) ديوان شعر.

(١٣) الألفية في الفقه المالكي، ولعلها هي الرسالة العلوية.

(١٤) الأبحاث العلوية في الفلسفة الإسلامية.

(١٥) مناهل العرفان في تفسير البسملة وسور من القرآن.

(١٦) لباب العلم في تفسير سورة النجم.

(١٧) نور الإثمد في سنة وضع اليد على اليد، عالج فيه قضية سدل اليدين على الجنبين في الصلاة وقبضهما وردّ فيه على الذين ينكرون مشروعية القبض.

(١٨) مفتاح علوم السر في تفسير سورة والعصر.

(١٩) القول المعتمد في مشروعية الذكر بالاسم المفرد (اللـــه).

(٢٠) الأجوبة العشرة، وهو كتاب عظيم الشأن رفيع القدر في بابه، إذ عالج فيه موضوعاً يعد من أخطر المواضيع التي لم تدرس بالطريقة التي ينبغي أن تدرس بها، فدرس كتابي العهد القديم والجديد، ومنها أقام الحجة على بطلانها من خلال تعارض نسخها الثلاث والمطبوعة باللغات؛ العبرانية واليونانية والسامرية، وأقام الحجة على صحة الديانة الإسلامية بما أورده من أدلة

تاريخية وعقلية ونصيّة من تلك الكتب ثم دعم ذلك بما يشهد لها من أدلة شرعية من القرآن والسنة وحجج منطقية فلسفية.

(٢١) النور الضاوي في الحكم والمناجاة، والمتمعن فيها يجد فيها طعما مغايرا لكلام الإنسان وكأنه تسبيح من الملأ الأعلى، أو هو كلام قريب عهد من الله، وقد طبعت المناجاة منها ونشرتها ضمن كتابي (الدرة البهية في الأحزاب الشاذلية) عام ١٤١٧هـ وهو الحلقة الرابعة في هذه السلسلة.

هذا ما استطعت الوقوف عليه من مؤلفات الأستاذ رحمه الله، وقد قامت المطبعة العلاوية في مستغانم بنشر العديد من هذه المؤلفات، وبعضها بخط يدوي، ولا يزال البعض الآخر مخطوطاً، وأسأل الله أن يوفقني لنشرها جميعا.

الرسائل العلوية ٢

القولُ المعروف
في الرد على من أنكر التصوف

للأستاذ الأجل

سيدي أحمد بن مصطفى العلوي

رضي الله عنه

تحقيق وتعليق

عبد الله محمد عكـور

كـان الله لـه

قال الشيخ الأجل والأستاذ الأفخم درة عصره وأوحد زمانه السيد أحمد بن مصطفى العلوي المستغانمي طيب الله ثراه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به كثيراً من خلقه[1] والصلاة والسلام على النبي وآله.

أما بعد: فمن كاتِبه كثير المساوي عبد ربه احمد بن مصطفى العلوي منَّ الله عليه بالتوفيق، وألهمه والمؤمنين إلى أقوم طريق، إلى الفقيه المحكي الشيخ سيدي عثمان بن المكي المدرس بمدينة تونس بجامعها الأعظم زاده الله عمراناً، وطهره من كل متمرد شيطان، عليكم سلام الله ما كنتم محترمين لأهل نسبة الله ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ الحج، هذا وإني كنت عثرت على رسالة نمقتموها بقلمكم تسمى (المرآة لإظهار الضلالات) فتناولتها بيد الاعتبار لنتصفحها بفؤاد الاستبصار، متشكراً لله على بقاء الأقوياء في الدين الذين لا تأخذهم في الله لومة اللائمين، غير أني كنت مستثقلاً اسم الرسالة حيث كانت معنونة بعنوان الضلالة، ولم ندر أن مسماها أثقل،

---

(1) جرت عادة المصنفين أن يبدءوا كتبهم بعد البسملة بحمد الله تعالى، فقد جرى المؤلف على هذا المنوال، وأدرج في حمده شكراً لله تعالى أن عافاه مما ابتلى به غيره ومعلوم أن الابتلاء في الدين أشد من الابتلاء في الجسم فقد روى الترمذي في سننه (٥/٤٩٣): عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: من رأى مبتلى فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا لم يصبه ذلك البلاء، فما جرى به المؤلف هو حمد لله أن عصمه ودعاء أن يعصمه من الوقوع بما وقع به المبعوث له هذا الكتاب، وهذا من براعة الاستهلال.

وبمجرد ما اطلعت منها على الأقل عرضني فيها ما ألزمني الفشل وأورثني الكلل، فتأسفت بقدر ما استبشرت، وبما أصابني كدت أن أقول: لا يحل النظر للمرآة مطلقاً سواء أكانت لإظهار الضلالة أو لإظهار الصورة، لما اشتملت عليه مرآتكم من العض وتمزيق العِرض، فهي تكاد تميز من الغيظ، ترمي بشرر كالقصر لمحو الذاكرين، وتحطِّمُ بالجهر ألحم المؤمنين، وكنت كلما نزهت الكاتب عن مكتوبه إلا ولسان الواقع يقول: إن القلم لا يجيء إلا بصورة صاحبه، والإناء لا ينضح إلا بما فيه.

سبب التأليف

وبمناسبة ما اشتملت عليه مرآتكم من الزور وارتكبتموه فيها من الفجور، فطعنتم في أعراض أهل نسبة الله بكل لسان، وذكرتموهم بكل زور وبهتان، فحركتني الغيرة الإلهية والحمية الإسلامية على أن نكاتبكم احتراماً للمنتسبين حيث شوهتموهم، وانتصاراً للذاكرين حيث خذلتموهم، عملاً بقوله عليه الصلاة والسلام: من أذل عنده مؤمنٌ فلم ينصره وهو قادر على أن ينصره أذله الله على رؤوس الأشهاد يوم القيامة[2] وقال أيضاً: من ردّ عن عِرض أخيه، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة[3] وعن أبي الدرداء: من رد عن عرض أخيه كان له حجاباً من النار يوم القيامة [4] وهذا في الرد عن عرض أي مؤمن كان، وأما الرد

---

(2) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٤٨٧) والطبراني في الكبير (٦/ ٧٣) عن سهل بن حنيف.

(3) رواه الترمذي في سننه (٤/ ٣٢٧) وقال: حديث حسن صحيح.

(4) رواه الترمذي في السنن (٤/ ٣٢٧) والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٦٨) وأبو داود في السنن (٤/ ٢٧٠).

عن أعراض الذاكرين فقد يتولاه الله بنفسه قال أصدق القائلين: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ الأعراف، فمن بارزهم فقد بارز الله، والمنتصر لهم منتصر لله، ولازال أهل الفضل في دفاع عن نسبة الله في كل زمان، لأن القوم رضوان الله عليهم لن يزالوا بين منتقد ومعتقد ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ﴿٦٢﴾﴾ الأحزاب، لا بد من ودود يمدح وحسود يقدح، ولكن كل من القدح والانتقاد يتصوران في أفراد ممن نقص في الدين أو زاد، بحيث تجاهر بما يتضمن الفساد فيما يظهر للمنتقد، وقد يكون على خلاف ما اعتقد، وأما الانتقاد على أهل نسبة الله عموماً والتجاهر برد مذهبهم -كما فعلته أنت أيها الشيخ- حيث استدليتَ عليه بأنه بطالة وجهالة وضلالة، فقد تظاهرت بشيء لم يتظاهر به غيرك من علماء الدين، إلا إذا كان من أحد الفرق المخالفين ممن يجحد وجود الخصوصية حيث لم توجد فيهم، وأما أهل السنة فلا ينتقدون، إن وقع منهم إلا على أفراد ممن لم تتضح خصوصيته، وأما بنظرهم لمذهب التصوف فكلّ يحترمه ويجل رتبته، وأقوالهم في ذلك أعدل شاهد والتي غصت بها الدفاتر [*] وبالجملة إن قلوب أهل السنة جبلت على حب التصوف وأهله، وتجد كل من سعى في تنقيص مذهبهم يسقط من عيون الخصوص والعموم، وليس ذلك إلا دلالة على سقوطه من عين الله -والعياذ بالله- ولهذا يقال: كل من تعرض للذاكرين على جهة البغي والعناد ابتلاه الله بالمقت بين العباد.

(*) وخير شاهد على صحة كلام المؤلف ما جمعه في الكتاب السابق من نصوص العلماء القاضية بصحة مذهب التصوف وأنه الركن الثالث من الدين يكفر جاحده فإن ما جمعه فيه قد بلغ مبلغ التواتر.

التحذير من التعرض للأولياء

وها أنا أستطرد لك ما ربما يردعك ـ إن شاء الله ـ نصيحة في ذات الله ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ ﴾ آل عمران، قال في الحديث: من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب(٦).

قلت: ولا شك أن من تعرض لمحاربة الله قلَّت سلامته، وقال عليه الصلاة والسلام: غايتان مسمومتان لا يسلم من طعنهما أهل بيتي وأولياء أمتي(٧) وأقوال العلماء في ذلك أكثر من أن تحصر منها؛ ما ذكره أبو المواهب التونسي(٨) عن شيخه أبي عثمان رضي الله عنهما أنه كان يقول في الدرس على رؤوس الأشهاد: لعنة الله على من أنكر على هذه الطائفة ومن كان يؤمن بالله واليوم فليقل لعنة الله عليه، وكان اللقاني(٩) رضي الله عنه يقول: يُخشى على من تكلم فيهم (يعني الصوفية) سوء الخاتمة، وجزاؤه الأدب الشديد والسجن المديد ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ

---

(٦) رواه بهذا اللفظ الشهاب في مسنده (٢/ ٣٢٧) ورواه بلفظ:{من عادى لي ولياً} البخاري في صحيحه (٥/ ٢٣٨٤) وابن حبان في الصحيح (٢/ ٥٨) وغيرهما بسند صحيح.

(٧) لم أقف عليه.

(٨) محمد بن أحمد، الشيخ الإمام الصالح. أبو المواهب التونسي الشاذلي نزيل مصر، وهو الذي كان متصدراً في قبالة رواق المغاربة بالجامع الأزهر، وكان صاحب أوراد وأحوال، توفي في أوائل القرن العاشر رحمه الله تعالى. الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة النجم الغزي (١ / ١٣).

(٩) أبو الأمداد برهان الدين إبراهيم بن حسن بن علي اللقاني نسبة إلى لَقانة من قرى مصر أخذ عن شيوخ زمانه، كان شيخ التربية في مصر أخذ عنه الكثير منهم ابنه عبد السلام والخرشي والزرقاني والشبرخيتي، له تصانيف نافعة منها: جوهرة التوحيد، وحاشية على مختصر خليل، وبهجة المحافل، توفي منصرفه من الحج سنة ١٠٤١هـ ونقل إلى العقبة ودفن في مكان عالي في أحد البساتين.

لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ النور، وهكذا تجد كل إمام متورع يـخشى القول في عوام المسلمين فضلاً عن المتسبين، وحتى لو قلنا: لو لم يصح عندك من أحوال الصوفية إلا كونهم مسلمين لوجب عليك احترامهم، وحَرُمت عليك أعراضهم، فتكف حينئذ عن التتبع لعوراتهم حذراً مما حذرك منه الشارع، روى ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ: من شان على مسلم كلمة يشينه بها بغير حق أشانه الله بها في النار يوم القيامة[١٠] وهذا فيمن أشان[١١] على عورة مسلم واحد، وأي حكم يلحق من تتبع عورات عامة المسلمين وخاصتهم ليشينهم بها فيما بينهم أو عند الأجانب إن أمكنهم الإطلاع على ذلك؟ كما فعلته أنت أيها الشيخ حيث تتبعت النقير والقطمير، وتوسعت في النكير، تحدث نفسك أنك السني الواحد في الوجود، والكل دونك إما مبتدع جهول أو مخالف مخذول، فهذا حكمك في أبناء ملتك، ولم ندر ما حكم الله فيك؟ ولو تتبعت عورات نفسك لوجدت فيها ما يغنيك عن تتبع عورات الغير، ولكن مثلك يجري عليه قوله ﷺ: حيث قال: يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه وينسى الجذع في عينه[١٢] أما أنت فنسيت جذوعاً كثيرة سيأتيك نبؤها بعد حين، ولعله كلما أطلعناكم على جذع منها أزلتموه مهما أمكنكم، وما إزالته إلا مجرد اعتراف، ولكن الاعتراف نتيجة الإنصاف، فإن كنت منصفاً فكتابي حجة لك، وإلا فهو حجة عليك، وعلى كل حال مهما تناولته فكن ذا بصر حديد وعقل سديد، وفؤاد من

---

[١٠] رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٥٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

[١١] شان وأشان: شوه وعاب وانتقص.

[١٢] رواه ابن حبان في صحيحه (١٣/ ٧٣) عن أبي هريرة.

التعصب بعيد، فإني ما كاتبتك به إلا وأنا أرجو الله أن ينقذك مما أنت فيه بسببه، أو ينقذ من هو على شاكلتكم، أو من سرت فيه من إشارتكم بسبب نظره في مرآتكم المكسوفة أو مجالسكم المأسوفة، وها أنا أذكر لكم من الجذوع المنسية في أعينكم، لولا أن أظهرها الله بسبب مرآتكم.

❖ الجذع الأول

قلتم في صدر ما جمعتموه من الطعن في أعراض المسلمين: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وإني لم أدر هل أردتم بذكركم هاته الآية الكريمة مجرد التبرك بها؟ أم أشرتم لما هداكم الله إليه من الطعن في أعراض الذاكرين ونحوهم، فاعتقدتم أن ذلك من الهداية، فإن كان بالمعنى الأول فحسن، وإن كان بالمعنى الثاني فإنه لم يظهر وجه الهداية بالتعرض لأهل الله بالغيبة ونحوها، إلا إذا كانت الهداية من قبيل قوله عز وجل ﴿ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾ الصافات، وما هو من هذا القبيل.

❖ الجذع الثاني

إنكم سميتم ما جمعتموه بالمرآة لإظهار الضلالات.

قلت: إنكم أصبتم في الاسم وأصبتم وأخطأتم في مسماه، أما إصابتكم في الاسم فإنها أظهرت مرآتكم ما كان كامناً فيكم، ولولاها من يعلم بضلالاتكم، فكتاب المرء عنوان عقله، وما فيه يظهر على فيه، وبعد هذا بقليل استطرتم جملة من النصوص، قلتم في ترجمتها: (المقدمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ثم ذكرتم ما جعلتموه ذريعة لتتوصلوا به إلى الطعن في أعراض المؤمنين بدعوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

ولكن ذلك لا يغني عنكم من الله شيئا، إنما الغيبة غيبة على كل حال، وحتى لو قلنا: إنكم لم تقصدوا إلا إصلاحاً فيكون ذلك دليلاً على عدم تفريقكم بين المعروف والمنكر، وهو عذر لكنه غير مقبول لمن تصدى للأمر والنهي، وعلى كلا التقديرين فالتهمة لا تنفك عنكم:

فإن كنت تدري فتلك مصيبة   وإن كنت لا تدري فالمصيبة أعظم.

الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر

فإن كنت على غير بصيرة بين المعروف والمنكر فكيف تقوم تأمر بهذا وتنهى عن هذا، وكان من حقك أن تتصور معنى الشيء ثم تحكم عليه، لأن الحكم فرع التصور، وإن حكمت فلا تحكم عليه إلا بحكم الله، ولا تأمر فيه إلا بأمر الله، ولا تنه عنه إلا بنهي الله، وتتورع أن تقول في دين الله برأيك، أو تنكر عن شيء بطبعك قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ المائدة، وأين أنت من هذا حتى قمت تحرم هذا وتنكر هذا، وتضلل فرقة وتبدع أخرى بدون ما تخشى الله في خلقه، وتراقب محمداً في أمته، وترى أنك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بدون ما ترى أفيك أهلية لذلك أم لا؟ قال عليه الصلاة والسلام: لا يأمر بالمعروف ولا ينه عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه، حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه، فقيه فيما يأمر بع فقيه فيما ينهى عنه[١٣] أما كونه رفيقاً فيما يأمر به يريد ـ والله أعلم ـ أن

---

(١٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ ولكن أورده صاحب الحلية عن سفيان الثوري (لا يأمر السلطان بالمعروف إلا رجل عالم بما يأمر عالم بما ينهى رفيق فيما يأمر رفيق فيما ينهى عدل فيما يأمر عدل فيما ينهى، انظر حلية الأولياء (٦/ ٣٧٩).

لا يأمر إلا برفق، ولا ينهى إلا بمثله، وهذا خلاف الأسلوب الذي ارتكبته أيها الشيخ في مرآتك، وكان من حقك أن لا تقدم على شيء حتى تعلم حكم الله فيه، وتدخل البيت من بابه، ألم تعلم أن شاباً جاء للنبي ﷺ فقال بأرفع صوته: أتأذن لي في الزنا يا رسول الله؟ فصاح الناس به، فقال رسول الله: أقروه أقروه وأمره أن يدنو منه ثم قال له برفق: أتحب أن يُفعَل ذلك بأهلك؟ قال: لا، وأخذ يذكر له في قرابته من نسائه كأمه وأخته وزوجته وهو يقول: لا أحب، فقال عليه الصلاة والسلام: فكذلك الناس لا يحبونه أن يُفعلَ ذلك بأهلهم، ثم وضع يده الكريمة على صدره فقال: اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك شيء أبغض إليه من الزنا[١٤].

ومثل هذا من الوقائع جاء في سيرته وفي سيرة أتباعه بكثرة، ومن ذلك حكاية البدوي المشهورة الذي بال في طرف المسجد، فقام الصحابة ليستفزوه بعنف[١٥] فوضع عليه ﷺ وأمره أن لا يستعجل بعد ما كف أيدي الصحابة عنه، فلما قضى البدوي حاجته قال: اللهم ارحمني وارحم محمدا ولا ترحم معنا أحدا، فقال رسول الله ﷺ: حصرت واسعة يا أعرابي[١٦] وأين مثلك ومثلي من هاته الأخلاق؟ فالرفق مهما دخل شيئاً إلا وزانه، والعنف مهما دخل شيئاً إلا وشانه، وهذا بعض ما يتعلق بالرفق في الأمر والنهي.

---

(١٤) رواه الطبراني في الكبير (٨/ ١٦٢ـ ١٦٣) عن أبي أمامة.

(١٥) يـمنعوه من إكمال بوله.

(١٦) رواه ابن ماجة في سننه (١/ ١٧٦) بسند صحيح.

وأما كونه حليماً فيما يأمر به حليماً فيما ينهى عنه فهو وصف مهما وجد في الأمر يثير نفعاً في المأمور غالباً، لأنه يستلزم الحرص على هداية المأمور وإليه الإشارة في التنزيل ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ التوبة، ومن الدلالة على الحلم مهما وجد في صاحبه أن لا ينتصر لنفسه إن رُدّ قوله أو لحقه من الأذى بسبب الأمر والنهي، ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام لما كُسرت رباعيته[١٧] قال: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون[١٨] وحتى لو قلنا أنك لم تبلغ إلى أقل درجات من الحلم فحقك أن تتحلّم[١٩] لقوله عليه الصلاة والسلام: إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم[٢٠] الم يبلغك أن عيسى عليه السلام فيما أخبر عنه التنزيل أنه قال في حق قومه من بعده: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ المائدة، فانظر ما أطيبه من حديث! وما ألطفه من فؤاد المحدِّث به! مع ما ارتكبه قومه من بعده من الشرك، فإنه لـم يقل ما قلته أنت في أمة محمد ﷺ من أنهم شر الخلق والخليقة حسبما يأتي في كلامك، لأجل ذنب ارتكبوه في زعمك وهو احترامهم لصلحائهم، وكل ذلك من قساوة قلبك وقلة شفقتك على المؤمنين، روى جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنه قال: من لم يرحم الناس لم يرحمه الله[٢١] وهذا بعض ما يخص الأمر بالمعروف

---

(١٧) مقدمة أسنانه الشريفة، وكان ذلك في معركة أحد.

(١٨) صحيح البخاري (١٢ / ١٩٥).

(١٩) تجاهد نفسك لتخلق بهذا الخلق، أو تتعاطى أسبابه.

(٢٠) المعجم الكبير الطبراني (٢٠ / ٢٥٨).

(٢١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٩) والبخاري (٦/ ٢٦٨٦).

والناهي عن المنكر من كونه حليماً فيما يأمر به حليماً فيما ينهى عنه، وأما كونه فقيهاً فيما يأمر به فقيهاً فيما ينهى عنه فهو أساس المسألة ودعامة وسطها، فعليه تدور دائرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن عدم الفقه في دين الله في الغالب يحمل صاحبه على العكس في المسألة، فلربما يأمر بمنكر أو ينهى عن معروف، وهو من سوء التصرف الفظيع في دين الله بدعوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسبما اشتملت عليه مرآتك أيها الشيخ، فقد أنكرتم من المعروف أعلاه، فلا فتنة أعظم وأضر من فتنتكم على المسلمين[٢٢].

---

(٢٢) لأن هذه الفتنة جاءت لنا بصورة الحق، فانغر بها غالب المسلمين، سواء في ذلك طلاب العلم أو العوام، فأخذ دعاتها يحلون عرى الإسلام عروة عروة بدعوى الإصلاح، وهذا من شدة مكرهم وتمرسهم على الباطل، ومرودهم على النفاق، فلو جاءوا بصورة الباطل لم يتبعهم أحد، فقد أنكروا الاستغاثة بالنبي ﷺ بدعوى أن الاستغاثة بغير الله شرك، وحرموا الاجتماع لسماع قصة مولد النبي ﷺ بدعوى أن ذلك غلو في العبادة، وحرموا الصلاة عليه بعد الأذان بدعوى أن لا يحسبها الجاهل أنها منه، وعدم استقباله في الدعاء عند السلام عليه في الحجرة الشريفة حتى لا يطلب إلا من الله، وتعدى ذلك إلى التولي بالمسلمين عن عقيدة التنزيه لله تعالى، حتى آل الأمر بهم أن يعتقدوا عقيدة أبي جهل، فقد عبد أبو جهل صنماً من حجر صنعه بيده وهؤلاء عبدوا صنماً أكبر تخيلوا أنه جالس على عرش عظيم في السماء، يذهب ويأتي وينزل ويصعد، بصورة البشر، حتى قال قائلهم: ألزموني ما شئتم فإني ألتزمه إلا اللحية والعورة، أي أنه يلتزم القول والاعتقاد بأن لله من الجوارح ما للبشر إلا أنه ليس له فرج ولحية، فعدلوا بهم من عقيدة التنزيه إلى التشبيه والتجسيم هروباً من التعطيل بزعمهم، ومعنى التعطيل هو عدم اعتقاد ظاهر الآيات القرآنية كاليد والعين والجنب وغير ذلك مما يدل ظاهره على الجارحة، وقد قام بالرد على هذه الفرقة التجسيمية الكثير من العلماء، منهم: محمد محسن الأمين في كتابه: كشف الارتياب عن أتباع محمد بن عبد الوهاب، والصواعق الإلهية في رد الوهابية لسليمان بن عبد الوهاب، وقد قمت بنشر سلسلة من الأبحاث في العقيدة تحت اسم الترابط الجذري بين أهل الكتاب والمجسمة في العقيدة والفكر والسلوك، بينت فيه مدى الربط بين عقيدتي هذه الفرقة وبين بني إسرائيل وأنهما ينبعان من مصدر واحد وهو التوراة والإنجيل فليرجع إليها من شاء، ويرحم الله المؤلف كيف أشار إلى الضرر المترتب على فتنتهم، حيث قال: فلا فتنة أعظم وأضر من فتنتكم، وكأنه كان ينظر إلى هذه الطائفة بنور إلهي، حيث لم يكن ضررهم في عصر المؤلف كما هو ضررهم اليوم.

فعلى الأقل إذا لم يتضرر القارئ بالنظر في مرآتكم يقع في التباس من دينه وشك من أمره، حيث يجد ما كان في ظنه أنه يدين الله به معصية يستحق العقاب من أجله، وأي رزية أعظم من هاته الرزية للمتدين؟؟!!! إنا لله وإنا إليه راجعون.

أو ليس قد تقرر لدى الفكر العام بالتواتر أن مجلساً من المجالس المعدة للذكر يمحو عدة مجالس من مجالس السوء[٢٣] وهذا مما أطبقت عليه عقائد الأمة خصوصاً وعموماً، فقمت أيها الشيخ تبرهن في مرآتكم على أن المجالس المعدة للذكر على اختلافها بين طبقات الذاكرين بدعة ضالة على خلاف ما كان عليه السلف بدون ما تذكر وجه مجالس الذكر المندوب لها شرعاً، ومن المعلوم أن يقع من يعتني بكلامك في حيرة، وكل ذلك أصابك ولعله من عدم الفقه في دين الله، ولهذا اشترط عليه الصلاة والسلام في حق الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون فقيهاً فيما يأمر به فقيهاً فيما ينهى عنه، لئلا يأمر بمنكر أو ينهى عن معروف كما تقدم.

---

(٢٣) إن ما قاله المنكر هو أسلوب هذه الطائفة في الإنكار، حيث ينكرون مشروعية الذكر والاجتماع له ومثل ذلك الصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان والاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف وما في معنى هذا دون ما يذكرون علة التحريم، وهذا ديدنهم في كل عصر، ورأس الأمر عندهم في التحريم أن ذلك بدعة، أو أن هذا لم يرد عن النبي ﷺ مع أنهم إما كاذبون في هذا الادعاء أو جاهلون، ودليل ذلك أنهم عندما أصدروا حكمهم بالبدعة على تلك الأعمال لم يذكروا البديل لها، فنهيهم عن مجالس الذكر مثلاً هو تعطيل لهذه الشعيرة من الدين، حيث أن الدليل جاء في القرآن وصحيح السنة، والصوفية يجتمعون لهذه المجالس، والمنكر عليهم وصف هذه المجالس بالبدعة الضلالة، ولم يذكر لنا أين تلك المجالس المقصودة في الآيات المشيرة لها أو الأحاديث النبوية، حتى نعبد الله تعالى بها.

ثم أقول: ينبغي لمن تصدر للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يتصور أولاً معنى المعروف ومعنى المنكر، ويحققهما بالحد الواضح والشرع[٢٤] الصريح، لئلا يقع في مهواة الانعكاس، ومن أجل ذلك تورع أكابر العلماء من القول في دين الله بغير نص صريح وما هو كالصريح[٢٥].

نعم يجتهد المجتهد لنفسه فيما لا نص فيه بدون ما يُلزِم غيره أن يذهب مذهبه، إنما يحكي رأيه فيه لا غير، ولهذا تعددت الطرق في الفروع، والحمد لله على اتحادها في الأصول[٢٦] وكل ذلك من اليسر في دين الله، كما قال عليه الصلاة والسلام: خير الدين أيسره وخير العبادة

---

[٢٤] قوله: بالحد الواضح أي ؛ أي التعريف الوارد لهذا المنكر وعلة تحريمه شرعاً، والاستناد في ذلك إلى نص صريح يبني عليه الحكم حتى يكون موافقاً لشرع الله تعالى، وإلا يكون قائلاً برأيه، قد يحلل ما حرمه الله أو يحرم ما حلله الله تعالى، وهذه طامة كبرى.

[٢٥] قوله: وما هو كالصريح؛ أي ليس في هذا الأمر نص قطعي الدلالة، بل يستنبط الحكم من الدليل استنباطاً، وهذه إشارة من المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ إلى أن هذا المنكر لم يعتمد في تحريمه للأمور التي أنكرها على دليل شرعي قطعي الدلالة والثبوت، أو ظني الدلالة ظني الثبوت يستنبط منه الحكم، وإنما هو قول بالرأي والعصبية المذهبية.

[٢٦] اختلف علماء الأمة في فروع المسائل من عقيدة وفقه ولغة وغير ذلك، لكن الاختلاف في أصول الاعتقاد والأحكام الفقهية لم يقع، فقد اجتمعت كلمة الفقهاء على أن عدد الصلوات في اليوم والليلة خمس، وأن عدد ركعاتها المفروضة سبع عشرة ركعة، وأن افتتاحها بالتكبير واختتامها بالتسليم، لكن الاختلاف واقع فيما هو ركن أو سنة أو واجب، وأن هذا الفعل يبطل الصلاة أو لا، أو أن هذا الأمر ينقض الوضوء أو لا، أو أن سجود السهو قبل التسليم أو بعده، أو أن القنوت قبل الركوع أو بعده، أو أن لمس المرأة ناقض للوضوء أم لا، وهذا الاختلاف الواقع بين الأئمة حسب فهمهم من النصوص الشرعية المبنية على أصول التصحيح والتضعيف لأسانيد الأحاديث أو حسب فهمهم للآية الواحدة المبنية على أصول اللغة إنما هو رحمة للأمة حتى لا تقع في عسر التشديد والتعسف، والحمد لله على شريعته الحنيفية السمحة.

الفقه[٢٧] ومن لا فقه له يـمتنع عليه القول في دين الله.

حكم الفتوى وشروطها

ذكر ابن عبد البر عن عطاء رضي الله عنهما أنه قال: "لا ينبغي لأحد أن يفتيَ الناس حتى يكون عالماً باختلاف الناس، وإن لم يكن كذلك رد من العلم ما هو أوثق من الذي هو في يديه".

ثم إن جميع ما ذكرناه من التحري هو فيما اشتبه أمره وأما ما عُلم تحريمه أو إيجابه من الدين بالضرورة فهو فقهٌ، ويتعين الأمر بالمعروف فيه والنهي عن المنكر على كل مسلم عالمٍ بجلّية ذلك الشيء أو تحريمه وإن لم ينته ويأتمر في نفسه، إنما المحترَز منه ما مشيت عليه أنت أيها الشيخ، فقمت تحرم وتحل بظنك وحدسك، وتقول بطبعك وشهوتك، فظننت أن المعروف ما عرّفته أنت، والمنكر ما أنكرته أنت، وهذا بعيد منك ومن أمثالك، إنما أمره موكول لله ورسوله والراسخين في العلم، والذي هو حق عليك أن تنكر ما علمت إنكاره من الدين بالضرورة، وتأمر بما تحققت معروفيته من الدين بالضرورة، وترتكب العزائم فيما بين ذلك لنفسك وتفوض الأمر لله فيما وراء ذلك، وتحسن الظن فيما تفرع عن اجتهاد المجتهدين من أئمة الدين من الصوفية وغيرهم، أوَ ليس في علمك

---

[٢٧] لم أقف عليه بهذا اللفظ مع أن المعنى صحيح، روى المحدثون الحديث بلفظ (أفضل العبادة الفقه وأفضل الدين الورع) انظر المعجم الصغير للطبراني (٢/ ٢٥١) الفردوس بمأثور الخطاب (١/ ٣٥٤) ولكن اليسر من شريعة النبي عليه الصلاة والسلام، جاء ذلك بالتواتر، من ذلك (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا٠٠) رواه البخاري (١/ ٣٨، ٥/ ٢٢٦٩) وغيره بسند صحيح.

أنه قد يوجد في المشتبه ما ثبتت حرمته في مذهب وإباحته في آخر[٢٨] أو ندبه في مذهب وكراهيته في آخر؟ وهذا ونحوه لا يحتاج لكثرة بيان وأي شيء يراه المنصف؟ فهل يتسنى له أن يُلزمَ أحدَ المجتهدين بالدخول تحت قول الآخر؟ إلا إذا كان ممن بلغ به التعصب الأعمى مثلما بلغ بك؟ فقمت إلى مذهب أعظم سوادٍ على وجه البسيطة تلزمه الدخول تحت رأيك الكاسد ظناً، والذي أحقه أن يقال لك ولأمثالك: إن أقل صوفي يوجد إلا وهو أشح على دينه منك.

❖ الجذع الثالث

وأما ما استدليتم بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ آل عمران، فأقول: إنه لا نزاع فيما استجلبتموه من النصوص على كون الأمر بالمعروف والنهي

(٢٨) ما ترك الله ورسوله حلالا إلا مبينا ولا حراما إلا مبينا، لكن بعضه كان أظهر بيانا من بعض، فما ظهر بيانه واشتهر وعلم من الدين بالضرورة من ذلك لم يبق فيه شك، ولا يعذر أحد بجهله في بلد يظهر فيها الإسلام، وما كان بيانه دون ذلك فمنه ما يشتهر بين حملة الشريعة خاصة، فأجمع العلماء على حله أو حرمته، وقد يخفى على بعض من ليس منهم، ومنه ما لم يشتهر بين حملة الشريعة أيضا، فاختلفوا في تحليله وتحريمه، وذلك لأسباب منها؛

۞ أنه قد يكون النص عليه خفيا لم ينقله إلا قليل من الناس، فلم يبلغ جميع حملة العلم ۞ ومنها أنه قد ينقل فيه نصان أحدهما بالتحليل والآخر بالتحريم، فيبلغ طائفة منهم أحد النصين دون الآخر، فيتمسكون بما بلغهم، أو يبلغ النصان معا من لا يبلغه التاريخ، فيقف لعدم معرفته بالناسخ والمنسوخ.

۞ ومنها ما ليس فيه نص صريح وإنما يؤخذ من عموم أو مفهوم أو قياس فتختلف أفهام العلماء في هذا كثيرا.

۞ ومنها ما يكون فيه أمر أو نهي فتختلف العلماء في حمل الأمر على الوجوب أو الندب، وفي حمل النهي على التحريم أو التنزيه، وأسباب الاختلاف أكثر مما ذكرنا ومع هذا فلابد في الأمة من عالم يوافق الحق فيكون هو العالم بهذا الحكم، وغيره يكون الأمر مشتبها عليه ولا يكون عالما بهذا، فإن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، ولا يظهر أهل باطلها على أهل حقها، فلا يكون الحق مهجورا غير معمول به في جميع الأمصار.

عن المنكر مما يتعين القيام به على كل واحد يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر، إنما النزاع في المنكر حيث حملتموه على غير محمله، حسبما يقتضيه صنيعكم من إدخالكم حلق الذكر وما عليه المتصوفة تحت حيز المنكر الذي يجب تغييره، وفي ظني أن المنكر الذي أولى بالتغيير هو ما اعتقدتموه وأبديتموه في مرآتكم، ثم أقول: إن الخطاب في قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ ﴾ إما أن يكون راجعاً لعامة المؤمنين، وإما أن يكون راجعاً لخاصتهم، فإذا كان عائداً على عامتهم فيكون فيه دلالة على تخصيصهم بين الأمم بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنها وظيفة الصديقين والأنبياء والمرسلين، ويكون أمرهم ونهيهم عائدَيْن على من سواهم من الأمم، ويكون المنكر عبارة عن الشرك وما في معناه، والمعروف عبارة عن التوحيد وما والاه، وإذا كان الخطاب عائداً على خاصتهم فيكون الأمر والنهي فيما بينهم، ويكون المنكر عبارة عن كل خُلُق مذموم، وعكسه المعروف، ثم إننا إذا حملنا الضمير على المعنى، الآخر لا يتعين صرفه عن الوجه المطابق لما في نفس الأمر، إلا لهداة الخلق الداعين للحق بالحق، الذين قال فيهم عليه الصلاة والسلام: لن تخلو الأرض من أربعين رجلا مثل خليل الرّحمن، فيهم تُسقَون وبهم تُرزقون، ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه الآخر[٢٩] وهكذا ما من نبي إلا وعلى قلبه[٣٠] طبقة من أمة محمد ﷺ وهاته الكتائب التي لا يخلو منها عصر، ولا يفقد منها مِصر هي الّتي يتعلّق بها الخطاب على الوجه الأحق، لأنهم أهّلوا لذلك وفطروا في الأزل على ما هنالك، فصفة الأمر

---

(٢٩) رواه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٧٣) عن ابن مسعود.

(٣٠) اي على خُلُقه.

بالمعرف والنهي عن المنكر موجودة فيهم بالطبع لا بالتطبع، وقد توجد في غيرهم إلا أنها عَرَضٌ تغيرها العوارض، وفي ظني أن الطبقة المشار إليها لا توجد غالباً إلا في حيز الذاكرين المستهترين بذكر الله حسبما جاء في الحديث الآتي ذكره، ولا يوجد المستهتر بذكر الله أو المولع بذكر الله ـ على ما في بعض الروايات ـ أو المشتهر بذكر الله ـ على ما في أخرى ـ إلا في حيز المتصوفة التي قلت أنت بتبديعهم، وأما من سواهم فلا يبلغ في ذكر الله مبلغهم كائناً من كان، إلاّ إذا كان محباً لهم أو من أسلافهم أو من أهل سلسلتهم[٣١] وهذا بقطع النَظر عن القرون الثلاثة المشهود لهم، ولكن هذا يتضح عند من يعرف معنى التصوّف، ومن هم المتصوفة، وأما من يعتقد أنهم عبارة عن اجتماع غوغاء من أرذال النّاس فلا يهتدي لما ذكرناه، لأنه يقيس ما عرفه منهم على مالا يعرفه بجامع وهو الاسم، فيظن أن مسماهما واحد، فشتان بين ما عرفته وبين ما لم تعرفه، فو الله يا أخي لو أطلعك الله على معنى التصوّف وما هي مباديه وغايته لاكتفيت من الله بالتطفل على أهله.

---

(٣١) أما المحب لهم فتحمله محبته على العمل لأن المحب غالباً لا تظهر محبته إلا بالاتباع كما ترجم الشاعر ذلك بقوله:

لو كان حبك صادقا لأطعته　　　إن المحب لمن يحب مطيع

والأسلاف هم الصوفية الذين تقدموهم في الزمن الماضي، والسلسلة هم أشياخ هذه الطائفة، فلا توجد طائفة من طوائف المسلمين غلب عليهم ذكر الله تعالى إلا الصوفية، والتاريخ شاهد على ذلك، نعم قد يوجد أفراد غلب عليهم الذكر لكن هؤلاء ليسوا جماعة وهذا من الشواذ والشاذ لا حكم له، وغالبهم يكون محباً لهم فعاد الأمر كما قال الشيخ رحمه الله، ومن قال بغير هذا القول يلزمه الدليل.

❖ الجذع الرابع

وأما ما استدليتم به من قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ التوبة: ٧١، فأقول: إنكم أخذتم الشق الآخر من الآية وأهملتم ما اشتمل عليه الشق الأول منها، مع أنه عمدة فيما بعده وهو يتعين من ولاية المؤمنين لبعضهم بعضا، وما يترتب على ذلك من حرمة أموالهم وأعراضهم ودمائهم فيما بينهم، وقبل هذا ينبغي أن نعرف معنى الإيمان الذي يوجب لنا الأخوة والولاية والتعاضد فيما بيننا فأقول: إنه سهل والله أعلم حسبما قرّره لنا الشّارع، وذلك أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فمن تحققت فيه هذه الخصلة وجبت موالاته وحرمت عداوته، وهي موجودة ـ والله أعلم ـ في سائر أفراد الأمة، وأن مع تعدد مذاهبهم واختلاف طرائقهم في الفرعيات فذلك غير مضر مهما سلمت الأصول، وعلى هذا ينبغي لمن أهّله الله للكلام أن لا يبسط لسانه إلا بما يقضي بالمحافظة على الروابط الإسلامية والأخوة الدّينية، ولا يجرح عقائد أهل القبلة، ولا يقبح معتقداتهم ولا يحكم ببطالتهم، لئلا يكون ذلك ذريعة للانشقاق والتنافر فيما بين المسلمين وعدم الوفاق، ألم يبلغك يا شيخُ ما وصلت إليه الأمة فيما سبق من الارتباك؟ فكلّ ذلك سببه إغالة[٣٢] المتعصبين من أتباع المذاهب، فكلّ يشوه غيره ويحكم عليه بما أعتقده، والحالة أن الجميع مؤمن، إلا أنه بلغ التّعصب المذهبي بهم إلى انحلال رابطة الأخوة الدّينية المتحدة في الشهادتين، وإقام الصّلاة، وإيتاء

---

[٣٢] التعصب للمذهب ومن ذلك قول بعض المتعصبين: لن ترى صواب رأي إمامك إلا إذا رأيت خطأ غيره.

الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان، وقراءة القرآن، وغير ذلك مما هو من أهم الخصال الإسلامية، والاشتغال بما سلف لا طائل تحته من الخير، فبالله عليك يا شيخُ كيف قمت تسعى في تحريك الفتن الخامدة؟ فعمدت إلى هدم أعظم ركن في الإسلام، وأعظم قاعدة اعتمد عليها المسلمون وتربت قلوبهم عليها (أي على محبة أهل نسبة الله) فهم الآن يعتبرونهم ويعظمونهم بالجبليّة، محسنين الظن في التصوف وأهله فقلت أنت: أن مذهب التصوف بطالة وجهالة وضلالة إلى آخر ما حملت عليه، فكسرت والله قلوباً يتعذر عليك جبرها إلا بتوبة نصوحا واعتذار لأربابها، وكان من حقك أن لا تقدم على تنقيص المذهب حتى تعلم من هو واضعه؟ وما هي مبادئه العشرة التي اشترطتم معرفتها في كل فن[٣٣] ثم قل ما بدا لك أن تقول، وظني فيكم أن بضاعتكم في العلم قليلة، أو قريحتكم في الفهم كليلة، أو هما معا، وإن كان كذلك فمن المعلوم لا تجد ما يرشدكم لفن التصوف فيما بين أيديكم من المتون نحو الزنجاني وابن آجروم[٣٤]

---

[٣٣] اشترط العلماء شروطاً عشرة ينبغي لطالب العلم أن يعرفها قبل شروعه في تعلم أي علم وقد نظمها بعضهم في هذه الأبيات:

إن مبادي كل فن عشرة	الحد والموضوع ثم الثمرة
وفضلٌ ونسبةٌ والواضع	والاسم الاستمداد حكم الشارع
مسائل ُوالبعض بالبعض اكتفى	ومن درى الجميع حاز الشرفا

[٣٤] الزنجاني؛ عبد الوهاب بن إبراهيم الخزرجي من علماء العربية له معيار النظم في علوم الأشعار والكافي في شرح الهادي، توفي في بغداد سنة ٦٥٥هـ وابن أجروم: محمد بن محمد بن داود أبو عبد الله الصنهاجي المعروف بابن آجروم بُفتح الهمزة الممدودة وضم الجيم والراء المشددة بمعنى الفقير بلغة البربرْ المتوفى سنة ٧١٣ ثلاث وعشرين وسبعمائة. من تاليفه مقدمة الأجرومية مشهور في النحو، ولأهميته كثرت شروحه، وقد كانوا لا يقبلون أي طال علم ما لم يحفظ هذا المتن، وكلاهما من علماء الصوفية. وإنما دله الشيخ على هؤلاء المتون لأن طالب العلم يبدأ بهما غالبا، فهي للمبتدئين، دلالة على أن هذا المنكر لا يعرف من العلوم شيئا، ولا حتى ما يعرفه صغار طلبة العلم الشرعي، وهكذا قل في غالب المنكرين.

وعلى فرض ما ذكرناه من اقتصاركم على ما اختصر من المتون، لا يفوتكم المرشد المعين في العبادات[٣٥] والجوهر المكنون في البلاغة[٣٦] وهما ممن اعتنى بفن التصوف، الأول ذكره بالاستقلال، والثاني نوّه به على سبيل الاستطراد تنبيهاً منه للطلبة جزاه الله خيراً، ولست أدري هل رفضتها برفضك مذهب التصوف من أصله؟ أم جعلتهما في حيز الإهمال؟ وعلى كل حال فإنك غاليت في الجحود، وإلاّ فشهرة مذهب أهل التّصوف تغني عن إقامة الشّهود، وعلى كل حال فإني أوصيك إن طالت بك الحياة، وأردت أن تجمع شيئاً من المسائل العلمية أو من النصائح الدّينية، فلا تأتي إلاّ بداعي الاتحاد بين أفراد الأمة المحمديّة، أي بما يؤكد بينهم الروابط الدّينية والأخوة الإسلامية، قاطع النّظر عمّا تشعب من الفروع ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا

---

(٣٥) لعبد الواحد بن عاشر في الفقه المالكي، وهي منظومة شعرية بدايتها:

يقول عبد الواحد بن عاشر ... مبتدأً باسم الإله القادر
الحمد لله الذي علّمنا ... من العلوم ما به كلفنا

وقد شرحها المؤلف رحمه الله بكتابه المنح القدوسية بشرح المرشد المعين على طريقة الصوفية.

(٣٦) للعلامة عبد الرحمن بن محمد الأخضري، من أهل بسكرة في الجزائر وقبره في زاوية بنطيوس بالقرب من بلدته، له كتاب الجوهر المكنون في البلاغة وأوجز فيه التلخيص وهو شرح له، وله مختصر في العبادات على مذهب مالك توفي سنة ٩١٨هـ.
قلت: حفظ هذه المتون ضروري لكل طالب علم، لذا قالوا: من حفظ المتون حاز الفنون، وهذا ما أمرنا به أشياخنا رضي الله عنهم، فقد حفظنا متن الغاية والتقريب في الفقه الشافعي، والبيقونية في المصطلح، وجوهرة التوحيد، ونظم عقيدة أهل السنة في العقيدة، ومتن الأجرومية في اللغة، ومتونا في التجويد، والأربعين النووية في الحديث، ثم قرأنا شروحا كثيرة لهذه المتون على المشائخ وسمعنا منهم غيرها من أمهات الكتب في الحديث والعقيدة والفقه والسيرة والأخلاق والتلاوة واللغة، ومكثنا على ذلك عشرات السنين، وما زلنا في كنفهم والحمد لله، وسنبقى طلاب علم حتى نلقى الله تعالى ونحن على ذلك.

أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ آل عمران: ٦٤، فبالله عليك إلاّ ما أمعنت النّظر فيمن نزلت، ولأي سبب أنزلت، فيا ما أحسنه من تأليف! ولكن أين الثرى من الثريا؟ ولعلك تقول: نزلت في أهل الكتاب كما هو صريح الآية فأقول: وعلى الأقل من حقّك أن تنزّل الصّوفية منزّلة أهل الكتاب، لا تصدقهم ولا تكذبهم، وهذا أقل درجات الإنصاف، ولكن أين المنصفون؟ وأما استدلالكم بما قاله الغزالي[٣٧] رضي الله عنه، فالاستدلال بكلامه غير لائق على ما تقتضيه قواعدكم، لأنه صوفي وأنت لا تقول بمذهب التصوف، وأما استدلالكم بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما (أن التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس مؤمناً بالقرآن إلى آخره) وهل تظن أنه عليه الصّلاة والسّلام يريد بنفي الإيمان مطلقاً؟ كلا وإلا لهلكت الأمة، وإنما يريد به نفيَ الإيمان الكامل التي هي درجة الصّديقية، كما يشهد لذلك عدّة أحاديث منها: لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه[٣٨] وأما الإيمان العمومي فقد تقدّم

---

[٣٧] ابو حامد محمد بن محمد الغزالي ملقب بحجة الإسلام، انتهت إليه رئاسة المدرسة النظامية، صاحب التصانيف النافعة، له كتاب 'حياء علوم الدين والمنقذ من الضلال' في التصوف 'والمستصفى' في أصول الفقه وميزان العمل، والوجيز وغيرها العشرات، توفي ودفن بطوس سنة ٥٠٥ هـ.

[٣٨] رواه مسلم في صحيحه (١/ ٦٧) والبخاري (١/ ١٤) بلفظ (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ومما يعضد كلام المؤلف رحمه الله ما ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٥٧) عند تفسيره للحديث: والمراد بالنفي كمال الإيمان ونفى اسم الشيء على معنى نفي الكمال عنه مستفيض في كلامهم كقولهم فلان ليس بإنسان، فإن قيل: فيلزم أن يكون من حصلت له هذه الخصله مؤمنا كاملا وإن لم يأت ببقية الأركان أجيب بان هذا ورد مورد المبالغة، أو يستفاد من قوله لأخيه المسلم ملاحظة بقية صفات المسلم وقد صرح ابن حبان بالمراد ولفظه: لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان ومعنى الحقيقة هنا الكمال ضرورة أن من لم يتصف بهذه الصفة لا يكون كافرا وبهذا يتم استدلال المصنف على أنه يتفاوت وأن هذه الخصلة من شعب الإيمان.

ذكره من أنّه سهولة محض، وحديث السّوداء المشهور ممّا يزُيده سهولة، ثبت أنّ بعض الصّحابة رضوان الله عليهم أعتق رقبه مؤمنة، فجاء بجارية سوداء إلى النبي ﷺ ليمتحن إيمانها فقال لها عليه الصلاة والسلام: من ربّك؟ فأشارت الى السّماء فقال: مؤمنة فاعتقها[٣٩] والذي يشهد لهذا

---

(٣٩) رواه أبو نعيم في المسند المستدرك على صحيح مسلم (٢/ ١٣٧) وغيره ولكن رواية (أين الله) عند مسلم شاذة لا يستشهد بها في مجال العقيدة لأنها سؤال عن مكان، وإنما المكان من لوازم الحدثات، ولعل هذه الكلمة (أين الله) هي تصرف من بعض الرواة، ولكن الرواية الصحيحة هي؛ ما جاءت في مصنف ابن أبي شيبة ت كمال الحوت (٦/ ١٦٢) بلفظ: عن ابن عباس عن الحكم يرفعه أن رجلا أتى النبي ﷺ وقال: إن على أمي رقبة مؤمنة وعندي رقبة سوداء أعجمية فقال: إئت بها فقال: أتشهدين أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قالت: نعم قال: فأعتقها، وما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢١٥) أن رجلا أتى النبي ﷺ وقال: إن على أمي رقبة مؤمنة وعندي رقبة سوداء أعجمية، فقال: ائت بها، فقال: أتشهدين أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قالت: نعم، قال: فأعتقها. وما رواه عبد الرزاق في مصنفه (٩/ ١٧٥) بإسناد صحيح ولفظه: رجل من الأنصار جاء بأمة سوداء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! إن علي رقبة مؤمنة، فإن كنت ترى هذه مؤمنة، فقال لها النبي ﷺ: أتشهدين أن لا إله إلا الله؟ قالت: نعم، قال: أتشهدين أني رسول الله؟ قالت: نعم، قال: أتؤمنين بالبعث بعد الموت؟ قالت: نعم، قال: أعتقها وقد رواه البيهقي في السنن الكبرى في عدة مواضع (٧/ ٣٨٨) باب وصف الإسلام، (١٠/ ٥٧) باب ما يجوز في العتق، (٧/ ٩٩٨) (١٠/ ١١٩) ورواه أيضاً في كتاب معرفة السنن والآثار (١٢/ ٣٠٠) ورواه في تكملة مسند البزار طبعة دار العلوم والحكم ترقيم سعد الحميد ١٠/ ١٥ ورواه الطبراني في الكبير في المواضع التالية: (١٢/ ٢٦) عن ابن عباس (٢٢/ ١١٦) عن أبي جحيفة، (١٠/ ١٧٣) عن ابن عباس، (١٥/ ٤٩١) عن أبي جحيفة، ورواه في الأوسط (٥/ ٣٥٠) (٧/ ١٢٩) (١٥/ ٣٤٦) ورواه ابن الجارود في المنتقى ص (٢٣٤) باب ما جاء في الأيمان، ورواه الدارمي في السنن (٢/ ٢٤٤) باب إذا كان على الرجل رقبة مؤمنة، ورواه ابن أبي شيبة في كتاب الأيمان (١/ ١٨٤) ورواه ابن خزيمة في صحيحه بثلاث روايات؛ واحدة بلفظ أين الله؟ والثانية بقوله: من ربك، والثالثة: أتشهدين أن لا إله إلا الله؟ انظر أرقام الأحاديث: (١٨٥، ١٨٧) وجاء في هذه الروايات: أنها أعجمية لا تفصح (أي لا تحسن الكلام بالعربية) والذي لا يحسن النطق بلغة خوطب بالإشارة، ثم قال ابن خزيمة: هاتان الروايتان هما متنان لا متنا واحدا، أي أن كل رواية واقعة مستقلة عن الأخرى، قال: وفي خبر الزهري أجابت السوداء بنطق نعم بعد الاستفهام لما قال لها: أتشهدين أن لا إله إلا الله وفي الخبر أنها قالت:

من أنه فرض كفاية، ولكنّك بنيت بما قدّمته من الأحاديث التي تفيد الإطلاق، إذا كان الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فرض كفاية، وإن كان كذلك فما وجه تعيينه عليك دون من سواك؟ وأنا أقول لكم: ليس الشأن في جمع النصوص إن رمت الكتابة، إنما الشأن أن تضع النصوص مواضعها، وهي من أنواع الحكمة التي قال فيها تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ البقرة: ٢٦٩، وأما استدلالكم

نعم وكذا عن الاستفهام قال لها: أتشهدين أني رسول الله؟ قالت: نعم نطقا بالكلام، والإشارة باليد ليست كالنطق بالكلام، وفي خبر الزهرى زيادة الامتحان بالبعث بعد الموت لما استفهمها أتؤمنين بالبعث بعد الموت فافهموا لا تغالطوا. (قلت) هذه الروايات بمجموعها دلت على:

- قول السلفية عن الجارية أنها أشارت بإصبعها إلى السماء عند الاستفهام عن عقيدتها لا يعني أن الله في السماء، لأنها (كما ورد) لا تفصح، أي لا تحسن النطق بالعربية، ومن كان كذلك لا يحسن التخاطب معه إلا بالإشارة، وكيف يستفهم معه عن الله تعالى إلا بالإشارة الى السماء، مع اعتقادنا أنه ليس حالا فيها.

- رواية (أين الله) شاذة لأنها خبر آحاد، عارضت مجموعة الروايات الكثيرة التي جاءت بقوله عليه الصلاة والسلام: من ربك يا جارية؟ مرة، و أتشهدين أن لا إله إلا الله؟ وأني رسول الله؟ وتؤمنين بالبعث بعد الموت؟ وكلها أسانيد صحيحة، ومعلوم أن الرواية الصحيحة إذا عارضت روايات صحيحة تعتبر شاذة، أي ضعيفة، ولم يقلها النبي ﷺ وربما تكون من تصرف بعض الرواة رواها بالمعنى، فلا تصلح للاحتجاج بها لأنها ضعيفة ظنية الدلالة والثبوت، ومن كان هذا صفته لا يقوم مع الأقوى منه دلالة وثبوتا.

- المعروف من حديث النبي ﷺ أنه لم يقل ولو مرة واحدة أن الله في السماء، وأن ما جاء من هذا القبيل كله إما موضوع أو واهي السند، وإنما المحفوظ من سيرته عليه الصلاة والسلام هو تنزيه المولى جل وعز عن سمات المحدثات، لذا اعتبرنا أن الروايات الثابتة عنه هي عكس هذه الرواية الشاذة، وهي قوله: من ربك؟ وتشهدين أن لا إله إلا الله، وتؤمنين بالبعث بعد الموت؟

سمعت شيخنا الشيخ عبد الكريم بن حماد عرابي حفظه الله يقول: لـمَ تعدل عن إيمان أبي بكر وعمر وعثمان وعلي الى إيمان جارية حبشية لا تحسن الكلام بلغة القرآن، لو قال أبو بكر: إن الله في السماء، أكان يُقبل منه؟؟

بقوله عليه الصلاة والسلام: ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا[٤٠] الخ الحديث يجري فيه من جهة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما تقدم، وأما ما يتعلق بما ذكرته من الحديث فأقول: يدخل في قوله: (من لم يرحم صغيرنا) عوام الأمة لأنهم صغار وإن كانوا كباراً في السن، ويدخل في الكبار خواصها وإن كانوا صغاراً في السن، لأن الإنسان يعتبر بنفسه لا ببدنه، وعلى هذا يكون لكم مساس من الحديث أنكم ما ترحمتم بالصغار الذين هم عوام المسلمين، بأن خاطبتموهم باللين والملاطفة، وترحمتم عليهم ترحم الأب الكبير على الابن الصغير، بل خاطبتموهم بعنف وحملتم عليهم بكل ما عندكم، وما وقرتم الكبار أيضاً الذين هم ينابيع الحكمة ودعائم دين هذه الأمة، وقلتم ببطالتهم وجهالتهم، واتخذتموهم أعداء بما نقلتموه من حديث ابن عباس عن رسول الله ﷺ تقربوا إلى الله ببغض أهل المعاصي[٤١] الخ فطبقته عليهم فيا لله العجب!! كيف تسنى لك أن تطلق هذه النقول على من اجتمع على ذكر الله وما في معناه؟؟!

وبالجملة أن جميع ما استطردتموه من الدلائل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا نزاع فيه، إنما النزاع في معنى المنكر ما هو؟ حتى لا ننكر حقاً أو ما هو بالحق أشبه منه بالباطل، ولئن تخطئ في تصويبات ما عليه إخوانك في الدين، خير لك من أن تصيب في تخطيئاتهم، ألم تعلم أن أعراض المسلمين معصومة كأموالهم ودمائهم بمجرد النطق بالشهادتين، ثم أنكم استطردتم قول ابن أبي زيد القيرواني

---

[٤٠] رواه الطبراني في الأوسط (٥/ ١٠٤) والربيع في مسنده (١/ ٢٣١).

[٤١] رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٥٧).

رضي الله عنه في رسالته وهو قوله: "ومن الفرائض؛ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على من بسطت يده في الأرض، وعلى كل من تصل يده إلى ذلك، فإن لم يقدر فبلسانه فإن لم يقدر فبقلبه" فأقول: هذا معنى حديث، ولعله لم يصلكم ونصه: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[٤٢] وهذا من حسن أسلوب الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

❖ الجذع الخامس

وأما نقلكم عن ابن عرفة من أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، ليس فيه شيء مما يزيد في عزيمتك لجمع هذه الرسالة، فيا ليتك اقتصرت على ما ذكرته من الأحاديث السالفة من جميع ما تقدم؛ أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين على كل من تميز لديه المنكر من المعروف، والحلال بيِّن والحرام بيِّنٌ، وعند الشبهة يتعين الوقوف، غير أن كيفية التغيير تختلف باختلاف الأشخاص والأماكن قدرة وعجزا، فمن كانت له القدرة على تغيير المنكر كولاة الأمور فهو واجب عليه بالفعل، ولا مندوحة له في تركه مع القدرة كما تقدم، ومن لم يصل لهذه الرتبة من علماء المسلمين، ففرضه أن يغيره بلسانه، ومن لم يستطع لعارض فليغيره بقلبه، وذلك أضعف الإيمان كما تقدم في الحديث.

---

[٤٢] رواه مسلم في صحيحه (١/ ٦٩) وابن حبان في صحيحه (١/ ٥٤٠، ٥٤٢) وغيرهما.

❖ الجذع السادس

وبعد ذلك استطردتم جملة ركيكة الألفاظ قلتم فيها: "فمن الواجب أيضاً اتباع الحق والسنة المحمدية، واقتفاء آثار السلف الصالح رضي الله عنهم، فإن من عادتهم أن من اتبع السنة أحبوه واعتقدوه وعظموه، ومن كان على غير ذلك تركوه وأهملوه ومقتوه، حتى كان من يريد الرفعة عندهم من الذين لا خير فيهم يظهر لهم الأتباع حتى يعتقدوه على ذلك".

أما قولكم: "فمن الواجب أيضا اتباع الحق" أقول: إنه من أوجب الواجبات، لكن عند من عرف الحق واتضح لديه، أما من كان في لبس، يتخبطه الشيطان من المس، فمن أين له أن يعرف الحق؟ وحتى إذا عرفه يعرفه بالرجال، وهذا لا يتمكن له اتباع الحق إلا إذا فتح الله بصيرته، وطهر سريرته من سوء الظن بالصالحين، قال الإمام علي كرم الله وجهه: لا تكن ممن يعرف الحق بالرجال ولكن اعرف الحق تعرف أهله[٤٣] ثم أنكم ذكرتم من أوصاف السلف الصالح؛ أنهم يحبون من يتبع السنة، وأي مؤمن يؤمن بالله ورسوله لا يحب أهل السنة؟ ورسول الله ﷺ يقول: ألا لا إيمان لمن لا محبة له[٤٤] ألم تعلم أن الصوفية التي قلت ببطالتهم وجهالتهم وضلالتهم، جعلوا المحبة أساساً لطريقتهم؟؟ ولكن لعلك تعني بأهل السنة من كان على شاكلتكم، لا عموم المسلمين والله أعلم.

---

[٤٣] انظر تفسير القرطبي (١/ ٣٤٠) فيض القدير (١/ ٢١٠، ٤/ ١٧).

[٤٤] رواه أبو يعلى (١/ ١٣٢) والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٢٠) عن أنس.

❖ الجذع السابع

ثم إنكم ذكرتم من أعمال السلف؛ أن من كان على غير السنة تركوه وأهملوه ومقتوه إلى آخر كلام واهي التركيب، وإلى الآن لم يظهر ما أردتم بمن هو مخالف للسنة، لولا أنك أتيت بأبلغ تشبيه فيمن تقع عليه النصوص السابقة واللاحقة فقلتم: كمتصوفة أهل زماننا.

وإني أقول: الآن استهل الجنين من بطن الشيخ صارخا[٤٥] فعلمنا حينئذ ما هو المنكر الذي نوهت بـه، وما هو السبب الذي وضعت الرسالة من أجله، فكانت عندك نسبة القوم من أعظم المناكر[٤٦] وما ذكرته بعدها ونبهت عليه من الموبقات إنما هو على سبيل الاستطراد، لأن الأهم له الصدارة في كل شيء إلا أن يقال: قدّم صاحب الرسالة ذكر المتصوفة لأجل التبرك بهم وما أظن.

وحاصل الأمر؛ أن ما أشرت إليه من المناكر، ونوهت به من البدع حصره التشبيه في قولك: كمتصوفة أهل زماننا، فلم يبق حينئذ منكر خارج على ما عليه المتصوفة حتى نتوقاه، وكل هذا لم يستفزنا حيث قيدت المتصوفة بأهل زماننا لو لم تستطرد ما ذكره الطرطوشي؛ من أن

---

(٤٥) هذا من باب الكناية في اللغة، فإن المقصد من الزواج هو الولد، فإذا نزل الجنين من بطن أمه لمسه شيطان فيصرخ، فيعلم أهله أنه حي، فيستبشرون بولادته، وهذا نهاية ما يؤملونه، وهذا من ضرب المثال الذي أراده المؤلف وهو؛ أن المنكر جاء في كتابه بمقدمات وكلام طويل وحشو، ثم بعد ذلك دخل في مقصوده من تأليفه وأفصح عن المقصود بقوله، وهو إصدار فتواه بكفر الصوفية وبطلان مذهبهم، وأن ما يفعلونه في زواياهم من الاجتماع للذكر ومدحهم النبي ﷺ والصلاة عليه وغير ذلك من العبادات إنما هو من أعظم المنكرات بنظر هذا المنكر، نسأل الله السلامة من سوء الاعتقاد بالمسلمين.

(٤٦) جمع منكر.

مذهب التصوف عموماً بطالة وجهالة وضلالة، ويا ليتها لم تبلغك مقالة الطرطوشي لتبقى نقي الفؤاد من الطعن فيمن مضى من أهل الإرشاد، والله يحكم بينك وبين من عاصرك من العباد.

❖ الجذع الثامن

ثم إنك قلت: إن الغالب من حال أهل هذه الزمان الذين انغمسوا في خابية أهل البدع، النفور من الذي ينهاهم عن بدعهم وعوائدهم الذميمة التي لم تصادف قولاً بالجواز ولو خارج مذاهب الأئمة المقتدى بهم.

قلت: لعل المراد من قولكم: الذين انغمسوا في خابية أهل البدع هم طوائف الفقراء وإن كان كذلك فما أجسرك من فقيه! وما أحسنك من نبيه!! فقد يظن المتهور أن من الشجاعة قلة الحياء، ولم يعلم أن الحياء من الإيمان، والذي أدهى وأمر من هذا هو؛ قولك في بدعتهم: إنك لم تصادف لها قولاً بالجواز ولو خارج المذاهب المقتدى بهم، فقد فحصت وأوجزت بارك الله فيك، فقل لي بالله عليك: ما هو أسلوب التذكير فانقاد لهم بسبب ذلك الكبير والصغير، والجليل والحقير، كلامهم مقبول في الأسماع، لأن وعظهم بارز من القلوب لا من الكتب، والكلام إذا برز من القلب وقع فيه، فلهذا أثرت في القلوب موعظتُهم، وسرت في المريدين إشارتهم، وقد فهموا من الآية الكريمة أن الناس جاءت على أزواج ثلاث؛ والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: أنزلوا الناس منازلهم[٤٧] فالقسم الأول من الأقسام؛ لا ينقاد للمذكر إلا بالحكمة، وهم

---

[٤٧] صحيح مسلم (١/ ٦) سنن أبي داود (٤/ ٢٦١).

الخاصة من عباد الله، والقسم الثاني: تفيده الموعظة الحسنة الواقعة بين ترغيب وترهيب برفق وملاطفة، القسم الثالث: أهل المجادلة، وهو الذي أتعب المرشدين رسولاً ووليا فأباح الله تعالى للرسول فتح باب المجادلة معه، إلا أنه قيدها بالتي هي أحسن، وهكذا الأحسن فالأحسن، ولهذا كان السيف هو آخر درجات التبليغ، ومن تخلف عن هذه الخطة المشروعة للتذكير ففي الغالب يكون أمره مردوداً عليه، وكل ذلك يستفاد من قوله عليه الصلاة والسلام: من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف(٤٨) أي برفق ولين ليكون أدعى للقلوب والله أعلم.

❖ الجذع التاسع

ثم إنكم بعد ما فرغتم من مقدمة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر توجهتم لتغيير ما اعتقدتموه منكراً وهو؛ ما عليه الصوفية من الاجتماع على الذكر، والصلاة على النبي وتلاوة القرآن قلتم:

فصل

سئل البصري(٤٩) عن اجتماع جماعة من أهل السنة والجماعة يقرءون القرآن في بيت أحد، ويصلون على النبي ﷺ ويدعون لأنفسهم ولجماعة المسلمين، فنهى عن ذلك أشهد النهي، لأنه لم يكن من عمل

---

(٤٨) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٩٩) والديلمي في الفردوس (٣/ ٥٨٥).

(٤٩) أبو سعيد الحسن بن يسار إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمانه ولد في المدينة لستين بقيتا من خلافة سيدنا عمر، شب في كنف سيدنا علي، أخذ الطريق عن سيدنا علي رضي الله عنه، وإليه ينتهي سند طريق التصوف، توفي سنة (١١٠) هـ.

السلف الصالح، فليس من الدين، فقد كانوا أحرص الناس على الخير من هؤلاء، فلو كان فيه خير لفعلوه.

قلت: فإذا كان هذا الذي ضاق به صدرك من أحوال القوم حتى أنك لم تجد له قولاً بالجواز، حيث أنهم يجتمعون في بيت أحدهم يقرءون القرآن، ويصلون على النبي ﷺ ويدعون لأنفسهم ولجماعة المسلمين، فظهر لك أنه معصية مخالف لما كان عليه السلف، فأنا أقول: اللهم اجعل معاصينا ومعاصي أصدقائنا، بل ومعاصي عموم المسلمين من هذا القبيل، إن كان الاجتماع على وجه ما ذكرتم، وإن كان فيه زلة لم تتضح، فالله يعصمنا وإياكم من الزلل.

ثم أقول: إن هذا النقل إن صح عن الحسن رضي الله عنه فلا يفيدنا عموم النهي عن الاجتماع بصفة ما ذكر، وإن كان الحسن مجتهداً فلا يبعد أن يكون مجتهدٌ غيره في عصره، إن لم نقل في تلك الجماعة نفسها، لأن العصر هو عصر التابعين، وثانياً: إن هذه الواقعة تصلح أن تكون حجة للصوفية لا عليهم، حيث أنكم قررتم أن الاجتماع وقع بتلك الصفة في عصر التابعين، لأن المتعين علينا الاهتداء بهداهم، وهل تظن أن هاتة الطائفة الميمونة وضعت دعائمها على غير أساس متين؟ أولم تعلم أن الحسن البصري الذي نقلت عنه هو أستاذ هاته الطائفة -كما هو مشهور في سلسلة القوم- لقنه الإمام علي كرم الله وجهه؟ وهو لقن داوداً الطائي وحبيباً العجمي وغيرهما، إلى أن وصلت إلى الجنيد، ومن طريق آخر أن الإمام علياً كرم الله وجهه لقن ابنه الحسن رضي الله عنهما، وهو لقن أبا محمد جابر، وهو لقن السيد سعيداً القزويني إلى أن وصلت إلينا والحمد لله.

سند التلقين الصوفي

ولعلكم تجهلون أصل التلقين في الشرع ـ حسبما يظهر ـ وإلا لما أنكرتم التصوف وأهله، ولهذا لزمني أن أستطرد لك جملة؛ إما أن تكون حجة لك أو عليك حجة، ذكر الإمام الشعراني[٥٠] في كتابه النفحات القدسية في بيان قواعد الصوفية[٥١] ما نصه: قال الأشياخ: "والسر في التلقين؛ ارتباط قلوب المريدين بأشياخهم إلى رسول الله ﷺ إلى جبريل عليه السلام، إلى الله تبارك وتعالى في المحبة والانقياد، ولذلك كان الإنسان إن لم يقل لا إله إلا الله امتثالاً لقول رسول الله ﷺ قل لا إله إلا الله، لا يحكم بإسلامه، ويؤيد هذا قوله ﷺ: لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به" ثم قال: "أول ما يحصل للمريد إذا دخل سلسلة القوم بالتلقين يكون إذا دهمه أمر وتشوش منه قلبه واضطرب، جاوبته أرواح الأولياء من شيخه الأدنى إلى رسول الله ﷺ إلى حضرة الله عز وجل، فيزول كربه وهمه، ومن لم يدخل في طريق القوم بالتلقين فلا تجيبه روح أحد من أهل الطريق لعدم ارتباطه بهم، فحكم ذلك كسلسلة الحديد إذا حركت منها حلقة جاوبتها بقية الحلقات"[٥٢].

وإذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق: روى الطبراني والإمام احمد والبزار وغيرهم بإسناد حسن أن رسول الله ﷺ كان يوماً يجمع

---

[٥٠] الإمام القطب الحجة عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (٨٩٨ ـ ٩٧٣ هـ) ينتهي نسبه إلى سيدنا الإمام علي عليه السلام، توفي بمصر وله مقام مشهور رحمه الله.

[٥١] الصواب أنه (الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية).

[٥٢] الأنوار القدسية (١/ ٤٠) وقد رواه الشيخ ببعض تصرف.

من الصحابة فقال: هل فيكم غريب -يعني من أهل الكتاب- قالوا: لا يا رسول الله، فأمر بغلق الباب وقال: ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله، قال شداد بن أوس: فرفعنا أيدينا ساعة وقلنا: لا إله إلا الله، ثم قال رسول الله: اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة، وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد، ثم قال ﷺ: ألا فابشروا بأن الله تعالى قد غفر لكم[٥٣] ففي الحديث دلالة للأشياخ في تلقينهم الذكر للمريدين جماعة.

وأما تلقينهم فرادي فخرج الشيخان والحافظ جلال الدين السيوطي رضي الله عنهم من طرق متعددة حسنة أحاديثهم عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله دلني على أقرب الطرق الموصلة إلى الله عز وجل وأسهلها على العباد وأفضلها عند الله تعالى فقال: رسول الله ﷺ: يا علي عليك بمداومة ذكر الله سراً وجهرا، فقال رضي الله عنه: كل الناس ذاكرون وإنما أريد أن تخصني بشيء، فقال رسول الله ﷺ: يا علي أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله، ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع وضعن في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، لرجحت بهن لا إله إلا الله، ثم قال: يا علي لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله الله، فقال علي: كيف أذكر يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: غمض عينيك واسمع مني لا إله إلا الله ثلاث مرات، ثم قل أنت ثلاث

---

[٥٣] رواه البزار في مسنده (٧/١٥٧) وأحمد في المسند (٤/١٢٤) قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٨) رجاله موثقون.

مرات وأنا أسمع أهـ الحديث بمعناه في البعض[٥٤] فهذا أصل صلة القوم، وإنما أمر النبي ﷺ بغلق الباب في تلقينه أصحابه جماعة كما تقدم وقال:

---

(٥٤) هذا الحديث يحتج به الصوفية في إسنادهم إلى سيدنا علي رضي الله عنه، وبعد البحث لم أجده في شيء من كتب الحديث، وإنما هو مزيج من عدة أقوال، منها ما ينسب لكلام النبوة، ومنها ما ينسب لغير ذلك، ويؤيد ذلك قول المؤلف رضي الله عنه في نهاية الحديث: انتهى بالمعنى في بعضه.

* أما لفظ: (دلني على أقرب الطرق..) لا يعرف من كلام سيدنا علي وإنما هو من كلام سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، فقد أخرج ابن حبان في صحيحه (١٤/ ١٠٢) باب ذكر سؤال كليم الله ربه أن يعلمه شيئا يذكره: قال: عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: قال موسى: يا رب علمني شيئا أذكرك به وأدعوك به قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله قال: يا رب كل عبادك يقول هذا قال: قل: لا إله إلا الله قال: إنما أريد شيئا تخصني به قال: يا موسى لو أن أهل السماوات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهم لا إله إلا الله انتهى.

وأخرجه أيضاً الهيثمي في موارد الظمآن ١/ ٥٥٧) والقرطبي في تفسيره (١/ ٢٥٩) قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزواد (١٠/ ٨٢): وعن أبي سعيد قال: قال موسى عليه السلام: يا رب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله قال: كل عبادك يقول هذا قال: قل: لا إله إلا الله قال: لا إله إلا أنت إنما أريد شيئا تخصني به قال: يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله رواه أبو يعلى ورجاله وثقوا وفيهم ضعف.

وأما قول النبي ﷺ: لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول: الله الله فهذا حديث صحيح رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٣١) وأما لفظ: (غمض عينيك) فلا يوجد له أصل فيما لدينا من كتب الحديث.

ولكن سند القوم متصل بالنبي ﷺ وتواترت بذلك الأخبار، فقد صح لنا الانتساب وثبت عندنا كشفاً وحساً، فأما من طريق الكشف فما عاينه أهل البصائر من اتصال السند من أشياخنا إلى سيدنا رسول الله ﷺ مئات المرات، بوقائع حضرها سيد الوجود ﷺ وأما الاتصال الحسي فقد أخذنا الطريق عن أشياخنا عن أشياخهم بالتلقين والبيعة يداً بيد، من أول السند إلى منتهاه، ومن شروط البيعة عند الأشياخ أن لا يلقنون غائباً، وكل واحد يقول إذا لقن أحداً من المريدين: أجزتك بما أجازني به شيخي فلان بقراءة ورد هذه الطريقة التي يتصل سندها إلى رسول الله ﷺ وهكذا ما من شيخ إلا ويذكر ذلك، فحكم هذا السند حكم الحديث المسلسل، إذ هو تلقين مسلسل.

ومما ثبت عندنا بالطريق الحسي الأثبات (وهي صورة الإجازات التي أخذ الأشياخ عن أشياخهم) فالأثبات عندنا بسند هذه الطريقة كأثبات المحدثين في إجازاتهم بالحديث إلى رسول الله ﷺ فقد جاء في عجائب الآثار للجبرتي (١/٣٤٦) وما بعدها عن صورة أخذ عهد الأشياخ على مريديهم وسندهم إلى رسول الله ﷺ: هذه صورة أخذ العهد أرسلها إليه السيد البكري الصديقي الخلوتي حين أذنه بأخذ العهود على طريقة السادة الخلوتية، ونص ما كتب كيفية المبايعة للنفس الطائعة أن يجلس المريد بين يدي الأستاذ ويلصق ركبته بركبته والشيخ مستقبل القبلة، ويقرأ الفاتحة ويضع يده اليمنى في يده مسلما له نفسه مستمدا من إمداده ويقول له قل معي: استغفر الله العظيم ثلاث مرات ويتعوذ ويقرأ آية التحريم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ التحريم.

ثم يقرأ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ الفتح، اقتداء برسول الله ﷺ ثم يقرأ فاتحة الكتاب ويدعو الله لنفسه وللآخذ بالتوفيق، ويوصيه بالقيام بأوراد الطريق قال: ورأيت أيضا بظهر الثَّبَت المذكور ما نصه: ثم رأيت في الفتوحات الإلهية في نفع أرواح الذوات الإنسانية، وهو كتاب نحو كراس لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ما نصه: إذا أراد الشيخ أن يأخذ العهد على المريد فليتطهر وليأمره بالتطهر من الحدث والخبث ليتهيأ لقبول ما يلقيه إليه من الشروط في الطريق، ويتوجه الى الله تعالى، ويسأله القبول لهما، ويتوسل إليه في ذلك بمحمد ﷺ لأنه الواسطة بينه وبين خلقه، ويضع يده اليمنى على يد المريد اليمنى، بان يضع راحته على راحته، ويقبض إبهامه بأصابعه، ويتعوذ ويبسمل ثم يقول: الحمد لله رب العالمين، استغفر الله العظيم الذي لا اله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ويقول المريد بعده مثل ما قال، ثم يقول: اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وأولياءك اني قد قبلته شيخاً في الله ومرشدا وداعيا إليه، ثم يقول الشيخ: اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبياءك أني قد قبلته ولدا في الله فاقبله وأقبل عليه وكن له ولا تكن عليه، ثم يدعو كأن يقول: اللهم أصلحنا وأصلح بنا، واهدنا واهد بنا، وأرشدنا وارشد بنا، اللهم أرنا الحق حقا وألهمنا اتباعه، وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه اللهم اقطع عنا كل قاطع يقطعنا عنك، ولا تقطعنا عنك، ولا تشغلنا بغيرك عنك انتهى.

واعلم ان سلسلة القوم هذه في كيفية اخذ العهد والتلقين مروية عن النبي ﷺ وهو يرويه عن جبريل وهو يرويه عن الله عز وجل، وفي بعض الروايات روايته عن رؤساء الملائكة الأربع

والنبي ﷺ لقن عليا رضي الله عنه، وصورة ذلك كما في ريحان القلوب في التوصل الى المحبوب لسيدي يوسف العجمي أن عليا سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على اقرب الطرق الى الله تعالى، فقال: يا علي عليك بمداومة ذكر الله في الخلوات، فقال علي رضي الله عنه: هذا فضيلة الذكر وكل الناس ذاكرون، فقال رسول الله ﷺ يا علي لا تقوم الساعة وعلى وجه الارض من يقول الله الله، فقال علي: كيف أذكر يا رسول الله؟ قال: غمض عينيك واسمع مني ثلاث مرات، ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا اسمع، فقال النبي ﷺ لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته وعلي يسمع، ثم قال علي: لا اله الا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعاً صوته والنبي ﷺ يسمع ثم لقن علي الحسن البصري رضي الله عنهما على الصحيح عند أهل السلسلة الأخيار من المحدثين، قال الحافظ السيوطي: الراجح أن البصري أخذ عن علي، ومثله عن الضياء المقدسي، ومن المقرر في الأصول أن المثبت مقدم على النافي، ثم لقن الحسن البصري حبيباً العجمي، وهو لقن داود الطائي، وهو لقن معروفاً الكرخي، وهو لقن سَرياً السقطي، وهو لقن أبا القاسم سيد الطائفتين الجنيد البغدادي، وعنه تفرقت سائر الطرق المشهورة في الاسلام.

قلت: بعدما تبين هذا فلا يضر القوم أن هذا الحديث لم يوجد في كتب المحدثين، لأن سند القوم ثبت بطريق التلقين شفهياً يداً بيد، وصورة هذا الثَبَت هي للشيخ يوسف العجمي وهو من أعيان القرن الثامن، وقد جاء فيها أن الحسن البصري أخذ عن سيدنا علي، وهذا هو المتنازع فيه، إذ أن غاية ما تنازع فيه المنكرون لهذا السند هو قولهم بعدم التقاء الحسن بسيدنا علي، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من البحث لنكشف الرين عن هذه الشبهة فأقول:

إن الحسن البصري رضي الله عنه هو من أعيان التابعين باتفاق المحدثين، ومعنى ذلك أنه التقى بكثير من الصحابة، فقد كان مولده لسنتين بقيتا من خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه، وسيدنا علي لم يخرج من المدينة إلا بعد تسلمه الخلافة بعد مقتل سيدنا عثمان بأربعة أشهر، وعليه فيكون عمر الحسن إذ ذاك أربع عشرة سنة، فقد كان خروجه في آخر ربيع الثاني سنة ست وثلاثين للهجرة، وقد كانت أمه خُيرة مولاة لأم سلمة رضي الله عنها أم المؤمنين، لذا فقد ربي في حجرها، ولذلك كان الحسن يدخل سائر بيوت أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فقد أخرج البخاري في الأدب المفرد (١/ ١٦٠) برقم (٤٥٠) عن حريث بن السائب قال: سمعت الحسن يقول: كنت أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان بن عفان فأتناول سقفها بيدي، وعلي رضي الله عنه كان يزور أمهات المؤمنين ويتردد إليهن في مصالحهن بوصية من النبي ﷺ وعليه فقد صح التقاء الحسن بسيدنا علي.

ومما يثبت التقاء الحسن بسيدنا علي رواية بعض المحدثين أحاديث في إسنادها رواية الحسن عن علي فمن ذلك:

* ما رواه الحاكم في مستدركه برقم (٨١٧٠) (٤/ ٤٣٠): قال: أخبرنا أبو بكر بن إسحاق أنا علي بن عبد العزيز ثنا همام عن قتادة عن الحسن عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: رفع القلم عن ثلاث؛ عن النائم حتى يستيقظ، وعن المعتوه حتى يعقل، وعن الصبي حتى يشب، ورواه الترمذي في سننه (٤/ ٣٢) ورواه الضياء في المختارة (٢/ ٤١) ورواه احمد في مسنده (١/ ١١٦).
* حديث (أفطر الحاجم والمحجوم) رواه غير واحد من الحفاظ عن الحسن عن علي منهم: البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٦٥): حيث قال: ورواه مطر عن الحسن عن علي عن النبي ﷺ.
* حديث (اللقيط) فقد رواه البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٠٢) حيث قال: أخبرنا أبو نصر عمر بن عبد العزيز بن قتادة أنبأ أبو الحسن محمد بن الحسين بن إسماعيل السراج ثنا أبو خليفة ثنا أبو الوليد وابن كثير عن شعبة عن يونس عن الحسن عن علي رضي الله عنه أنه قضى في اللقيط أنه حر وقرأ هذه الآية وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين.
* وروى البيهقي أيضاً في السنن الكبرى (٨/ ٩٤) قال: أخبرنا أبو حازم أنبأ أبو الفضل بن خيرويه أنبأ أحمد بن نجدة ثنا سعيد بن منصور ثنا هشيم أنبأ يونس عن الحسن عن علي رضي الله عنه أنه كان يقول في الأعور إذا فقئت عينه قال: إن شاء أخذ الدية كاملا وإن شاء أخذ نصف الدية وفقأ بالأخرى إحدى عيني الفاقيء.
* وروى ابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ٨٢) برقم (١٨٠٢٨) قال: حدثنا أبو بكر قال: نا يزيد بن هارون ووكيع عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن علي أنه كان لا يرى طلاق المكره شيئا.
* وروى عبد الرزاق في مصنفه (٦/ ٤٠٩) برقم (١١٤١٤) قال: عن حماد بن سلمة قال: أخبرني حميد الطويل عن الحسن عن علي: أنه كان لا يرى طلاق المكره شيئا أخبرنيه عبد الوهاب وأما الثوري فحدثنا عن أبي إسحاق عمن سمع عليا يقول: الطلاق كله جائز إلا طلاق المعتوه.
* وروى عبد الرزاق في مصنفه أيضاً (٩/ ١٦٤) برقم (١٦٧٦٦) عن الأسلمي عن الحجاج بن أرطاة عن قتادة عن الحسن عن علي في رجل أعتق عبده عند الموت وترك دينا وليس له مال قال: يستسعى العبد في قيمته.
* وروى الشهاب في مسنده (٢/ ١٠٥) برقم (٩٧٩) قال: أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن عمرو المقري ثنا أبو محمد الحسن بن رشيق ثنا أبو علي الحسن بن علي بن حسن الأعسم ثنا يوسف بن مسلم ثنا عمرو بن حمزة ثنا صالح المري عن الحسن عن علي قال: قال رسول الله ﷺ وذكر حديثا وفيه إن الحكمة تزيد الشريف شرفا.
* وفي كتاب الزهد لهناد (٢/ ٤٣٧) برقم (٨٦١) قال: حدثنا ابن فضيل عن ليث عن الحسن عن علي قال: طوبى لكل عبد نؤمة عرف الناس ولم يعرفه الناس عرفه الله منه برضوان، أولئك

مصابيح الهدى يكشف عنهم كل فتنة مظلمة، سيدخلهم الله في رحمة منه ليس أولئك بالمذاييع البذر ولا الجفاة المرائين. انتهى

قلت: ومما وقع لي من هذا السند عن الحسن عن علي ما رويته مسلسلاً وهو الحديث المشهور المسلسل بالمصافحة، فأقول:

حدثني الشيخ محمد بن علوي المالكي رحمه الله في المسجد الحرام تجاه حجر إسماعيل، في الرابع من رمضان ١٤٢٠هـ وصافحني بيده قال:حدثني الإمام المحدث المسند النسابة السيد سالم بن جندان في المسجد الحرام ليلة الأحد الرابع من ذي الحجة عام ألف وثلاثمائة وتسعة وسبعين وصافحه بيدي قال: حدثنا السيد المعمر الكبير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن هاشم البار العلوي وصافحه بيدي بسربايا قال: حدثنا السيد أحمد بن عبد الله بن عيدروس البار العلوي قال: حدثنا السيد عبد الرحمن بن سليمان الاهدل الزبيدي قال: حدثنا أبو الفيض محمد مرتضى بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي الواسطى البلجرامي قال: حدثنا السيد سراج الدين أبو حفص عمر بن أحمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن علي السكران الحسيني الحضرمي المتوفى بمكة سنة ١١٧٤هـ أنا السيد أحمد بن الحسن الحداد والإمام شيخ بن جعفر بعبود والإمام العارف السيد الحسن بن عبد الرحمن عيديد العلوي التريمي قالوا: نا السيد محمد بن زين بن سميط العلوي الشبامي والسيد الحسن بن عبد الله الحداد والسيد أبو بكر بن أحمد بن أحمد الشبلي المدني أنا القطب الرباني عبد الله بن علوي بن محمد الحداد، أنا القطب العطاس عمر بن عبدالرحمن بن سالم العطاس العلوي الحسيني أنا السيد الحسين بن أبي بكر سالم العلوي الحسيني العيناتي أنا الشيخ والدي أبو بكر بن سالم بن عبد الله بن عبد الرحمن السقاف العلوي الحسيني الملقب بفخر الوجود نا عمر بن أبي بكر الشيباني العلوي التريمي أنا محمد بن عبد الرحمن الأسقع العلوي الحسيني الملقب بفخر الدين أنا السيد أبو بكر بن عبد الله العيدروس العلوي العدني نا والدي السيد عبد الله بن أبي بكر العيدروس السيد أنا والدي أبو بكر السكران أنا والدي السيد عبد الرحمن بن محمد السقاف أنا والدي السيد محمد بن علي المعروف بمولى الدويلة أنا والدي السيد علي بن محمد العلوي أنا والدي الامام الفقيه المقدم محمد بن علي بن محمد بن علي خالع قسم بن علوي بن محمد علوي بن عبيد الله بن أحمد المهاجر إلى الله بن عيسى النقيب التريمي أنا السيد سالم بن بصري بن عبد الله بن بصري بن عبد الله بن المهاجر أحمد البصيري بن عيسى النقيب بن الإمام محمد الأزرق الرومي بن علي العريضي بن الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين الحسين بن علي بن أبي طالب الحسيني التريمي المتوفى سنة ٦٠٤هـ أنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن محمد القرضي العدني التوفي سنة ٥٧١هـ أنا والدي شهاب الدين أحمد القرضي بعدن نا نور الدين أبو الأحسن علي بن أبي بكر العدني الحميري بالمسجد السعيد أنا سالم بن عبد الله بن محمد بن سالم الصنعاني أنا أبو العباس أحمد بن عبد الله التعزي نا أحمد الأسود نا الأستاذ نا أبو

هل فيكم غريب لدينه؟ على أن طريق القوم مبنية على الستر وصفاء الوقت من حضور من ليس منهم، ولا يؤمن بطريقتهم، فلربما احتقر ما هم عليه لقصوره.

قال يوسف الكوراني[٥٥] رضي الله عنه أن علياً كرم الله وجهه لقن الحسن البصري وهو لقن داوداً الطائي ومنه الإمام الجنيد شيخ الطائفة، وعنه تفرع وانتشر التصوف في أصحابه وهلمَّ جرّا، ولا ينقطع حتى ينقطع الدين أهـ بحروفه من النصرة النبوية.

وفي روح البيان عند قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۝١٠﴾ الفتح، قال صاحبه: من هنا تتخذ السنة المبايعة وتلقين المشائخ للمريدين، ومثل هذا لا يحتاج إلى بيان عند أربابه، إنما المتوقف على مثله قليل الإطلاع، ثم قل لي: أشهدك الله هل لك سند بالخصوص في لا إله إلا الله حسبما دلت عليه الأحاديث السابقة؟ وما أضن.

الحسن علي الرز يني بن رزين الخراساني نا ابن الروح عيسى القصار الكوفي نا الحسن بن أبي الحسين البصري قال: صافحت علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال: صافحت رسول الله ﷺ بكفي هذه قال: من صافحني أو صافح من صافحني إلى يوم القيامة دخل الجنة، وورد عنه ﷺ أنه قال: يا علي شابكني فمن شابكني دخل الجنة ومن شابك من شابكني إلى يوم القيامة دخل الجنة.

وبعد هذا فلا مانع أن يختص القوم بهذا الإسناد كما اختص المحدثون بإسناد الحديث عن رسول الله ﷺ ويتناقلونه بينهم.

(٥٥) يوسف بن عبد الله بن عمر الكردي ويعرف بالعجمي من أعيان الصوفية كانت له زاوية مشهورة في قرافة مصر وعدة زوايا في بلدان مختلفة له رسالة في شرائط التوبة ولبس الخرقة سماها 'ريحانة القلوب في التوصل إلى المحبوب' وذكر فيها سنده في طريق التصوف، توفي سنة ٧٦٨ هـ له ترجمة في الدرر الكامنة (٤/ ٤٦٣).

ولنرجع إلى الكلام على الإجتماع أن كان حسبما ذكر أعلاه فأقول: بالله عليك أي ضرر يلحق الدين إذا اجتمعت شرذمة من المسلمين في بيت من بيوت الله، أو في أي بيت من بيوت المؤمنين على تلاوة القرآن وما هو من هذا القبيل؟ فإن كان استبعادك لمجرد ما نقلته من أن رجلاً ذهب إلى الحسن البصري فأخبره بذلك الاجتماع فنهى عنه أشد النهي حسبما ذكرت، فهو دليل لا تقام الحجة به على صحته، لأنه معارض للأثر الصحيح والحديث الصريح، وحتى لو قلنا أنه لا نص في مشروعية الاجتماع على ذكر الله وما والاه، لا يجوز الاعتراض على ذلك خصوصاً لما قد صح عندك من أنه كان في عصر التابعين، وصدر فعلُه من أئمة الدين الذين اجتمع غالب الأمة على عدالتهم ومكانتهم في الدين، وفي ظني أنه لا يتجاسر غيرك من علماء المسلمين أن يقول: لا خير في الاجتماع على ذكر الله، ولو لم يكن فيه أقل نص يؤذن بالجواز، فكيف والآثار مشحونة بالترغيب فيه، والأمة مطبقة على ندبه، ويا لله العجب ! كيف بلغك ما ورد عن الحسن البصري رضي الله عنه في النهي عن الاجتماع لأجل الذكر، وأنه شدد النكير على ذلك، ولم يبلغك ما ورد عن رسول الله ﷺ فيما أخرجه مسلم والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن لله ملائكة سيارة فضلاء يلتمسون حلق الذكر في الأرض، فإن أتوا على مجلس حف بعضهم بعضا بأجنحتهم إلى السماء، فيقول الله عز وجل من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادك يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك، ويهللونك، ويسألونك، ويستجيرونك، فيقول: وما يسألون؟ وهو أعلم بهم، فيقولون: يسألونك الجنة، فيقول: هل رأوها؟ فيقولون: لا يا رب،

فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقول: ومِمَّ يستجيرونني؟ وهو أعلم بهم فيقولون: من النار فيقول: هل رأوها؟ فيقولون: لا، فيقول: كيف لو رأوها؟ ثم يقول: أشهدكم أني قد غفرت لهم، وأعطيتهم ما يسألوني وأجرتهم مِمَّ استجاروا، فيقولون: ربنا إن فيهم عبداً خطاءً جلس إليهم فيقول: قد غفرت له أيضاً هم القوم لا يشقى بهم جليسهم[٥٦] فانظر بارك الله فيك هذه الجماعة التي أخبرت بها الملائكةُ ربَّ العالمين، أليست هي نظيرة الجماعة التي أخبر بها الرجلُ الحسنَ البصري إن لم نقل هي نفسها؟ وقلتم: إنه شدد النكير، فما بالُ اللهِ سبحانه وتعالى يوسع على الذاكرين ويَعِدُهم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؟!! وأنتم قابلتموهم بالنقمة نظير ما قابلهم الله به من رحمة، فما بالك تركتَ ما أفتى به الحق سبحانه وتعالى في أهل مجالس الذكر على لسان رسوله؟ وتحوجت لما وراء ذلك؟ فأخذت تقابل الشيء بنقيضه! أو ليس هذا منك تحريفاً في شرع الله؟ فهيهات أن تنجح مقاصدك فيما حاولته، لأن الأحاديث الصحيحة جاءت في مدح مجالس الذكر أفواجا، فبحر السنة يتدفق بها أمواجا، لنورد لك منها نبذة تكون ـ إن شاء الله ـ لدائك علاجا، أو لم يبلغك أنه كان ﷺ يشتهي أن يحضر مجلساً من مجالس الذكر؟ يستبدله بالدنيا وما فيها؟ روى البيهقي عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لئن أذكر الله تعالى مع قوم بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس، أحب إليَّ من الدنيا وما فيها، ولئن أذكر الله مع قوم بعد صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس، أحب إلي من الدنيا وما فيها[٥٧] ومثله ما

---

[٥٦] رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦٩) والحاكم في المستدرك (١/ ٦٧٢) وغيرهما بسند صحيح.

[٥٧] لم أجده عند البيهقي، لكن رواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٥).

رواه أبو داود عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: لئن أقعد مع قوم يذكرون من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلي من أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولئن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل[٥٨] وقال أيضاً: إن لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء ويقول الحق تبارك وتعالى: أشهدكم أني قد غفرت لهم، فيقول ملك من الملائكة: يا رب فيهم فلان الخطاء، وإنما مرّ فجلس معهم قال: فيقول الله تبارك وتعالى: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم[٥٩] وقال معاوية رضي الله عنه: خرج رسول الله ﷺ على حلقة من أصحابه فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا، قال: آللهِ ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذلك، قال أما إني لم أستحلفكم تهمةً لكم، ولكن أتاني جبريل فأخبرني: أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة[٦٠] وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: يقول الله عز وجل يوم القيامة: سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم، فقيل: ومن أهل الكرم يا رسول الله؟ قال: أهل مجالس الذكر[٦١] وقال أيضاً: ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل، لا يريدون بذلك إلا وجهه، إلا

---

[٥٨] سنن أبي داود (٣/ ٣٢٤).

[٥٩] رواه المؤلف رحمه الله مختصراً، انظر صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٩) المستدرك (١/ ٦٧٢) مسند أحمد (٢/ ٢٥١، ٣٥٨، ٢/ ٣٨٢) مسند الطيالسي (١/ ٣١٩) شعب الإيمان (١/ ٤٠٠).

[٦٠] رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٥) وأحمد في مسنده (٤/ ٩٢).

[٦١] رواه ابن حبان في صحيحه (٣/ ٩٨) وأحمد في مسنده (٣/ ٦٨، ٧٦) وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٣١٣).

ناداهم منادٍ من السماء: أن قوموا مغفوراً لكم، قد بُدِّلتْ سيئاتكم حسنات[٦٢] وقال أيضاً: إن لله تبارك وتعالى سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر، فإذا أتوا عليهم حفوا بهم[٦٣] وقال أيضاً: غنيمة مجالس الذكر الجنة[٦٤] وقال أيضاً: إن لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر في الأرض، فارتعوا في رياض الجنة، قالوا: أين رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر، فاغدوا وروحوا في ذكر الله، وذكّروه أنفسكم...[٦٥] إلى آخر الحديث، وقال: ما من قوم يذكرون الله تعالى إلا حفت بهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فمن عنده[٦٦] وأخرج الأصفهاني في الترغيب عن أبي رزين أن رسول الله ﷺ قال له: ألا أدلك على ملاك الأمر التي تصيب به خير الدنيا والآخرة؟ قال: بلى قال: عليك بمجالس أهل الذكر، وإذا خلوت

---

(٦٢) رواه الضياء في المختارة (٧/ ٢٣٤، ٢٣٦) وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٦٠) (٧/ ٢٤٤) والطبراني في الأوسط (٢/ ١٥٤) وأحمد في ٣/ ١٤٢) وغيرهم.

(٦٣) رواه الشيخ مختصراً، انظر تكملة الحديث في حلية الأولياء (٦/ ٢٦٨).

(٦٤) رواه خالد بن حميد في مسند الشاميين (٢/ ٢٧٣).

(٦٥) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٧١) وأبو يعلى في مسنده (٣/ ٣٩٠) وتكملة الحديث: من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله يُنزل العبد منه حيث أنزله من نفسه، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٦٦) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٤) مطولاً ولفظه: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه، وورواه ابن حبان بهذا اللفظ في صحيحه (٣/ ٤٥، ١٣٦) والترمذي في سننه (٥/ ١٩٥، ٤٥٩) وأبو داود (٢/ ٧١) وغيرهم بسند صحيح.

فحرك لسانك بذكر الله عز وجل[٦٧] وقال أيضاً: ما من قوم يقومون من مجالس لا يذكرون الله فيه، إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان عليهم حسرة يوم القيامة[٦٨] وقال أيضاً: مجالس الذكر تنزل عليهم السكينة وتحف بهم الملائكة وتغشاهم الرحمة ويذكرهم الله[٦٩] ثم أقول: لعلكم قد كنتم في غفلة من هذا فقد يقول الحق لك: ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ ق، فتأمل ما جاءك عن رسول الله إن كنت تزعم أنك من أمته، فحديث واحد يكفيك العمل به في مشروعية مجالس الذكر، والذي يزيدك يقيناً من أنها كانت على عهد النبيﷺ هو؛ ما أخرجه الأمام أحمد في الزهد عن ثابت قال: كان سلمان في عصابة يذكرون الله تعالى، فمر بهم رسول الله ﷺ فجاءهم قاصداً، حتى دنا منهم فكفوا عن الحديث إعظاماً لرسول الله ﷺ فقال: إني رأيت الرحمة تنزل عيكم، فأحببت أن أشارككم فيها ثم قال: الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم[٧٠].

ومثل هذا ما تقدم من حديث معاوية رضي الله عنه من أنه خرج رسول الله ﷺ على حلقة من أصحابه فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا قال: آللهِ ما

---

(٦٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٩٣) وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٣٦٧).

(٦٨) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٦٨، ٦٦٩) وأبو داود في سننه (٤/ ٢٦٤) والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ٢٧٦) (٦/ ١٠٧).

(٦٩) أخرجه أبو نعيم في حليته (٥/ ١١٨) وقال: غريب، حديث عمر تفرد به عنه الجارود بن يزيد النيسابوري، والبغدادي في تاريخ بغداد (٣/ ١٢٨).

(٧٠) لم أجده في الزهد، لكنه مخرّجٌ في مستدرك الحاكم (١/ ٢١٠) وحلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ٣٤٢).

أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا والله ما أجلسنا إلا ذلك قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكن أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة.

أو لا يكفيك هذا في مشروعية مجالس الذكر في زمانه عليه الصلاة والسلام؟ و مثله ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يأخذ بأصحابه في الذكر، حتى إذا ملّوا أخذ بهم في غيرة. نقله في النصرة النبوية.

رفع الصوت بالذكر

ولكني لم أدر ما الذي آلمك من أمر الصوفية هل هو الاجتماع بانفراده؟ أم الذكر بانفراده أم هما معاً؟ ولعله رفع أصواتهم بالذكر، وبسببه[٧١] أنه لم يبلغك ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي[٧٢] ﷺ كذلك أقول: أنه كان على عهد الخلفاء فقد روي: أن أناساً كانوا يذكرون الله عند غروب الشمس يرفعون أصواتهم، فإذا خفيت أرسل إليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن نوّهوا الذكر أي ارفعوا أصواتكم.

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً كان يرفع صوته بالذكر فقال آخر: لو أن هذا خفض من صوته فقال عليه

---

(٧١) أي بمناسبة الكلام أذكر لك كذا، وكما يقال: الشيء بالشيء يذكر.

(٧٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤١٠) باب الذكر بعد الصلاة، والبخاري في الصحيح (١/ ٢٨٨) وابن خزيمة في صحيحه (٣/ ١٠٢) وغيرهم بسند صحيح.

الصلاة السلام دعه فإنه أواه[٧٣] ومثله ما أخرجه البيهقي عن زيد بن أسلم قال ابن الأدرع: انطلقت مع النبي ﷺ ليلة فمر بي في المسجد على رجل يرفع صوته بالذكر فقال: يا رسول الله عسى أن يكون هذا مرائياً؟ فقال عليه الصلاة والسلام: لا ولكنه أواه[٧٤] والذي أبلغ من هذا في التصريح والكل صحيح هو ما أخرجه أبو شجاع الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ من قال لا إله إلا الله ومد بها صوته أسكنه الله دار الجلال ورزقه النظر إلى وجهه[٧٥] أو ليس في هذا أبلغ حجة في مشروعية الجهر بالذكر؟ وحتى لو

---

(٧٣) وهو الصحابي عبد الله ذو البجادين، توفي في غزوة تبوك، وأنزله النبي ﷺ في قبره وقال: اللهم إني أمسيت عنه راض فارض عنه، انظر كامل القصة في: المعجم الكبير للطبراني (١٧/ ٢٩٥) وشعب الإيمان للبيهقي (١/ ٤١٧).

(٧٤) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٢) وأورد الحاكم تكملة هذا الحديث فقال: عن جابر أن رجلا كان يرفع صوته بالذكر فقال رجل: لو أن هذا خفض من صوته فقال رسول الله ﷺ: فإنه أواه قال فمات، فرأى رجل نارا في قبره فأتاه فإذا رسول الله ﷺ فيه وهو يقول: هلموا إليّ صاحبكم فإذا هو الرجل الذي كان يرفع صوته بالذكر، (وهذه تكرمة من رسول الله ﷺ أن دلاه في قبره والحده بيديه الشريفتين، لكونه كان يرفع صوته بذكر الله عز وجل، فكيف بمن يجتمع على ذكر الله في المساجد، متحلقين يتمايلون طرباً بذكر ربهم...).

(٧٥) انظر المجروحين (٢/ ١٦٨) هذا وإني تتبعت هذا الحديث فوجدت أربعة من الحفاظ قالوا بوضعه، لكن معنى الحديث صحيح لأن كلمة التوحيد هي مفتاح الجنة، وهي قالعة للشرك من أصله، وعاصمة لدم قائلها وأهله وماله، ولا يخلد في النار، وقد ورد في فضائلها أحاديث صحيحة كثيرة، فلا يضر وجود رجل ضعيف في السند لصحة معنى الحديث، واستناده إلى أصل قوي بلغ مبلغ التواتر، وهو فضائل هذه الكلمة المشرفة. ويكفي في ذلك الحديث الصحيح المشهور بحديث البطاقة، فقد روى الحاكم في المستدرك (١/ ٤٦، ٧١٠) وابن حبان في صحيحه (١/ ٤٦١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله ﷺ: إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مد البصر ثم يقول له: أتنكر شيئا من هذا؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول: لا يا رب فيقول: أفلك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل ويقول: لا يا رب فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة،

قلنا: أنك لم تجد له نصاً في الاجتماع عليه بصوت واحد، كان من حقك أن تقول فيه ما قالت الفقهاء في اجتماع المؤذنين على صوت واحد، وقالوا: إنه أسرع في اختراق جرم الهواء، وأمكن في قلوب المستمعين.

وبالجملة أنه لو لم يرد أقل نص على جواز الاجتماع للذكر والجهر به لا يصح الإنكار عليه، لأنه قال به أكابر المجتهدين، وكل مجتهد يسلَّم له في اجتهاده، فكيف والآثار مشحونة بذلك تصريحاً وتلويحاً، دلالة وإشارة حسبما تقدم؟ وبالجملة أنه شاع ما عليه القوم من ذكر واجتماع وألفة ومحبة وغير ذلك من لوازم الطريق، حتى كادت أن تجتمع الأمة على صحته.

وإن أردت الاستطلاع على ذلك والتتبع لفتاوى الفقهاء الماهرين والأئمة العاملين في ذلك فانظر ما على هامش رائية الشُّريشي[٧٦] فقد جمع من فتاوى الفقهاء قديماً وحديثاً ما تعذر عليّ نقله، ولا تظن أن الموما إليهم هم من أطراف الفقهاء، أو هم ممن اشتهروا بالتصوف حتى تطرقهم التهمة، لأن المذهب عندك متهم، إنما هم من محققي مذهب

وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها؛ أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقول: أحضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟؟!!! فيقول: إنك لا تظلم قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، قال: فلا يثقل اسم الله شيء.

ومثله الحديث (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) وانظر تعليق الحافظ ابن حجر عليه في فتح الباري (١١/ ١١١) وعون المعبود شرح سنن أبي داود (٨/ ٢٦٨). والله أعلم.

(٧٦) الشُّريشي: (٥٨١ ـ ٦٤١) هـ أحمد بن محمد القرشي التيمي أبو العباس فقيه مالكي برع في علم الكلام وأصول الفقه ولد في "سلا" بجوار الرباط بالمغرب أخذ الطريق على أبي حفص عمر السهروردي استقر بالفيوم وتوفي فيها اشتهر بقصيدة له في التصوف "رائية" سماها "أنوار السرائر وسرائر الأنوار" شرحها أحمد بن يوسف الفاسي في مجلد وهو ما أشار إليه المؤلف.

الإمام مالك كالشبرخيتي(٧٧) وأضرابه، ومن محققي مذهب الإمام الشافعي كجلال الدين السيوطي(٧٨) وأصحابه، ومن محققي مذهب أبي حنيفة كالفيروزآبادي(٧٩) صاحب القاموس وأمثاله، ومن هذه الطبقة جماعة.

وفي الظن الغالب أنك تكتفي بنقل البعض فأقول: إن صاحب الفتوحات والأذواق نقل عن الشيخ عبد الغني النابلسي(٨٠) الحنفي أنه سئل عما اعتادته الصوفية من حلق الذكر، والجهر به في المساجد وغيرها فأجاب بعد كلام ينوه فيه حال المعترضين على الذاكرين، ثم قال: وها أنا أنقل لك ما كتبه العلماء في كتبهم المعتمدة المقبولة المعروفة عند أهل الإسلام، وأنقل لك فتاواهم في المذاهب الأربعة، والله ولي التوفيق والإنعام:

---

(٧٧) برهان الدين إبراهيم بن مرعي بن عطية من أفاضل المالكية بمصر له كتب في مختلف الفنون منها شرح مختصر خليل في الفقه توفي غريقاً في نيل مصر سنة (١١٠٦) هـ انظر شجرة النور الزكية (٣١٧).

(٧٨) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي عالم مصر ومفتيها من كبار علماء الشافعية له تصانيف لا تكاد تحصى كثرة في مختلف الفنون توفي ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة (٩١١) هـ.

(٧٩) الإمام الكبير الماهر في اللغة وغيرها مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي من كبار علماء الحنفية ولد بكازرون حفظ القرآن لسبع سنين ارتحل إلى العراق وجال في البلاد الشامية ودخل بلاد الروم والهند ولقي جمعاً من الفضلاء دخل زبيد بعد وفاة قاضيها وأقام باليمن وكثر الانتفاع به له تصانيف مفيدة منها بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز والقاموس المحيط في اللغة وغيره توفي سنة ٨١٧ هـ.

(٨٠) عبد الغني بن إسماعيل النابلسي كانت أسرته تعرف ببني جماعة سكن جده نابلس فنسبوا إليها ينتهي نسبه إلى سيدنا عمر رضي الله عنه ولد بدمشق وشب فيها ونشأ على مكارم الأخلاق كان متوقد الذكاء قوي الشخصية حنفي المذهب صوفي المشرب يعد من أبرز معالم دمشق له تصانيف تزيد على (٤٠٠) مؤلف في مختلف الفنون توفي في دمشق سنة ١١٤٣ وقبره بالصالحية في دمشق.

أما رفع الصوت؛ فقد صنف فيه الحافظ المحدث الكبير جلال الدين السيوطي من كبار الأئمة الشافعية رضي الله عنهم رسالة سماها {نتيجة الفكر في الجهر بالذكر [٨١]} مبناها جواب عن سؤال رفع إليه فيما اعتاده بعض الصوفية من عقد حلق الذكر، والجهر به في المساجد، ورفع الصوت بالتهليل، وهل ذلك مكروه أم لا، فأجاب رضي الله عنه بأنه لا كراهة في شيء من ذلك، ووردت أحاديث تقتضي استحباب الجهر بالذكر، وأحاديث تقتضي الإسرار به، ويجمع بينهما أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، إلى أن استطرد أقوال بقية أهل المذاهب[٨٢] اهـ.

---

(٨١) وهي مطبوعة ضمن فتاوي السيوطي المسماة (الحاوي للفتاوي) (١/ ٣٨٩).

(٨٢) وهذه نص فتوى الإمام السيوطي في الرسالة المذكورة (نتيجة الفكر في الجهر بالذكر) وذلك بعد أن أورد ما يقارب ثلاثين حديثا، أورد جلها المؤلف رحمه الله في هذا الكتاب:

(فصل) إذا تأملت ما أوردنا من الأحاديث عرفت من مجموعها أنه لا كراهة البتة في الجهر بالذكر بل فيه ما يدل على استحبابه إما صريحا أو التزاما كما أشرنا إليه، وأما معارضته بحديث خير الذكر الخفي فهو نظير معارضة أحاديث الجهر بالقرآن بحديث المسر بالقرآن كالمسر بالصدقة، وقد جمع النووي بينهما بأن الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى به مصلون أو نيام والجهر أفضل في غير ذلك لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين ولأنه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه إلى الفكر ويصرف سمعه إليه ويطرد النوم ويزيد في النشاط، وقال بعضهم: يستحب الجهر ببعض القراءة والإسرار ببعضها لأن المسر قد يمل فيأنس بالجهر والجاهر قد يكل فيستريح بالإسرار انتهى، وكذلك نقول في الذكر على هذا التفصيل وبه يحصل الجمع بين الأحاديث فإن قلت: قال الله ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ الأعراف، قلت: الجواب عن هذه الآية من ثلاثة أوجه:

الأول: إنها مكية كآية الإسراء ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء وقد نزلت حين كان النبي ﷺ يجهر بالقرآن فيسمعه المشركون فيسبون القرآن ومن أنزله فأمر بترك الجهر سدا للذريعة كما نهى عن سب الأصنام لذلك في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَسُبُّوا ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ الأنعام، وقد زال هذا المعنى وأشار إلى ذلك ابن كثير في تفسيره.

الثاني: إن جماعة من المفسرين منهم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم شيخ مالك وابن جرير حملوا الآية على الذاكر حال قراءة القرآن وانه أمر له بالذكر على هذه الصفة تعظيما للقرآن أن ترفع عنده الأصوات ويقويه اتصالها بقول بقوله ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا لَهُۥ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الأعراف قلت: وكأنه لما أمر بالإنصات خشي من ذلك الإخلاد إلى البطالة فنبه على أنه وإن كان مأمورا بالسكوت باللسان إلا أن تكليف الذكر بالقلب باق حتى لا يغفل عن ذكر الله ولذا ختم الآية بقوله: ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ الأعراف.

الثالث: ما ذكره الصوفية أن الأمر في الآية خاص بالنبي ﷺ الكامل المكمل وأما غيره ممن هو محل الوساوس والخواطر الرديئة فمأمور بالجهر لأنه أشد تأثيرا في دفعها قلت: ويؤيده من الحديث ما أخرجه البزار عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ من صلى منكم بالليل فليجهر بقراءته فإن الملائكة تصلي بصلاته وتسمع لقراءته وإن مؤمني الجن الذين يكونون في الهواء وجيرانه معه في مسكنه يصلون بصلاته ويستمعون قراءته وأنه ينطرد بجهره بقراءته عن داره وعن الدور التي حوله فساق الجن ومردة الشياطين فإن قلت: فقد قال تعالى: ﴿ ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ الأعراف، وقد فسر الاعتداء بالجهر في الدعاء قلت: الجواب عنه من وجهين: أحدهما: أن الراجح في تفسيره أنه تجاوز المأمور به أو اختراع دعوة لا أصل لها في الشرع ويؤيده ما أخرجه ابن ماجة والحاكم في مستدركه وصححه عن أبي نعامة رضي الله عنه أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم إني أسالك القصر الأبيض عن يمين الجنة فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الدعاء فهذا تفسير صحابي وهو أعلم بالمراد. الثاني: على تقدير التسليم فالآية في الدعاء لا في الذكر، والدعاء بخصوصه الأفضل فيه الإسرار لأنه أقرب إلى الإجابة ولذا قال تعالى: ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ مريم، ومن ثم استحب الإسرار بالاستعاذة في الصلاة اتفاقا لأنها دعاء فإن قلت: فقد نقل عن ابن مسعود أنه رأى قوما يهللون برفع الصوت في المسجد فقال: ما أراكم إلا مبتدعين حتى أخرجهم من المسجد قلت: هذا الأثر عن ابن مسعود يحتاج إلى بيان سنده ومن أخرجه من الأئمة الحفاظ في كتبهم وعلى تقدير ثبوته فهو معارض بالأحاديث الكثيرة الثابتة المتقدمة وهي مقدمة عليه عند التعارض، ثم رأيت ما يقتضي إنكار ذلك عن ابن مسعود قال الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الزهد: ثنا حسين ابن محمد ثنا المسعودي عن عامر بن شقيق عن أبي وائل قال: هؤلاء الذين يزعمون أن عبد الله كان ينهى عن الذكر، ما جالست عبد الله مجلسا قط إلا ذكر الله فيه، وأخرج أحمد في الزهد عن ثابت البناني قال: إن أهل ذكر الله ليجلسون إلى ذكر الله، والله وإن عليهم من الآثام أمثال الجبال، وأنهم ليقومون من ذكر الله تعالى ما عليهم منها شيء.

ولا ينكر فكري أنكم تعترفون للسيوطي بأن له من الاطلاع في الفروع والأصول أكثر مما هو لكم، كما تعترفون للشبرخيتي من محققي السادة المالكية أيضا، وها أنقل لك ما نصه وما أفتى به، قال بعد الحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله: إن هؤلاء السادة ذكرهم مشهود مشهور، ويحضرهم فيه العلماء والفقهاء قرناً بعد قرن من قديم الزمان إلى الآن، فهم على حال محمود وطريق بالخير معهود، فمن آذاهم فهو مستحق لما في الحديث القدسي من الوعيد: من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، ومن لم يكن منهم ولياً فهو في حمى الأولياء، لحبه لهم ومشيه على طريقهم اهـ نقله عنه صاحب النصرة النبوية.

وأما ما نقله عن الفيروز آبادي المتقدم ذكره أنه قال: لا يجوز لأحد أن ينكر على القوم ببادي الرأي، لعلو مراتبهم في الفهم والكشف، ولم يبلغنا عن أحد أمر بشيء يهدم الدين، ولا نهى أحداً عن الوضوء، ولا عن الصلاة ولا عن غيرهما من فروض الإسلام ومستحباته، إنما يتكلمون بكلام يدق عن الأفهام، وكان يقول: قد بلغ القوم في المقامات ودرجات العلوم إلى المقامات المجهولة، والعلوم المجهولة التي لم يصرِّح بها في كتابٍ ولا سنة، ولكنّ أكابر العلماء العاملين قد يردّون ذلك إلى الكتاب والسنة بطريق دقيق لحسن استنباطهم، وحسن ظنهم بالصالحين، ولكن ما كل أحد يتربص إذا سمع كلاماً لا يُفهم يبادر إلى الإنكار على صاحبه وخلق الإنسان عجولا قال: وناهيك بأبي العباس بن سريج[٨٣]

---

(٨٣) أحمد بن عمر البغدادي فقيه الشافعية في عصره مولد ووفاته في بغداد فسر القرآن على طريقة الصوفية في (١٢) مجلداً ولي القضاء بشيراز توفي سنة ٣٠٦ هـ

في العلم والفهم، تنكر مرة ثم حضر مجلس أبي القاسم الجنيد ليسمع منه شيأ مما يشاع عن الصوفية، فلما انصرف قالوا له: ما وجدت؟ فقال: لا أدري ما يقول، ولكن أجد لكلامه صولة في القلب ظاهراً تدل على عملٍ في الباطن وإخلاصٍ في الضمير، وليس كلامه كلام مبطل اهـ من النصرة النبوية.

ثم أقول لكم: يا أخي ما هكذا بلغنا عن أسلافكم من علماء تونس ونواحيها، إنما المشتهر عنهم احترام مذهب التصوف وتعظيم أهله، وقد وصلت إليهم فتوى في عصر شيخ الإسلام محمد بيرم[٨٤] في مسالة ما عليه القوم فأجاب عن ذلك بجواب طويل منه أنه قال: إن هذا الطريق له سند يتصل بصاحب الشرع ﷺ فهذا لاشك أنه من أصول قواعد ديننا المتين، وقد نص العلماء في دواوين علم الحديث وعلم أصول الفقه: أن السند من خصائص هذه الأمة الشريفة المباركة[٨٥] والأصل فيه هو ما قدمناه، إلى أن قال: إن هذا الطريق يُجهر فيه بالذكر فهذا سائغ، فقد نقل في الدر المختار عن الفتاوي الخيرية ما نصه: جاء في الحديث ما اقتضى طلب الجهر بنحو: وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خيرٍ منه.

ثم قال: نقل الحموي عن الإمام الشعراني ما نصه: أجمع العلماء سلفاً وخلفاً على استحباب ذكر الجماعة في المساجد وغيرها إلا أن

---

(٨٤) رحالة مؤرخ ولد بتونس وتعلم بها وناصر حركة الإصلاح الديني فيها سافر إلى أوروبا ولما احتلها الفرنسيون هاجر إلى الأستانة ثم إلى مصر حيث عين قاضياً فيها له نشاطات كثيرة منها صفوة الاعتبار بمستودع الأنصار توفي بمصر سنة ١٨٨٩ م.

(٨٥) السند هو سلسلة الرجال الناقلين للنص، سواء كان النص حديثا نبويا أو كلام صحابي، أو كلام أحد الأئمة المجتهدين وعلماء المذاهب، ومن معرفة رجال السلسلة يعرف صحة الحديث وضعفه، وأهمية هذا العلم هو معرفة درجة صحة الكلام المنقول، حتى لا يقول من ما شاء، وهذا من خصائص هذه الأمة، حيث كان السابقون لا يعتنون بهذا العلم، فتعرض علمهم للتحريف.

يشوش جهرهم على نائم أو مصل أو قارئ الخ. فإنه قد ذكره صاحب النصرة بطوله.

فهذا ومثله الشائع عن علماء تونس في احترام المتسبين إلى الله، إلا ما وقع من القاضي ابن البراء مع الإمام الشاذلي رضي الله عنه، والحكاية مشهورة، ولكن ابن البراء لم يعارض المذهب من أصله إنما عارض شخصاً معيناً بنفسه وقد وقع له من المقت ما يشهد التاريخ به، حفظنا الله والمسلمين من سوء الانتقاد على الإسلام والمسلمين.

ثم إنكم قلتم: إن مالكاً رضي الله عنه قال في قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۝٣ ﴾ المائدة، فلما لم يكن يومئذ ديناً لم يكن اليوم دين، وإنما يُعبد الله بما شرع، ثم وصلته بقولك: 'وهذا الاجتماع لم يكن مشروعاً قط فلا يصح أن يعبد الله به'.

ومن كان مثلك لا يفرق بين النقل وكلام نفسه لا يوثق بعلمه، سئل الإمام احمد رضي الله عنه؛ عن ابن إسحاق إذا انفرد بحديث أتقبله؟ فقال: لا والله إني رأيته يحدث عن جماعة، ولا يفصل كلام ذا من ذا [٨٦].

---

(٨٦) إنما منع الإمام روايته لأنه قد يدخل في حديثه وروايته التدليس، وذلك أنه لم يحتط لنفسه بالتفريق بين كلامه وكلام من يروي عنه، مما قد يؤدي إلى وقوع اللبس عند من يروي عنه أو يسمع، وهذا من أنواع التدليس إن لم نقل الخيانة، لذلك كان كل من يعمل بعمله فهو مردود الرواية لعدم امانته في النقل، وهذا ما نجده في هذه الفئة التي بدعت غالب جماعة المسلمين بحجة أن ذلك بدعة، فبعد التعقب لحال هؤلاء وجدنا التدليس والكذب وتزوير الحقائق والعبث بالتراث سيما ظاهرة عليهم، فلا يخجلون من ذلك بل يعدون ذلك انتصاراً لمذهبهم، ولو أردت استقصاء ذلك لطال بنا المقام، لكني سأشير الى بعض منه وهو ما وقفت عليه بنفسي من خلال بحوثي: * حذفهم لعبارة تأمر بالصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان من كتاب (شرح منتهى الإرادات) للبهوتي الحنبلي (١/ ١٢٧) * نسبوا بيت شعر للشيخ محي الدين بن عربي دون تخريج المصدر، وإنما اكتفوا بصيغة التمريض، وقد تتبعت كتب الشيخ فلم أجده فيها، وأنزه القارئ من قراءته لأنه كفر بواح * حذفهم عبارة الإمام الشافعي التي أثبتها النووي في مقدمة

وفي ظني أنك تريد أن توهم القارئ من أن جميع المقالة لمالك، أن ما عليه الصوفية في مذهبهم هو من قبيل دين جديد، وهذا منك في أقصى درجات التشنيع، وبتهمتك للصوفية تتعدى لتهمة سائر المذاهب، لأنك تعتبر الاجتهاد ديناً زائدا، وحاشا لله أن تجتمع الأمة المحمدية على استبدال دين الإسلام بغيره، ولو تنبهت إلا لمجرد استدلالك بقوله عليه الصلاة والسلام: فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي...[٨٧] الحديث لعلمت أن اجتهاد المجتهدين هو من السنة، لأنهم خلائف في الأرض، وقد انعقد الإجماع على أمانتهم[٨٨] وكان من حقك على الأقل أن تعتبر أن المؤسس لمذهب التصوف من أحد المجتهدين في الدين، لاجتهاده في مقام الإحسان، فهو كالأشعري في مقام الإيمان[٨٩] ومالك

كتاب المجموع عند ترجمته له وهي قوله: صحبت الصوفية عشر سنين فاستفدت منهم كلمتين: الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك، والنفس إن لم تشغلها بالخير شغلتك بالشر، وقولهم العدم عصمة. * تحريفهم يتبين من الشعر قالهما الشيخ محي الدين بن عربي هما:

العبد عبد والرب رب ... يا ليت شعري من المكلف
إن قيل عبد فذاك ميت ... أو قيل رب أنى يكلف

فأصبحا بعد التحريف:

العبد رب والرب عبد..............
إن قيل عبد فذاك رب..............

وغير ذلك الكثير يصعب استقصاؤه.

(٨٧) رواه ابن حبان في صحيحه (١/ ١٧٩) والحاكم في المستدرك.

(٨٨) والقاعدة تقول: إذا ثبتت عدالة المرء فليترك وما يفعل، أي أن العالم العدل الثقة التي ثبتت عدالته للناس يجوز تقليده لأنه لا ينطق إلا بحق ولا يفعل إلا ما هو حق.

(٨٩) وهو علم التوحيد الذي يبحث فيما يجب على المكلف شرعاً أن يعرف من صفات الله تعالى من حيث ما يجب له وما يجوز وما يستحيل، ومثل ذلك للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهذا العلم مأخوذ من قول النبي عليه الصلاة والسلام جواباً لجبريل: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والعلماء المختصون في هذا العلم يسمون علماء التوحيد، أو الأصوليون.

ونحوه في مقام الإسلام[٩٠] والدين مجموع الثلاثة كما في الحديث المشهور[٩١] وهذا إذا لم يتضح لك ما عليه القوم من الاجتماع هو مأخوذ من صريح الشرع، حسبما دلت عليه الأحاديث التي تفيد الترغيب في مجالس الذكر.

البدعة وأحكامها

وحتى لو قلنا: أن ما عليه القوم أنه بدعة[٩٢] الا يصلح أن يكون من البدع المستحسنة، المسماة بالسنة المأخوذة من قوله عليه الصلاة

---

(٩٠) والإسلام هو الأحكام الفقهية التي تخص العبادات، كما جاء في حديث جبريل (وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت...) وهذه عبادات ولا تصح إلا إذا أديت حسب الأحكام الفقهية الواردة عن النبي ﷺ، والعلم الذي يبحث فيها يسمى علم الفقه، أو علم الأحكام، وعلماؤه هم الفقهاء.

(٩١) وهو الحديث الذي يرويه مسلم عن سيدنا عمر (١/ ٣٧) والذي جمع فيه رسول الله ﷺ مراتب الدين، ومقام الإحسان يعبر عنه بعلم التزكية، وعلم الأخلاق، والتربية، والتصوف، أخذاً من قوله تعالى (ويزكيهم ..) ومن قوله عليه الصلاة والسلام (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) و (أدبني ربي فأحسن تأديبي) فالاسم مشتق من النصوص الشرعية اصطلاحاً، والعلم قديم شرعه الله على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام، فمن أنكر واحداً منها فقد خلع ربقة الإسلام لجحوده شيئاً علم من الدين بالضرورة والتواتر، وإن صام وصلى، وهذا ما أجمع عليه العلماء في كل عصر.

فمن ذلك ما ذكره العلامة محمد بن الهاشمي في مفتاح الجنة شرح عقيدة أهل السنة ص٢٤٤ عند كلامه على أركان الإيمان نقلا عن كتاب النور المبين شرح المرشد المعين للعلامة محمد يوسف الكافي: فالذي يقول: بأن التصوف دسيسة يهودية وأمشاج مجوسية جاهل بحقيقة التصوف، وبحقيقة الصوفية، بل جاهل بحقيقة الدين، بل هو كافر بإجماع لتنقيصه علما من علوم الشريعة، وجعله دسيسة يهودية وأخلاط مجوسية، وبيان ذلك؛ أن علوم الشريعة ستة؛ التفسير والحديث وأصول الدين وأصول الفقه والتصوف، فالمعتنون بالقسم الأول يسمون بالمفسرين، والمعتنون بالقسم الثاني يسمون بالمحدّثين، والمعتنون بالقسم الثالث يسمون بالمتكلمين، والمعتنون بالقسم الرابع يسمون بالأصوليين، والمعتنون بالقسم الخامس يسمون بالفقهاء، والمعتنون بالقسم السادس يسمون بالصوفية.

(٩٢) السنة والبدعة أمران متقابلان في كلام النبي ﷺ فلا يتحدد أحدهما حتى يتحدد الآخر، لأنهما ضدّان وبضدها تتميز الأشياء، وقد جرى كثير من المؤلفين على تحديد البدعة دون أن يقوموا

بتحديد السنة، لذا لا بدّ من معرفة السنة أولاً في حديث النبي ﷺ حتى لا نقع في ضيق يتعذر علينا الخروج منه، أو نصطدم بأدلة تناقض تحديدنا للبدعة.

روى أبو داود وغيره عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا فقال: أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عبد حبشي، وأنه من يعش بعدي فسيري اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وروى مسلم عن جرير: من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء، فقد جعل عليه الصلاة والسلام مقابلة السنة بالبدعة وأن هدي النبي هو خير الهدي، والشر في المحدث المناقض لهديه، كما جاء في الحديث الآخر مقابلة واضحة في أن سنة الخلفاء الراشدين هي عين السنة النبوية، وأن ما خالفهما هو البدعة الضلالة، ثم حث على سن السنن الحسنة لجميع أفراد الأمة، إذاً فالسنة هي الأصل وما قابلها هو البدعة، فالسنة إذاً هي؛ الطريق، وهي طريقته عليه الصلاة والسلام في قبول ما وافق شرعه وردّ ما عارضه ويؤيده ذلك حديث النبي الذي رواه البخاري لتتبعن سنن من قبلكم ... أي طريقتهم، وليس المراد بالسنة هنا إذاً ما يفهمه عامة طلبة العلم أنها الحديث النبوي أو ما يقابل الفريضة، فإن الأول اصطلاح المحدثين والثاني اصطلاح الفقهاء والأصوليين وكلاهما محدَث ليس مراداً هنا فسنة النبي هي طريقته في الفعل والأمر والقبول والرد، وهي طريقة خلفائه الذين سلكوا طريقه في القبول والرد، قال الراغب الأصفهاني: السنن جمع سنة، وسنة النبي هي طريقته التي كان يتحراها، وسنة الله تعالى قد تقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته نحو (سنةَ اللهِ التي قد خلت من قبلُ ولن تجدَ لسنةِ اللهِ تبديلاً) قال الحافظ ابن حجر: والتعبير في بعض روايات الحديث بالسنة بدل الفطرة يراد بها الطريقة لا التي تقابل الواجب، وقد جزم بذلك أبو حامد والماوردي وغيرهما وهناك عشرات الأحاديث الصحيحة التي تثبت أن عدداً من الصحابة أحدثوا أعمالاً وأذكاراً وأدعية ونحو ذلك لم يسبق للنبي فعلها ولا أمر بفعلها، ولكنهم فعلوها اجتهاداً واستنباطاً، واعتقاداً أنها من الخير الذي جاء به الإسلام فكان منها المقبول والمردود، فمن ذلك:

ما رواه الشيخان وغيرهما عن رفاعة بن رافع قال: كنا نصلي خلف النبي فلما رفع رأسه من الركعة قال: سمع الله لمن حمده، قال رجل وراءه: ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما انصرف قال: مَن المتكلم؟ قال: أنا قال: رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها قال الحافظ ابن حجر: يستدل به على جواز إحداث ذكر في الصلاة غير مأثور إذا كان غير مخالف للمأثور، وعلى جواز رفع الصوت بالذكر ما لم يشوش وروى البخاري عن أنس قال: كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، كلما قرأ افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بـ (قل هو الله أحد) حتى يفرغ منها ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلّمه أصحابه، فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ

بأخرى، فإما أن تقرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى، فقال: ما أنا بتاركها وإن أحببتم أن أؤمكم فعلت وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي أخبروه الخبر فقال: يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك؟ وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟ قال: إني أحبها فقال النبي: حبك إياها أدخلك الجنة، قال ناصر الدين بن المنير: إن المقاصد تغير أحكام الفعل، لأن الرجل لو قال: إن الحامل له على إعادتها أنه لم يحفظ غيرها مثلا لأمكن أن يأمره بحفظ غيرها، ولكنه اعتل بحبها فظهر صحة قصده فصوبه، وفيه دليل على جواز تخصيص بعض القرآن بميل النفس إليه، والاستكثار منه، ولا يعد ذلك هجراناً لغيره، ومع هذا التقرير من النبي وتبشيره له بالجنة لم نجد من العلماء ولا من الصحابة قبلهم من يقول بأن هذا سنة ثابتة، ذلك لأن ما واظب عليه النبي هو الذي تبتغي المحافظة عليه، لكنه يعطينا الدليل على أن مثل هذا وإن كان في صورته مخالفة لفعله عليه الصلاة والسلام في الجملة، فإن الأمر واسع لا كما يظن المتفيقهون ما دام الفعل في إطار المشروع والمطلوب، وخلاصة الأمر: أن ما كان من الخير أو من جنس المشروع إذا لم تترتب عليه مفسدة ولم يزاحم نصاً ولم يكن منافياً لهديه ﷺ فهو مقبول ويعتبر سنة بحكم كونه مشروعاً وليس من البدعة الشرعية المرادة في الحديث.

طريقة النبي في رد ما يحدث

روى البخاري عن ابن عباس: بينما النبي يخطب إذا هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبي مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه قال ابن رجب: من تقرب إلى الله بعمل لم يجعله الله ورسوله قربة فعمله باطل مردود، وليس كل ما كان قربة في عبادة يكون عبادة مطلقاً قال الحافظ ابن حجر: إن كل شيء يتأذى به الإنسان ولو مآلا مما لم يرد بمشروعيته كتاب أو سنة، كالمشي حافياً والجلوس في الشمس ليس هو من طاعة الله فلا ينعقد به النذر وروى البخاري عن أبي جحيفة قال: آخى النبي بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في النساء، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال: كُلْ فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم فقال له: نم، فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن فصلينا جميعا فقال له سلمان: إن لربك عليك حقا، وإن لنفسك عليك حقا ولأهلك حقا فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي فذكر له ذلك فقال: (صدق سلمان) فهذا إرشاد نبوي بالاقتصاد في العبادة وعدم التكلف فيها بما يعجز عنه الإنسان، أو يترتب عليه ضياع حقوق.

وخلاصة ذلك: أنه ما لم يكن من الخير ولا من جنس المشروع وترتب عليه مفسدة أو زاحم نصاً شرعياً فهو البدعة الضلالة.

ماارواه البخاري وغيره من جمع أبي بكر للقرآن في المصاحف، والحديث صحيح ومشهور وقتال أبي بكر لمانعي الزكاة واستباحته دماءهم فعمل أبي بكر وعمر على جمع القرآن في المصاحف لم يكن معمولاً به في عهد النبوة لكنها المصلحة في عدم ضياع شيء من القرآن بقتل حفاظه.

وصورة قتال مانعي الزكاة هو قتال للمسلمين، ولكن أبا بكر حكم بردتهم لجحودهم ركناً من أركان الإسلام، فقاتلهم حتى أدانوا وأذعنوا لله ورسوله، فصار هذا العمل من أجلّ مناقب أبي بكر.

فالبدعـــة إذاً هي ما أحدث على غير مثالٍ سبق وهذا هو المعنى اللغوي ويؤيده قوله تعالى: بديع السماوات والأرض أي خالقهما علىٰ غير مثال سبق، فالبدعة اسم هيئة من الابتداع والبديع فعيل صفة مشبهة باسم الفاعل بمعنى مبدع، ومن ذلك قوله تعالى: قل ما كنت بدعاً من الرسل أي لست أول من ابتدع هذه الدعوة، ولست مخترعا لها، وجاء في التنزيل أيضاً: ورهبانية ابتدعوها أي اخترعوها لا على مثال سبق، وأما في الاصطلاح فقد اختلف العلماء في تحديد معنى البدعة ولكننا نعود إلى السنة لتلمس معنى لها، لأن الكلمات اللغوية العامة إذا استعملها الشارع لمعنى شرعي لها لا بد أن يبينها ويبين المراد منها بالقول أو بالعمل، فالحج مثلاً في اللغة هو مطلق الزيارة ولكن تحدد معناه بفعل الشارع، ومثله الصلاة فهي مطلق الدعاء وتحدد معناها بفعل الشارع، وقد تقدم في أول البحث أن لفظ البدعة المراد في الشرع وهو: ما خالف سنة النبي ﷺ وقد تحدد لنا أن سنة النبي هي طريقته التي كان عليها في كل شيء، وطريقته فيما يحدث وكيف كان يقابله قبولا أو رداً، فعلى هذا الأساس نستطيع القول بأن البدعة هي: كل محدث شهد له الشرع بالرفض، إما لكونه غير مشروع أو لأنه ليس من العبادة أو ترتب عليه مفسدة أو صادم نصاً.فغير المشروع كالسجود لغير الله وكما فعله معاذ عندما عاد من الشام فسجد للنبي والذي ليس من العبادة كقيام أبي إسرائيل في الشمس، والذي ترتب عليه مفسدة كالغلو في العبادة، والذي صادم نصاً كتخصيص يوم الجمعة بالصوم، وعلى هذا فليس من البدعة كل طاعة أو عبادة شهدت لها أصول الشرع بالقبول، أو دخل في إطار الطلب العام والاستكثار من الخير المقرب الى الله في الآخرة.

كل محدثة بدعة

بعد تحديدنا لمعنى السنة والبدعة في اللغة والاصطلاح نعود للحديث (كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) فحكم بهذا الحديث على كل الأحاديث الدالة على حيازة الخيرات الأخروية كالاجتماع لذكر الله وكما يفعله الصوفية، والاجتماع في ذكرى مولد النبي والصلاة على النبي بعد الأذان، والتسبيح بعد الصلاة، والاستغاثة بالنبي عليه الصلاة والسلام والأولياء من بعده فعندهم كل شيء حدث بعد النبوة وإن كان من الخير هو بدعة ضلالة.

إن النظر في هذا الحديث من حيث اللغة والشرع لا يصح الاحتجاج به على فعل الخير لأنه عام مخصوص والعموميات في الكتاب والسنة كثيرة ولكن دخلها التخصيص أو كانت من العام الذي أريد به التخصيص حتى قيل: ما من عام إلا خصص، وقال جماعة من العلماء: لا يعمل

والسلام: من سن سنة حسنة فله أجرها واجر من عمل بها إلى يوم الدين[٩٣] فتأمل كيف سمى البدعة سنة، ألم يبلغك أن الاجتماع على قيام رمضان في المساجد هو مما ابتدعه عمر[٩٤] فكان سنة متبعة وقال فيها رضي الله عنه: فنعمت البدعة، ومثل هذا لا يحتاج إلى بيان مع أنه داخل العبادات.

بالعام إلا بعد البحث عما يخصصه قال تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ الأحقاف، وهي الريح التي أرسلها الله على قوم هود عليه السلام، ومعلوم أن الريح لم تدمر شيئاً من الأرض إلا ما كان من ديارهم، وكل تفيد العموم لذا فقد دخلها التخصيص، وقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ الأنبياء، والحصب؛ هو وقود النار التي تشتعل به، ومعلوم أن سيدنا عيسى عليه السلام وأمه عُبدا من دون الله، وأن سيدنا علياً عُبد من دون الله والملائكة عُبدت من دون الله، واسم الموصول (ما) يفيد العموم، وهؤلاء المعبودون قطعاً ليسوا من أهل النار لورود الأخبار القطعية بذلك، فصارت الآية إذاً عامة أريد بها الخصوص وهي الأصنام وما شاكلها.

تبين من هذا الحديث أنه ليس على إطلاقه وإنما أريد به الخصوص وهو كل ما أحدث في الدين وعارض نصاً أو هو من غير جنس المشروع ولم يدخل ضمن إطار الطلب العام.

(٩٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٠٥، ٤/ ٢٠٥٩) وغيره بسند صحيح.

(٩٤) اخرج البيهقي في سننه الصغرى (١/ ٤٨١) قال عروة فأخبرني عبد الرحمن بن عبد القارئ وكان من عمال عمر وكان يعمل مع عبد الله بن الأرقم على بيت مال المسلمين أن عمر بن الخطاب خرج ليلة في رمضان فخرج معه عبد الرحمن فطاف في المسجد وأهل المسجد أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرجال قال عمر: والله إني لأظن لو جمعناهم على قارئ واحد لكان أمثل ثم عزم عمر على أن يجمعهم على قارئ واحد فأمر أبي بن كعب أن يقوم بهم في رمضان فخرج عمر والناس يصلون بصلاة قارئ لهم ومعه عبد الرحمن بن عبد القارئ فقال عمر: نعمت البدعة هذه والتي تنامون عنها أفضل من التي تقومون، يريد آخر الليل وكان الناس يقومون في أوله.

قلت: قد بيّن النبي ﷺ أنه إنما منعه أن يصلي بهم في الليلة الرابعة إلا خشية أن يفرض عليهم فلما قبضه الله عز وجل إلى رحمته تناهت فرائضه فلم يخف عمر رضي الله عنه من ذلك ما كان النبي ﷺ يخافه ورأى أن جمعهم على قارئ واحد أمثل فجمعهم ولم يكن فيما صنع خلاف ما مضى من كتاب أو سنة أو اجماع فلم يكن بدعة ضلالة بل كان إحداث خير له أصل في السنة وهي ما ذكرنا من صلاة النبي ﷺ في خبر عائشة ثلاثة ليال.

وأما مذهب التصوف إنما هو يدخل في العبادات من جهة ارتكاب العزائم لا من جهة النقص والزيادة، ومعظمه متعلق بتصفية الباطن وتحسين الأخلاق، والاشتغال بالذكر والحضور مع المذكور، وما هو مقرر بمحله، وهل ترى ذلك هو مناقض للدين أم هو عمدة فيه؟

ثم إنك أخذت في تزييف البدع، وفي ظني أنك لا تميز بين البدعة المستحسنة المعروفة بالسنة كما تقدم في قوله عليه السلام: من سن سنة حسنة الخ وبيِّن ما هي، بخلاف ذلك، ولهذا يخشى عليك أن تزيف كثيراً مما أنت تعامل به ربك الآن من حيث لا تشعر، ألم تعلم أن البدعة قد تجري فيها الأحكام الخمسة؛ من الوجوب والندب والإباحة والكراهة والحرام، وقد بالغ في تقرير ذلك عز الدين بن عبد السلام(٩٥) ومثّل للواجب منها فقال: "هو ما يتوصل به إلى واجب كعلم النحو(٩٦) ألم تعلم

(٩٥) سلطان العلماء وبائع الملوك الإمام الحجة ينتهي نسبه إلى قبيلة مضر ولد بدمشق سنة ٥٧٧ كان زاهداً عابدا ما رؤي في عصره مثله ورعاً وشجاعة وعلما سلك الطريق على يد الشيخ أبي الحسن الشاذلي لما رأى على يديه من الكرامات كان مجاب الدعوة ظاهر الولاية شارك في معركة المنصورة، ولما اجتمع الجيشان وأقبل لويس التاسع بسفنه في النيل وكانت الريح معهم وقف أمام الجيش وقال: يا ريح خذيهم وأشار بيد لجهة العدو فسخر الله له الريح وحوّل اتجاهها ضد الفرنجة وهجم المسلمون عليهم وأثخنوهم جراحة وتقتيلا ووقع قائد حملتهم في الأسر، كان له اليد الطولى في تجهيز الجيش الذي قهر التتار في عين جالوت، اشتهر عنه أنه كان يرقص في مجالس الذكر، قال الشاذلي: خوطبت في سري: ما على وجه الأرض مجلس في الفقه أبهى من مجلس عبد العزيز بن عبد السلام وفي الحديث من مجلس الزكي المنذري وفي التصوف من مجلسك، والحمد لله على ذلك.

(٩٦) في كتابه "عمدة الأحكام في مصالح الأنام" (٢/ ١٧٢) وما بعدها حيث قال: فصل في البدع: البدعة فعل ما لم يعهد في عصر رسول الله ﷺ وهي منقسمة إلى بدعة واجبة وبدعة محرمة وبدعة مندوبة وبدعة مكروهة وبدعة مباحة والطريق في معرفة ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة وإن دخلت في قواعد التحريم فهي محرمة وإن دخلت في قواعد المندوب فهي مندوبة وإن دخلت في قواعد المباح فهي مباحة؛

أنه بدعة؟ ومثله ما بأيديكم من الفنون؛ كالبلاغة والمنطق والعروض

البدعة الواجبة

- أحدها: الاشتغال بعلم النحو الذي يفهم به كلام الله وكلام رسول الله ﷺ وذلك واجب، لأن حفظ الشريعة واجب، ولا يتأتى حفظها إلا بمعرفة ذلك، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.
- المثال الثاني حفظ غريب الكتاب والسنة من اللغة.
- المثال الثالث تدوين أصول الفقه.
- المثال الرابع الكلام في الجرح والتعديل لتميز الصحيح من السقيم وقد دلت قواعد الشريعة على أن حفظ الشريعة فرض كفاية فيما زاد على القدر المتعين ولا يتأتى حفظ الشريعة إلا بما ذكرناه

للبدعة المحرمة أمثلة منها:

- مذهب القدرية ومنها مذهب الجبرية ومنها مذهب المرجئة ومنها مذهب المجسمة والرد على هؤلاء من البدع الواجبة.

وللبدع المندوبة أمثلة منها

- إحداث الربط والمدارس وبناء القناطر.
- ومنها كل إحسان لم يعهد في العصر الأول.
- ومنها صلاة التراويح.
- ومنها الكلام في دقائق التصوف.
- ومنها الكلام في الجدل في جمع المحافل للاستدلال في المسائل إذا قصد بذلك وجه الله سبحانه.

وللبدع المكروهة أمثلة

- منها زخرفة المساجد.
- ومنها تزويق المصاحف، وأما تلحين القرآن بحيث تتغير ألفاظه عن الوضع العربي فالأصح أنه من البدع المحرمة.

وللبدع المباحة أمثلة منها

- المصافحة عقيب الصبح والعصر.
- ومنها التوسع في اللذيذ من المآكل والمشارب والملابس والمساكن ولبس الطيالسة وتوسيع الاكمام وقد يختلف في بعض ذلك فيجعله بعض العلماء من البدع المكروهة.
- ويجعله آخرون من السنن المفعولة على عهد رسول الله ﷺ فما بعده وذلك كالاستعاذة في الصلاة والبسملة.

وعلم التجريح والتعديل والمصطلح، إن لم أقل الدرس والتدريس، بل كتابة العلم نفسها من البدع، وإن كانت كذلك فما تقول في هذه المحدثات؟ أهي من البدع الضالة التي هي في النار؟ أم من المستحسنة المأجورة عليها؟ وإن كنت تقول بالآخر فلِمَ لم تجعل مجالس الذكر من ذلك القبيل؟ وهذا بقطع النظر عما دلت عليه الدلائل والنصوص الصريحة التي لا تحتاج للتأويل، ولكن عدم الإنصاف يقطع لسان الاعتراف، وقلة العلم تمنع صاحبها من الفهم، لأن العلماء رضي الله عنهم قد عرّفوا معنى البدعة التي تعين اجتنابها، قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: أن البدعة ما خالفت كتاباً أو سنةً أو إجماعاً أو أثراً، وما لم يخالف شيئاً من ذلك فهي المحمودةْ والمخالفة لما ذكر إما تصريحاً أو التزاماً قد تنتهي إلى ما يوجب التحريم تارة، والكراهة أخرى، على ما رواه ابن حجر الهيتمي.

وفي ظني أنك تسلِّم أن الاجتهاد من خصائص هذه الأمة، وتعلم أن أركان الدين ثلاثة؛ الإسلام والإيمان والإحسان، فلِمَ تسلِّمُ اجتهاد الأئمة الأربعة ونحوهم في مقام الإسلام، وتسلِّمُ اجتهاد الأشعري[٩٧] والماتريدي[٩٨] في الاعتقاد الذي هو مقام الإيمان، ولا تسلِّمْ اجتهاد الجنيد وعصابته في مقام الإحسان، وهل لا تعتبر الإحسان ركنا؟ لا والله ما

---

(٩٧) إمام أهل السنة في علم الكلام تربى في حجر أبي علي الجبائي إمام المعتزلة في وقته ثم نصر مذهب أهل السنة وصنف مذهبه حتى أصبح إماماً في هذا الفن ويسمى أهل السنة الآن بالأشاعرة نسبة له، يعود نسبه إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري توفي سنة ٢٦٠ هـ.

(٩٨) محمد بن محمد الماتريدي نسبة إلى ماتريد مسقط رأسه حنفي المذهب كانت له مناظرات في العقيدة غالب آرائه في علم الكلام مستمدة من آراء أبي حنيفة يعتبر الإمام الثاني في علم الكلام عند أهل السنة إلا انه يخالف أبا الحسن الأشعري بإعطاء العقل سلطانا في الحكم على الأمور بإرشاد الشرع.

هكذا ظني فيكم أن تُغفلوا ما هو الأهم، وما استطردناه في معنى البدعة يحتاج إليه فيما لا نص فيه حتى ينظر فيه أهو من البدعة الضلالة؟ أم هو من البدع المستحسنة؟ وأما ما عليه القوم من الاجتماع هو من الشرع في أقصى درجات الوضوح، إلا عند من لم يتبع الآثار، أو أعماه وجود التعصب عن أن يقع بصره على ما في الكتاب والسنة لما يرشده ذلك.

وقد تقدم لك بعض الآثار من الترغيب في حلق الذكر والاجتماع عليه، وإني على يقين من أنكم على خبرة من ذلك، وما ذكرته إلا جرياً على ما اعتادته البلغاء من تنزيلهم العالِم أحياناً منزلة من لا يعلم، كقول الأخضري:

كقولـنا لعالـم ذي غفـــلةِ　　　الـذكر مفتاح باب الـحضرة

وإذا تقرر لديك ما تقدم من الترغيب في مجالس الذكر فقل لي بالله عليك أين يوجد هذا الاجتماع المرغب فيه؟؟ هل هو في غير البسيطة؟ أم هو في غير أمة محمد؟ أم هو يُسمع ولا يُرى؟ وفي ظني أنك احتقرت المنتسبين المجتمعين على الذكر، وإلا حسدتهم فيما هم عليه.

أخص أوصاف الصوفية

ألم تعلم أن رسول الله ﷺ قد وصفهم لك بأنهم أخلاط من قبائل شتى؟؟ يجتمعون لأجل ذكر الله لا غير، قال عليه الصلاة والسلام: عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين، رجال ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغشى بياضُ وجوهِهم نظرَ الناظرين، يغبطهم النبيون والشهداء[٩٩] بمقعدهم وقربهم من الله عز وجل، قيل: يا رسول الله من هم؟؟ قال: هم جُمّاع

[٩٩] أما حسد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأن يتمنوا أن يكون في أممهم مثل هؤلاء، لأنه يوم المباهاة، أيهم أكثر تابعاً وأيهم أرفع مقاماً عند الله تعالى، وأما حسد الشهداء فيتمنوا أن يكونوا منهم أو معهم، حيث تبين لهم أن مقامهم أقل بكثير من هؤلاء.

من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله، فينتقون أطايب الكلام كما ينتقي آكل التمر أطايبه[100] أليس هذا يرحمك الله، من أخص أوصاف الصوفية؟؟ أليس في علمك أنهم يجتمعون من قبائل شتى لا لأرحام يتواصلونها، ولا لأموال يقترفونها، أليس هم المتحابون الذين يقول فيهم سبحانه وتعالى يوم القيامة ويناديهم: أين المتحابون فيّ؟ فما هذه الداهية التي أصابتك؟ فعمدت تقطع وصلةً أمر الله بوصلها واحترامها!! ألم تعلم أن معية الله هي عبارة عن حب الذكر والذاكرين؟؟ ألم تعلم أن الله يغار على أهل نسبته ولو كانوا كاذبين؟؟ أنشدك الله وبحرمة رسول الله إلا ما رجعت عن بغض أهل لا إله إلاالله، وتركتهم وشأنهم يحكم الله فيهم يوم القيامة، فإني أخشى عليك أن تكون لا إله إلا الله خصيمتك يوم القيامة ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ آل عمران.

قال ابن العربي الحاتمي رضي الله عنه في وصيته[101]: إياك ومعاداة أهل لا إله إلا الله، فإن لها من الله الولاية العظمى، فهم أولياء الله وإن أخطأوا وجاءوا بقراب الأرض خطايا لا يشركون به شيئاً قابلهم الله بمثلها مغفرة[102]

ويشهد لهم ما رواه حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: يأتي على الناس زمان لا يعرفون فيه صلاة ولا صياماً ولا حجاً ولا

---

(100) رواه الطبراني في الكبير ١٢/ ١٣٤ احمد في مسنده ٥/ ٣٤٣.

(101) أي كتابه الوصايا، طبع مؤسسة الأعلى للمطبوعات/ بيروت.

(102) كتاب الوصايا للشيخ الأكبر ص (١٣) ويصدق هذا ما رواه لنا سيدنا رسول الله ﷺ عن رب العزة سبحانه وتعالى (يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني لغفرت لك ولا أبالي، يا ابن ادم لو أتيت بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة) المعجم الأوسط للطبراني (٤/ ٣١٥).

زكاة، يقولون: أدركنا آباءنا يقولون: لا إله إلا الله، قال حذيفة: ما تغني عنهم لا إله إلا الله؟؟!! فقال: تنجيهم من النار، تنجيهم من النار[١٠٣] فإن كان هذا فكيف يكون حال من يصلي ويصوم ويحج ويزكي؟؟!! فهل تصح عداوته؟؟ فبحقهم عليك إلا ما رجعت عن بغض المتسبين إلى الله وتحببت إليهم، ولتذعن بكل قلب ولسان قائلاً: عفا الله عما سلف، وأي معصية أشنع من تطبيقك ما ورد في أهل الزيغ والضلالة على جماعة الصوفية؟؟ ؟

حديث الافتراق

ولم يكفك ذلك حتى جعلتهم فرقة من فرق أهل النار، مستدلاً بقوله عليه الصلاة والسلام: ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا فرقة واحدة؛ وهي ما أنا عليه وأصحابي[١٠٤] وهذا صريح في

---

(١٠٣) مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة (٤/ ١٩٤) سنن ابن ماجة (٢/ ١٣٤٤).

(١٠٤) حديث الافتراق يدندن حوله الوهابية والمنعوتون بالسلفية كثيرا، ليوهموا ضعفاء العقل والعلم أنهم هم الفرقة الناجية فقط، وإني أرى بطلان هذا الحديث، أي بمعنى أن النبي ﷺ لم يقله، وذلك من جهة الإسناد، ومن جهة المتن؛ أما من جهة السند فإن المتمعن بروايات الحديث يجدها لا تخلوا من وضاع أو كذاب أو ضعيف.

وأما بطلانه من جهة المتن فأقول:

٠١ إنه معارض للقرآن الكريم فقد قال الله تعالى:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ آل عمران، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ البقرة، فأمة الإسلام هي خير الأمم على الإطلاق، وهذا الحديث إنما جعل هذه الأمة شراً من اليهود والنصارى باختلافهم وتشتت مذاهبهم.

٠٢ لو تتبعنا الفرق الحادثة في الأمة من عهد النبي ﷺ إلى يومنا هذا لوجدناها تزيد على المئات، انظر مثلاً كتاب الشهرستاني (الملل والنحل) كم فرقة عد في كتابه إلى عصره الذي كان فيه، وانظر إن شئت كتاب ابن حزم (الفصل في الملل والأهواء والنحل) و(الفرق بين الفرق) للبغدادي كم فرقة جاءت في هذه الكتب، وانظر كم فئة حدثت بعدهم إلى اليوم، وكم ستحدث في المستقبل، وكل هذا يزيد على السبعين.

أنك تعني أن فرقة أهل التصوف واحدة من تلك الفرق، وإني أحكمك لله ولرسوله ولصالح المؤمنين فيما بينك وبين الصوفية.

ثم أقول لك: إذا جعلت مذهب أهل التصوف فرقة من تلك الفرق يتعذّر عليك تمام البضع والسبعين فرقة، إلا إذا أتممتها بنفسك وبمن هو على شاكلتك، لأنك حصرت الفرق في أهل السنة والجماعة، وهلاّ نقلت حديثاً نقله الإمام الغزالي في كتابه المسمى "بفصل التفريقات" وهو قوله عليه الصلاة والسلام: ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة، كلهم في الجنة إلا الزنادقة[105] ولكن هذا لا يقع عليه بصرك، وإنما يقع على ما يساعدك في الحكم على سائر أفراد المسلمين بالنار، حتى تخلو لك الجنة أنت ومن هو على شاكلتك لا غير ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾البقرة ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ الجمعة، وفي الغالب تتشوف لوجه التطبيق بين الحديثين، وهذا ونحوه لا تجد من يرفع عنك معضلته إلا صوفي، ومحال أن تتنزل له لأن الحسد يسد باب الإنصاف، ويقطع لسان الاعتراف، وعلى

---

٠٣ الاضطراب في متن الحديث، فقد جاء في بعض روايات الحديث: كلها في النار إلا واحدة، وفي بعض الروايات كلها في الجنة إلا واحدة، فبأي الروايتين نأخذ، ثم جاء أيضا: كلها في النار إلا السواد الأعظم، وجاء في رواية أخرى: لم ينج منها إلا ثلاث.

ومما يؤكد وضع الحديث تلاعب الأيدي فيه، فقد جاء في بعض الروايات ذكر الشيعة، وبعضها الذين يقيسون الأمور بآرائهم، يشيرون به إلى السادة الأحناف، وفي بعضه: كلها في الجنة إلا القدرية، وفي بعضها: إلا الزنادقة، فتعدد المتون توجب القول بوضعه، إذ يصعب التوفيق بين الروايات، والله أعلم.

[105] رواه الديلمي في الفردوس (٢/ ٦٣).

كل حال نذكر ما فتح الله به، وإن كنت لا حاجة لك فيه، فإن لكل ساقط لاقطا، فأقول: إن وجه التطبيق بين الحديثين سهل، وليس هو إلا أن تجعل الأمة في الحديث الأول عائدة على أمة الدعوة، وفي الحديث الثاني على أمة الإجابة[١٠٦] ويتضح المعنى باستخدام وإيراد الحديث بطوله قال عليه الصلاة والسلام في الحديث المشهور: افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة وهي ما أنا عليه وأصحابي، فيتضح من سر الترتيب أن الملل كانت سبعين ملة، والملة التي جاء بها سيدنا موسى هي تمام إحدى وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا ما كان عليه موسى وأصحابه، وجميع الفرق تسمى أمته من حيث الدعوة لأنه رسول زمانه، ولما بُعث عيسى عليه السلام كانت هي تمام اثنتين وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا ما كان عليه عيسى وأتباعه، ولما بُعث أحمد بالملة الأحمدية السمحاء، كانت هي تمام الثلاث وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا ما كان عليه هو وأصحابه، ويعني بالأمة أمة الدعوة لأنه عليه الصلاة والسلام كان يقول: أنا رسول من أدركته حياً ومن يولد بعدي[١٠٧] ثم إن الملة الأحمدية افترقت حسب الحديث الثاني على بضع وسبعين فرقة، وهذا يحمل على تعدد المذاهب وتباين المشارب، وكلهم في الجنة إلا الزنادقة، وهذا ما يناسب

---

[١٠٦] قسم العلماء الأمة من عهد البعثة النبوية إلى قسمين: أمة الدعوة، أو البلاغ، وأمة الإجابة، فأمة الدعوة هم كل من بلغته دعوة النبي ﷺ إلى قيام الساعة، المؤمن منهم والكافر، ويؤيد هذا حديث النبي ﷺ الذي يرويه الإمام مسلم في صحيحه (١/ ١٣٤) عن أبي هريرة (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار).

وأما أمة الإجابة؛ فهم الذين بلغتهم الدعوة وآمنوا بها، وهم المسلمون.

[١٠٧] أورده السيوطي في الجامع الصغير وعزاه إلى طبقات ابن سعد عن الحسن مرسلا.

الشفقة المحمدية والرحمة الإلهية، وإلا لهلكت الأمة بأجمعها إذا كان الناجي جزءا من بضع وسبعين جزءا، والحالة أنه غير معين، لأن كل فريق يزعم بنجاته، وأنا أقول: إن الله سبحانه وتعالى عند كل مؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر مهما اجتهد لنفسه بما يقربه إلى الله، فإن أصاب فله أجران، وإن لم يصب فله أجر، فهو مأجور على كل حال أحببت أم كرهت، لأن الخلق ما كلفوا إصابة الصواب، إنما كلفوا الظن بأنه صواب، وجميع ذلك مما يقتضيه تسامح الشرع الأحمدي المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴿٧٨﴾ ﴾ الحج، ويشهد لما ذكر ما رواه الطبراني مرفوعا عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن شريعتي جاءت على ثلاثمائة طريقة ما سلك أحد طريقة منها إلا نجا[١٠٨] والذي أبلغ في التأييد وهو الحق الأكيد إن شاء الله ما ذكره السيوطي في الجامع الصغير عن رسول الله ﷺ أنه قال: ما من أمة إلا وبعضها في النار وبعضها في الجنة إلا أمتي فإنها كلها في الجنة[١٠٩] فلِمَ لم تصادف هذه الأخبار التي تفيد الوسع وتقضي على الأمة بالنجاة؟ ولكنك تنظر بالعين العوراء، فلهذا أراك إلى الآن لم تترك نصاً يقضي على الذاكرين بالدمار، والخروج من سعة رحمة الله التي وسعت كل شيء إلا ألصقته بجانبهم، ألا ترى أنك قلت بعد أن برهنت على أنهم المبتدعة: إن رسول الله ﷺ قال: أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يضع بدعته[١١٠] ومرادك أنه لا يقبل شيئاً من أعمال الذاكرين حتى يتركوا ما هم عليه من الذكر

[١٠٨] لم أقف عليه بهذا اللفظ ولكن بلفظ (الإسلام على ثلاثمائة وخمسين شريعة فمن أتى بخصلة منها يوم القيامة دخل الجنة) أخرجه الديلمي في الفردوس عن ابن عمر (١/ ١١٧).

[١٠٩] رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ٢٣٢) عن نافع عن ابن عمر.

[١١٠] مصباح الزجاجة (١/ ١١) سنن ابن ماجة (١/ ١٩)، ورجاله كلهم مجهولون.

والاجتماع، لأنه بدعة في زعمك، ويا ليت شعري إذا افترقت طوائف الذاكرين وما هم عليه من السواد الأعظم، فإلى أين يذهبون؟؟ وأي مجلس اخترته لهم؟؟ فهل في الشوارع ينتشرون؟ أم للهو يقصدون؟ ألم تعلم أن الإنسان بالطبع يألف الاجتماع؟ فإن كان ولا بد فأي شيء تختار لعوام المسلمين إن لم يجتمعوا على الله وبالذكر يجهرون؟ فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون؟ وبعد ذلك أتحفتهم بحديثين فقلت: أخرج أبو نعيم: أهل البدع شر الخلق والخليقة[١١١] وأخرج غيره: أصحاب البدع كلاب النار[١١٢].

---

[١١١] حلية الأولياء (٨/ ٢٩١) وهذا الذي قال به المنكر تدليس، لأن المقصود بأصحاب البدع هم الذين ابتدعوا في دين الله بما لم يقله أحد من العلماء المعتبرين على مر تاريخ الإسلام، كالخوارج الذين خرجوا على سيدنا علي رضي الله عنه ووصل بهم الأمر إلى قتله، وإني أرى أن هذه الطائفة هم خوارج العصر الذين خرجوا علينا بدين جديد، وأنهم امتداد لأولئك الخوارج الذين ظهروا في بداية الإسلام، وأستطيع تلخيص وجه الشبه بينهم في هذه النقاط؛

أولا: إن الخوارج يضعون الآيات والأحاديث في غير مواضعها، ويتأولونها تأويلا مغايرا لتأويل الأمة، فتراهم يحملون الآيات التي أنزلت في المشركين فيحملوها على المؤمنين، فقد روى مسلم وغيره بسند صحيح باب (الخوارج شر الخلق والخليقة) ٢/ ٧٥٠: عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: (إن بعدي من أمتي أو سيكون بعدي من أمتي قوم يقرأون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة) وروى البخاريّ (٢٣/ ٣١) ترقيم فؤاد عبد الباقي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ في وصف الخوارج؛ أنهم انطلقوا إلى ءايات نزلت في الكفار فحملوها على المؤمنين، وفي رواية عن ابن عمر أيضًا أنه ﷺ قال: أخوَفُ ما أخاف على أمّتي رجل يتأوّل القرءان يضعه في غير موضعه (المعجم الأوسط الطبراني (٤/ ٣٩٦)، وكذلك نرى هذه الطائفة الوهابية تحمل الآيات والأحاديث الواردة في المشركين فينعتون بها المسلمين، فقد وصفوا أن من استغاث بنبي أو ولي أو توسل به فهو مشرك شركا أكبر، وخالد في النار، لأن الاستغاثة (بنظرهم) دعاء والدعاء هو العبادة، فيجب أن لا تصرف إلا لله وحده، وقالوا: إنه لا فرق بين المتوسل بنبي أو ولي وعابد الصنم، فجعلوا من المسلم الذي يتوسل بالنبي مشركا، وأن المستغاث به (النبي والولي) صنما، والاستغاثة شركا لأنها بنظرهم عبادة لغير الله.

وممن ألف في الرد على ابن عبد الوهاب زعيم هذه الطائفة أكبر مشايخه وهو الشيخ محمد بن سليمان الكردي مؤلف حواشي شرح ابن حجر على متن بافضل، فقال من جملة كلامه: يا ابن

عبد الوهاب إني أنصحك لله تعالى أن تكف لسانك عن المسلمين، فإن سمعتَ من شخص أنه يعتقد تأثير ذلكَ المستغاث به من دون الله فعرفه الصواب وأبنْ له الأدلة على أنه لا تأثير لغير الله، فإن أبى فكفره حينئذ بخصوصه، ولا سبيل لك إلى تكفير السواد الأعظم من المسلمين، وأنت شاذ عن السواد الأعظم، فنسبة الكفر إلى من شذ عن السواد الأعظم أقرب، لأنه اتبع غير سبيل المؤمنين قال تعالى:﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ النساء: وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.اهـ

ثانياً: روى البخاري في صحيحه (١٢/ ٣٥٩) عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضى الله عنه، قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِى تَمِيمٍ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ. فَقَالَ «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ». فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِى فِيهِ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ. فَقَالَ «دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْىِ الْمَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَأَشْهَدُ أَنِّى سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِىَّ بْنَ أَبِى طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ، فَالْتُمِسَ فَأُتِىَ بِهِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِىِّ ﷺ الَّذِى نَعَتَهُ (قلت): فذو الخويصرة تميمي وابن عبد الوهاب يرجع نسبه أيضا إلى بني تميم.

ثالثاً: وروى البخاري في صحيحه (٤/ ٢٤٢) عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قال رسول الله ﷺ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا قَالَ: هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ، وروى البخاري (٧/ ٥١) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: الْفِتْنَةُ مِنْ هَا هُنَا وَأَشَارَ إِلَى الْمَشْرِقِ.

قلت: فنستخلص من هذين الحديثين أن هذه الطائفة هي امتداد لتلك الطائفة، وأنها أصل الفتنة، وزعيمها هو قرن الشيطان، لأنه من نجد التي وصفها عليه الصلاة والسلام بأن منها تنبع الفتن، ومنها يخرج قرن الشيطان، ولهم علامة لم تكن لأحد من قبلهم وصفهم بها عليه الصلاة والسلام وهي:

رابعاً: روى البخاري أيضا (٢٤/ ٤٥١) عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ رضى الله عنه عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ «يَخْرُجُ نَاسٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لاَ يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّى يَعُودَ السَّهْمُ إِلَى فُوقِهِ». قِيلَ مَا سِيمَاهُمْ؟. قَالَ «سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ». أَوْ قَالَ «التَّسْبِيدُ».

ففي قوله سيماهم التحليقُ تصريح بهذه الطائفة لأنهم كانوا يأمرون كل من اتبعهم أن يحلق رأسه، ولم يكن هذا الوصف لأحد من طوائف الخوارج والمبتدعة الذين كانوا قبل زمن هؤلاء، وكان السيد عبد الرحمن الأهدل مفتي زبيد يقول: لا حاجة إلى التأليف في الرد على الوهابية بل يكفي في الرد عليهم قوله ﷺ سيماهم التحليقُ فإنه لم يفعله أحد من المبتدعة غيرهم. واتفق مرة أن امرأة أقامت الحجة على ابن الوهاب لما أكرهوها على اتباعهم ففعلت، فأمرها ابن عبد

الوهاب أن تحلق رأسها فقالت له: حيث أنك تأمر المرأة بحلق رأسها ينبغي لك أن تأمر الرجل بحلق لحيته، لأن شعر رأس المرأة زينتها، وشعر لحية الرجل زينته فلم يجد لها جوابًا.

خامساً: إن الخوارج قالوا: بأن مرتكب الكبيرة كافر خالد في النار، وأن دار الإسلام تصير بظهور الكبائر فيها دار كفر، فاستباحوا بذلك دماءهم، حتى أنهم قتلوا الصحابي عبد الله بن خباب رضي الله عنه في رمضان وهو صائم، وقتلوا زوجته وبقروا بطنها وهي حبلى لأنه لم يتبرأ من سيدنا علي، وكذلك الوهابيون حكموا بالكفر على كل من خالف مشربهم من المسلمين، لذلك قام ابن عبد الوهاب بقتل المسلمين وهم يصلون في المساجد، وحكم على الذين لم يتبعوا دعوته بالردة، وسبى نساءهم وعاملهم معاملة المشركين، وتقول الإحصائيات: أنه قتل في الجزيرة العربية وحدها (٥ , ٢) مليون من المسلمين، وشرد (٢) مليون إلى البلاد المجاورة، وأخذ أموالهم، حتى تعدى الأمر لنهب خزائن الحجرة النبوية الشريفة، وقُدّر ما فيها آنذاك ب(٢) مليون دينارا ذهبا، وفعلوا مثل ذلك في الكعبة المشرفة، واعتبر ديار المسلمين ديار كفر، وداره دار إيمان تجب الهجرة إليها.

سادساً: إن الخوارج على جانب كبير من الجمود الفكري والتخلف العقلي، فتراهم يتورعون عن أكل تمرة ملقاة في الطريق، ويرون قتل كلب أو خنزير شارد في الصحراء فساداً في الأرض، لكنهم بالمقابل يرون قتل الناس ولو كان صحابيا قربة إلى الله تعالى، وكذلك الوهابيون على جانب كبير من الجمود والغباوة، فبينا هم يحرمون التدخين ويعاقبون عليه، ويحرمون التصوير ويحرمون كشف وجه المرأة، تراهم يكفرون المسلمين ويستحلون دماءهم وأموالهم، ويدمرون بيوتهم بالمدافع لأنهم يقولون بجواز التوسل والاستغاثة بالنبي ﷺ وغيره من الأولياء، أو طلب الشفاعة منه ﷺ.

سابعاً: إن الخوارج يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان كما أخبر عنهم النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه البخاري (١٢/ ٩) ... يقتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ، كذلك الوهابيون يقتلون أهل الإسلام، فقاموا بقتل المسلمين في العراق، والأردن ووصلوا إلى البلقاء سنة ١٩٣٤م وعرفت حربهم بحرب (الأخوين) وظفروا بألف حاج من اليمن سنة ١٣٤٠ هـ فقتلوهم جميعا، وقتلوا الأشراف في حضرموت، وغيرهم الكثير، لكنا لم نرهم ولو مرة واحدة وجهوا بنادقهم لواحد من سوى المسلمين.

وخلاصة الأمر: أن هذه الطائفة الوهابية هي خوارج العصر الذين خرجوا على المسلمين بدين جديد، وكل الإشارت الواردة في الأحاديث الصحيحةتنطبق عليهم تماماً، من أن مؤسسهم هو قرن الشيطان ومن بني تميم عشيرة ذي الخويصرة ويخرج من نجد جهة المشرق، وسيماهم التحليق، ويحملون الآيات التي نزلت في المشركين فيحملونها على المؤمنين، ويقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، ويرون كفر من سواهم...الخ.

(١١٢) التدوين في أخبار قزوين (٢/ ٤٥٨).

رد القول بأن مذهب التصوف بطالة

ولما خشيت أن القارئ لا يفهم من هم أهل البدع المشار إليهم لأن الناس تتفاوت في الفهم، فوضحت ذلك بقولك: قال الأستاذ أبو بكر الطرطوشي: (مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلاله، فما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ).

فأقول فما أجراك على أهل نسبة الله!!! وما أحد لسانك في أكل لحوم أهل الله!! والله لئن تهدم الكعبة أولى لك من أن تفوه بمثل هاتة المقالة، عرَّفتَ التصوف بأنه بطالة وجهالة، والله لقد عرَّف التصوفَ علماءُ الدين وحكماءُ المسلمين بخلاف ما عرَّفتَه فقالوا: إن التصوف عبارة عن تدريب النفس على العبودية، وردها لأحكام الربوبية، التصوف؛ الخروج من كل خُلُقٍ دنيٍّ والدخول في كل وصف سنيٍّ، وقال أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه: التصوف هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به، وهذا من بعض ما عرَّفوا به التصوف[113] أما قولكم:

---

(113) جاء في كتب التراجم والتاريخ والأخلاق مئات التعاريف للتصوف إن لم نقل آلاف، فقد ذكر صاحب الحلية ما يقرب من ألفي تعريف للتصوف وسأذكر قليلا منها حيث لم يذكره المؤلف عليه رحمة الله طلبا للاختصار منها: قال الكتّاني: هو خُلُق، فمن زاد عليك فى الخُلُق زاد عليك في التصوّف. وقيل: حسن الخُلُق: بَذْل النّدى، وكَفُّ الأذى. وقيل: بذل الجميل وكفُّ القبيح. وقيل: التخلي من الرذائل، والتحلّي بالفضائل. وهو يقوم على أربعة أركان لا يُتصوّر قيام ساقِه إلاّ عليها: الصّبر والعفّة والشّجاعة والعدل (انظر بصائر ذوي التميز ٢/ ٤١).

- التصوف: وقف الهمم على مولى النعم (الحلية ١/ ٣٣).
- التصوف: استنفاد الطوق في معاناة الشوق وتزجية الأمور على تصفية الصدور (الحلية ١/ ٣٨).
- التصوف: ركوب الصعب في جلال الكرب (الحلية ١/ ٤٧).
- التصوف النبو عن رتب الدنيا والسمو إل المرتبة العليا (الحلية ١/ ٤٨).
- التصوف: حمل النفس على الشدائد الذي هو من أشرف الموارد (الحلية ١/ ٥٥).

التصوف بطالة فمردود عليكم بما قرروه بأن الصوفي يحاسب نفسه على الأنفاس عملاً بقوله عليه الصلاة والسلام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا[114] وهل ترى هذا من البطالة ؟.

وأما قولكم: مذهب التصوف جهالة، فهذا مردود عليكم أيضاً بما أبدوه من العلوم التي تعجز عنها فحول أكابر العلماء فضلا عمن هو على شاكلتكم[115] ومؤلفاتهم أعدل شاهد، ألم تعلم أن التصوف ذكره

- التصوف: الإكباب على العمل تطرقا إلى بلوغ الأمل (١/ ٥٧).
- التصوف: الصبر على مرارة البلوى ليدرك به حلاوة النجوى حلية (١/ ٨٧) تاريخ بغداد (١٤/ ٣٩١)
- التصوف: ترويح القلوب بمراوح الصفاء وتجليل الخواطر بأرديه الوفاء والتخلق بالسخاء والبشر في اللقاء، تاريخ بغداد الخطيب البغدادي (٣/ ٢٧٤).
- التصوف: هو صفاء المعاملة مع الله وأصله التعزف عن الدنيا كما قال حارثة: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري، تاريخ دمشق ابن عساكر (٢٠/ ١٧٨).
- التصوف: الإعراض عن الخلق وترك الاعتراض على الحق، تاريخ دمشق ابن عساكر (٤١/ ٢١٥).
- التصوف: فراغ القلب وخلاء اليدين وقلة المبالاة بالأشكال، سير أعلام النبلاء الذهبي (١٦/ ٢٦٥).
- أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الاهواء والبدع....

(١١٤) لم أقف عليه من كلام النبوة وإنما هو من كلام عمر رضي الله عنه، انظر مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٩٦) والزهد للإمام احمد (٢/ ١٥٩) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (١/ ٢٢).

(١١٥) روي في ترجمة الشيخ احمد زروق الفاسي أن أحد العلماء دخل عليه وهو يتوضأ فنظر في مكتبته فوجد القلم يكتب في الورق لوحده، وهذه من جملة كراماتهم في العلم.

ومنهم الشيخ عبد الوهاب الشعراني صاحب التصانيف الشهيرة حتى قالوا: لو ضاعت كتب العلماء ولم يبق إلا كتب الشعراني لكفت الأمة هذا مع ما كان عليه من العبادة والقوة في الذكر التي يعجز أحدنا أن يقولها متفرغاً.

ومنهم الشيخ يوسف النبهاني له من المؤلفات التي يعجز عن قراءتها العالم المجد فضلاً عن تأليفها ومنهم الشيخ عبد الغني النابلسي له من المؤلفات ما يربو على (٤٥٠) مصنفاً في شتى العلوم.

بعض الأكابر من فروض العين، كالإمام الغزالي والشيخ السنوسي صاحب العقائد فقال: يجب السعي إلى من اشتهر به ولو بغير رضاء والديه، وقال الجنيد رضي الله عنه: لو أن تحت أديم السماء أشرف من العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا لسعينا إليه، وقال الشيخ الصقلي في كتابه المسمى بنور القلوب: كل من صدق بهذا العلم فهو من الخاصة، ومن فهمه فهو من خاصة الخاصة، وكل من عبر عنه فهو النجم الذي لا يدرك، والبحر الذي لا ينزف..

قلت: يشهدك الله فهل تفهم شيئاً من مكنون علمهم ودرر لغزهم؟ كلا!! فما أنت إلا من وراء حجاب من حديد، ولهذا أصبح عندكم جهالة، أما قولكم أنه ضلالة فالله أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى، ثم أقول: إني لا أنكر وجود النقص في المعترضين في كل عصر من أهل السنة على بعض أفراد المتصوفة لاحتمال وجود النقص في المعترِض أو المعترَض عليه، وأما إنكار مذهب التصوف من أصله فلم تتظاهر به أهل السنة، إنما تظاهرت به بعض الفرق التي لا أهمية لها بالنظر للسواد الأعظم، ولهذا لم ترُج معتقداتهم، وأي شيء اخترته في تلك المذاهب المندرسة حتى قمت تنتصر لمذهبهم وتحيي من معتقداتهم ما اندرس؟؟ فأخذت تبث في قلوب أبناء الوطن سوء الظن

ومنهم الشيخ محي الدين بن العربي له قرابة الألف مصنف.
وابن ليون التجيبي له ما يزيد على مائة كتاب، والسيوطي له ما يزيد على (٧٠٠) كتاب،....إلخ وهؤلاء كلهم صوفية ما زلنا ننعم في رياض كتبهم ونتطفل على فتات موائدهم مع ما كانوا عليه من شدة العبادة والذكر والجهاد في سبيل الله، وكما روي عن النبي ﷺ عن سعد ابن أبي وقاص: هذا خالي فليرني أحدكم خاله، ونحن نقول هؤلاء أشياخنا فليرنا أحدكم شيخه.

بالذكر والذاكرين، وفي ظني أن مجلسك لا يخلو من نحو ما كتبته في هذا الشأن، وإن كان كذلك فالله يعصم من حظرك كيلا يشاركك إلا فيما يعود عليه بالنفع ويترك ما وراء ذلك.

علم الظاهر الباطن

أما قولكم: فما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فمن ذا الذي بلغك عن الصوفية أنهم يقولون: إن في كتاب الله من العلوم ما لا يتوصل إليه العموم، قال سلطان العاشقين[١١٦]:

فثم وراء النقل علم يدق عن   مدارك غايات العقول السليمة

قلت: ولعل المتجمد على الظواهر لا يرى من كتاب الله إلا ما وصل إليه من جهة بضاعته القليلة وقريحته الكليلة، وينكر ما وراء ذلك، ولم يعلم أن ما عرفه من ظاهر الكتاب إلا كمن عرف القشر من اللباب، وما وراء ذلك ما لا عين رأت ولا إذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهل يُعتقَد أن ما وصل إليه فهمه هو ما كانت عليه بواطن أصحاب رسول الله ﷺ في كتاب الله، كلا وليفتش نفسه إن كان ما أكنّه فؤاده أعز مما تحدث به فهو على بينه من ربه، وإلا ما ضاع له أكثر مما حصل عليه، قال ﷺ: إن من العلم كهيئة المكنون، لا يعلمه إلا العلماء بالله، فإذا أظهره أنكره أهل الاغترار بالله[١١٧] وقال: علم الباطن سر من أسرار الله وحكم من حكمه يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده[١١٨] وقال أيضا:

---

[١١٦] هو شاعر الصوفية عمر بن الفارض رضي الله عنه.

[١١٧] رواه الديلمي في الفردوس عن أبي هريرة (١/ ٢١٠).

[١١٨] الديلمي في الفردوس (٣/ ٤٢).

العلم علمان علم في القلب فذلك العلم النافع، وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم[١١٩] فدل هذا على أن العلوم الخفية غير العلوم المتعاطية، قال أبو هريرة في ما شاع عنه: حفظت عن رسول الله وعاءين من العلم، أما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته لقطعتم هذا البلعوم[١٢٠] نقله عمر بن عبد البر، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لو قلت لكم ما أعلم تفسير قول الله تعالى: ﴿ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ الطلاق، لرجمتموني أو لقلتم أني كافر[١٢١] ذكره الشعراني في اليواقيت والجواهر ومما ينسب لزين العابدين رضي الله عنه[١٢٢].

يا رُبَّ جوهرُ علم لو أبوح بـــه   لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنـا
ولاستحل رجال مسلمون دمـي   يرون أقبح مـا يأتونه حسنـا

---

[١١٩] رواه الدارمي في سننه (١/ ١١٤) وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٨٢) والبيهقي في الشعب (٢/ ٢٥٢، ٢٩٤).

[١٢٠] رواه البخاري في صحيحه (١/ ٥٦) باب حفظ العلم.

[١٢١] لا يعرف هذا من كلام ابن عباس، وإنما هو من كلام أبي هريرة، وكلاهما صحابي، انظر المستدرك (٣/ ٥٨٣) (٤/ ٥١٧).

[١٢٢] لا تثبت نسبته لسيدنا زين العابدين عليه السلام، بل أخرج البغدادي في تاريخ بغداد (١٢/ ٤٨٩) في ترجمة كلثوم بن عمرو أبو عمرو العتاب قال: كان شاعراً خطيباً بليغاً مُجيداً وهو من أهل قِنّسرين، وقدم بغداد ومدح هارون الرشيد وغيره من الخلفاء والأشراف، يرجع نسبه إلى عمرو بن كلثوم الشاعر، شاعر مترسّل بليغ مطبوع متصرف في فنون الشعر، مقدم في الخطابة والرواية، حسن المعارضة والبديهة من شعراء الدولة العباسية. قال البغدادي: حدثنا أبو الفضل محمد بن عبد الله الشيباني قال: حدثني كلثوم بن عمرو بن كلثوم التغلبي قال: أنشدني أبي أن جده كلثوم بن عمرو أنشده لنفسه:

إني لأخفي من علمي جواهره   كي لا يرى العلم ذو جهل فيفتتنا
وربَّ جوهرُ علمٍ لو أبوح به   لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجالٌ ديِّنون دمي   يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: لو حدثتكم بكل ما أعلم لقلتم: رحم الله قاتل سلمان[١٢٣] وقال الإمام علي كرم الله وجهه: إن بجانبي علماً لو قلته لأزلتم هذا عن هذه، وأشار برأسه عن جثته، فدل هذا على أن في الزوايا خبايا.

وفي قولكم: فما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فكأنكم تشيرون أن ذاك هو الذي فهمتموه من كتاب الله، ألم تعلم أن للقران ظاهراً وباطناً وحداً ومطلعاً كما هو الحديث المشهور عن رسول الله نقله في تاج التفاسير، وحتى لو قلنا: أنك على خبرة من ظواهره فهل علمت شيئا من باطنه؟ وأين أنت من حده ومطلعه؟ ذلك حظ العارفين في كتاب الله وسنة رسول الله، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقران وجوهاً كثيرة[١٢٤] وقيل: إنه حديث عن شداد بن أوس نقله ابن عبد البر، ولكنك ترى الإسلام هو مجرد ما أنت عليه ومن هو على شاكلتك، وإن كان كذلك فإنك سويت بين سريرتك وسريرة أصحاب رسول الله ﷺ بل وسريرة الأنبياء، وهذا من الجهل في أقصى غاية، ألم تعلم أن رسول الله ﷺ قال: لن تخلو الارض من أربعين رجلا على قلب خليل الرحمن[١٢٥] وهل أنت من هاته العصابة المشار إليها في الحديث؟ فإن كنت كذلك فلا يبعد أن يكون لك أوفر نصيب من الاطلاع على مكنونات الدين وإلا فسلم العلم لأربابه، لأن الأثر صريح

---

(١٢٣) المجالسة وجواهر العلم أبو بكر الدينوري (١ / ٣٧٧) تاريخ دمشق ابن عساكر (٢١ / ٤٢٤) سير أعلام النبلاء الذهبي (١/ ٥٤٤).

(١٢٤) مصنف عبد الرزاق ت الأعظمي(١١/ ٢٥٥) وغيره عن أبي الدرداء.

(١٢٥) رواه الطبراني في الأوسط (٤/ ٢٤٧) عن انس.

في ذلك لمن تتبعه بأن في الأمة خصوصاً أطلعهم الله سبحانه وتعالى على أسرار الكتاب والسنة، ومهما صح ذلك فهل توجد العصابة المشار إليها في غير الذاكرين الموسومين بصفة الانقطاع لله عز وجل؟ ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ النور.

التواجد والحركة في الذكر

وفي مثلهم قال ذو النون المصري رضي الله عنه: اجتمعت بجارية في بعض السياحات فقلت لها: من أين أقبلت؟ فقالت: من عند أناس ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ السجدة، فقلت لها: والى أين تريدين؟ فقالت: إلى ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ النور. ولكنك ظننت أن التصوف عبارة عن جماعة من الناس يجتمعون للرقص ونشد الأشعار لا غير، ومثلك كمن قصد راعي الغنم بالليل يطلبه أن يتصدق عليه بماشية، فأذن له في ذلك، فذهب ليأخذ ماشيته، فوقعت يده على كلب الحراسة، الذي هو عادة يكون مختلطاً بالمواشي، فلما أصبح الصباح وجد بيده كلباً، فأخذ يتهم راعي المواشي ويلقبه براعي الكلاب، وهذا ما يقتضيه لسان ما جمعتموه، لأنكم أقصرتم التصوف على الرقص وما في معناه، ولهذا قلت: وفي المعيار، أن من البدع المنكرة المحرمة الرقص بالذكر، ثم أتيتم بقول الطرطوشي الذي قضى على خيار الأمة المحمدية بالبطالة والجهالة والضلالة، ولم يكفكم هذا حتى وضعتم عليهم تشبيهاً بليغاً أخرجهم من دائرة الإسلام والمسلمين، وهو قولكم نقلا عمن لا يتقي الله مثلكم، أو لم يقصد بذلك إلا جماعة بعينها، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري، فإنهم لما

عبدوا العجل صاروا يرقصون حوله ويتواجدون، فهو دين الكفار وعبّاد العجل، وفي ظني أنكم تجاوزتم الحد فيما ارتكبتموه، فلا مسلك وخيم في أعراض أهل الله إلا وسلكتموه، ثم أقول: إن كان تشبيهكم هذا للفقراء بعبّاد العجل فيه إصابة من حيث الهيئة الموجودة في الفريقين، وقد صادفتم فيما زعمتم، فهل صادفتم وجه الشبه فيما بين المعبودين المتواجَد من أجلهما؟؟ بين عجل الإسرائيلي وإله الذاكرين؟ فتعالى الله عما يقول الظالمون، وحقي أن لا نشتغل بالكلام على هاته العبارة الواهية، لأنها زُيِّفتْ ورُدَّتْ من عدة وجوه، وقد أطال الكلام عليه غير واحد، وذكروا إنها مدسوسة على أبى حنيفة، وحاشاه أن يقول مثل ذلك، ثم أتكلم في التواجد الذي ذكرتم تحريمه، وإن كان ليس هو المقصود من طريق القوم، إنما هو نتيجة الوجل الذي عدمتموه قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴿٢﴾﴾ الأنفال، فها هو تعالى أخبرك عما يلحق الذاكر من الوجل، وجعله من أخص صفة المؤمنين، الا ترى أنه تعالى أثنى على أهل الكتاب بما حصل لهم من الوجد، فذكر أحد لوازمه بأبلغ ما يكون من المدح فقال ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴿٨٣﴾﴾ المائدة، أوليس في هذا ما يدل على وقوع حركة في باطن المؤمن من أجل ذكر الله واستماع كلامه؟ أو لم يقل تعالى ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ الحشر، ثم

بيَّن معنى القرآن الذي تتصدع منه الجبال فقال ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٤ ﴾ الحشر، فلم لا تعذر القلوب إذا تصدعت والأجسام إذا تمايلت من شيء تتصدع منه الجبال؟؟ وليس ذلك إلا لأنك لم تجد في باطنك ما وجده غيرك، لأنه ذكر من القلوب ما هو كالحجارة أو أشد قسوة، أو لأنك ذكرت أسماء الله وتلوتَ كتاب الله على ظاهر قلب، ألم يبلغك أن السيد عمر مرَّ برجل يقرأ ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨ ﴾ الطور، فصاح صيحة سمعت من أقطار المدينة، ثم غُشي عليه، فحُمل إلى منزله، فمكث يومين لم يرجع كلاما[١٢٦] وسمع الشافعي رضي الله عنه قارئاً يقرأ ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦ ﴾ المرسلات، فغُشي عليه وحُمل إلى منزله.

---

(١٢٦) قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية (٤/ ٢٤١): عن جعفر بن زيد العبدي قال: خرج عمر يعس في المدينة ذات ليلة فمر بدار رجل من المسلمين فوافقه قائماً، يصلي فوقف يستمع قراءته فقرأ ﴿والطور..﴾ حتى بلغ: إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع ﴾ قال: قسمٌ ورب الكعبة حقٌ، فنزل عن حماره وأسند إلى حائط، فمكث ملياً ثم رجع إلى منزله، فمكث شهراً يعوده الناس لا يدرون ما مرضه رضي الله عنه.

ومثل هذا لا يحتاج إلى شدة بيان، فقد قضى الوجل والتواجد بانعدام الكثير من السلف الصالح، ألم يبلغك ما جاء في الآثار عن مجلس سيدنا داود عليه السلام، وما كان يقع فيه من الجموع إذا أخذ في قراءة الزبور؟؟ وهل تظن أن بني إسرائيل كانت أرق أفئدة من أمة محمد ﷺ؟؟ وعلى كل حال فإني أظنك لا تذكر حصول الوجل الذي هو علّة في التواجد، بل تسلمه لبعض أفرادٍ غير معنيين تسليماً علمياً لا ذوقياً، كذلك وعلمت أنه من أخص لوازم الشعور، فلم تخصصه بأن الكفار الذين وصفهم الحق سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ الفرقان، فإنك جعلتهم أرق أفئدة من الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، وهل جعلت شغف الإسرائيليين بالعجل أشد شغفاً من:

قوم تخلَّجَهُمْ زُهوٌ بسيدهم والعبد يزهو على قدر مولاه

فالإسرائيليون حركهم ما أشربوه في قلوبهم من حب العجل، والصوفية حركهم ما أشربوه في قلوبهم من حب الله، فوقع منهم ما أنكرته عليهم، ومن جهل شيئاً عاداه، أو لم يبلغك قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴿٢﴾ ﴾ الأنفال، الم تعلم أن رسول الله ﷺ ذكر في أمته أقواماً يدخلون الجنة أفئدتهم مثل أفئدة الطير[١٢٧] ذكره في الجامع الصغير.

---

(١٢٧) رواه ابو يعلى في مسنده (٥/ ٢٩٠) عن قتادة.

وعلى هذا فأين يوجد المشار إليهم إن لم يوجدوا في حيز الذاكرين؟ وفي الغالب أنك تحدث نفسك أنك منهم، فأقول: بالله عليك إلا ما أخبرتني أانت من ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ الأحزاب؟؟ أم من الذين ﴿ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ النور، أم من الذين لا تلهيهم أموالهم ولا أولادهم عن ذكر الله؟ أم من ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴿١٩١﴾ ﴾ آل عمران؟ أم من ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴿٢﴾ ﴾ الأنفال، أم من الذين ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴿٨٣﴾ ﴾ المائدة، أم من الذين قال فيهم عليه الصلاة والسلام: (سبق المفرِّدون المهتزون بذكر الله[١٢٨] أم من الذين قيل فيه مجنون؟ عملاً بقوله عليه الصلاة والسلام: (أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون[١٢٩] أم ممن قيل فيهم مراؤون؟ عملاً بقوله عليه الصلاة والسلام: (أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقول المنافقون أنكم

---

(١٢٨) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦٢) والترمذي في سننه (٥/ ٥٧٧) وابن حبان في صحيحه (٣/ ١٤٠) بلفظ آخر وهو (عن أبي هريرة قال كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان، سبق المفردون، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات) ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٧٣) بلفظ: قال رسول الله ﷺ سبق المفرّدون، قالوا: يا رسول الله وما المفردون؟ قال: الذين يهترون في ذكر الله، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ورواه الترمذي في سننه (٥/ ٤٦٩) بلفظ: سبق المفردون، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: المستهترون في ذكر الله، يضع الذكر عنهم أوزارهم، ورواه الديلمي في الفردوس بلفظ: سبق المفردون الذين يهتزون عند ذكر الله، قلت: هناك فرق في اللغة بين قوله (المهتزون) بالزاي و (المهترون) بالراء، فالأولى يتحركون في الذكر بأجسامهم من الاهتزاز، وأما الثانية: الذين أدمنوا ذكر الله في ليلهم ونهارهم.

(١٢٩) رواه الديلمي في الفردوس (١/ ٧٢).

مراؤون[130] عزمت عليك بالله إلا ما أخبرتني من أي فريق أنت؟ أأنت من القائلين؟ أم ممن قيل فيهم؟ وبالجملة إن التواجد لا يستبعد وقوعه إلا غليظ الطبع جافي الأخلاق، كما يستبعد العِنِّين[131] لذة الجماع، وإذا فاتتك المنة في نفسك فلا يفوتك التصديق بها في غيرك، قال الشيخ شعيب أبو مدين رضى الله عنه:

فقل للذي ينهى عن الوجد أهله ... إذا لم تذق معنى شراب الهوى دعنا
فإنا إذا طبنا وطابت نفوسنا ... وخامرنا خمر الغرام تهتكنا

إلى آخر ما قرره فيما يتعلق بالوجد والتواجد، ومع هذا إنى لا أقول بأن الرقص والتواجد هما من لوازم التصوف، إنما هما من لوائح ما ينشأ عن الاستغراق في الذكر، ومَنْ شَكَّ فليجرِّب، فليس الخبر كالمعاينة، وهذا ما يتعلق بالتواجد، وأما الرقص فسيأتي الكلام عليه، ثم أراك بعد ما حكمت على السواد الأعظم من أمة محمد بالتضليل، أخذت تحرض الأمراء على أفعال الخير في ظنك، وإنما أردت مشاركتهم لك في مصيبتك فقلت: ينبغي للسلطان أو نائبه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا فائدة تلحقك وتلحق من عمل بإشارتك إلا الدخول تحت قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴿١١٤﴾﴾ البقرة، فقد سعيت في تخريب بيوت الله، وعرَّضت ولاةَ المسلمين لسخط الله، وللخزي المترتب على من فعل

---

[130] رواه البيهقي في الشعب (١/٣٩٧) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٧٦):وفيه الحسن ابن أبي جعفر الجفري وهو ضعيف.

[131] العنّين: من به عُنة، وهو العجز عن إتيان النساء.

مثل ذلك، ولكن رجال الحكومة أوسع منك نظراً وأشد منك محبة في الذكر والذاكرين، فلا زالت الأمراء في سائر أصقاع المسلمين قديماً وحديثاً في إكرام المنتسبين، والتعظيم لجنابهم على اختلاف طبقاتهم، وليس ذلك إلا بسبب من لازمهم من علماء الملة، جزى الله الفريقين خيرا، وأما من سواهم من العلماء المتهورين فلا يُعبأ بهم، ولا يُعتدُّ بِفَتْواهم لأنهم على علمٍ مِن أن ما صدر منه إنما هو عن ضيقٍ في صدره، أو قصورٍ في علمه، وما يدريك أن يكونوا من أمرت بإخراجهم من المساجد هم المقصودون من قوله عليه الصلاة والسلام، لما سئل عن الذين يقال لهم يوم القيامة: (يقول الله جل وعلا يوم القيامة: سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم فقيل: من أهل الكرم يا رسول الله؟ قال: هم أهل الذكر في المساجد[١٣٢]) رواه الإمام أحمد.

ثم أقول إذا إمرتهم أن يمنعوهم من المساجد فلم لم تقتصر على ذلك حتى أمرتهم أن يمنعوهم من الاجتماع ولو في بيوتهم؟ والحالة أنهم لا يمنعون أهل الكتاب من الاجتماع في كنائسهم موافقة لما قرر الشارع من احترام الكتابيين من أهل الذمة، وهلاّ جعلت طوائف الذاكرين على الأقل من ذلك القبيل؟ ولكنك ترى الاجتماع على ذكر الله وتلاوة القران من أعظم المناكر، كما قررته في غير ما موضع من كتابك، فلهذا أمرت الحكومة بتغيير هذا المنكر الشنيع حتى لا يعود أحد يجتمع على ذكر الله وتلاوة القرآن، والصلاة والسلام على النبي عليه السلام، أو مما هو من هذا القبيل ﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ الصف، وبعد ما حكمت بتضليل ما هم عليه من الاجتماع للذكر ونحوه قلت:

---

[١٣٢] رواه ابو حبان في صحيحه (٣/ ٩٨) والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣٣) بسند صحيح.

"ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم" فيا لله العجب!!! متى جاء هذا الدين الذي نزل بتحريم الحضور مع الذاكرين؟؟؟ وهذا إذا كان مجرد حضور فيكون محرماً، وأما إذا تحركت شفتاه مع الذاكرين بقولنا لا إله إلا الله، فلم ندر ما حكم الله في ذلك، ولعلك تراه مرتداً، أو ما هو من هذا القبيل، اللهم إنك تعلم براءتي وبراءة الإسلام والمسلمين ممن يعتقد هذا ونحوه، وعلاوة على ما تحملته من الزور وارتكبته من الفجور قلت: "وهذا مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم، فأشركت أئمة الدين فيما ارتكبته، وادعيت أن الأئمة يقولون ما قلته، وحاشا لله، وها أنا أنقل لك زيادة على ما نبهنا عليه من فتاوى علماء المذاهب الأربعة، أين توجد في هاته النازلة، وأن ذلك يتعذر نقله لكثرته، وعلى كل حال ذكرنا لك منها جملة ممن لا تخفى مكانته في الدين كجلال الدين السيوطي والشبرخيتي والفيروز آبادي وغيرهم، وإني الآن أذكر لك ما نقل عن المذاهب الأربعة في أنفسهم من احترامهم لأهل التصوف، زيادة على ما قررناه، وتبرئة للأئمة مما نسبته إليهم من أنهم ينكرون التصوف من أصله فأقول: مما علم من سيرة الشافعي بالضرورة أنه كان يجالس الصوفية ويلازمهم ويحترمهم، فقيل له في ذلك فقال: استفدت من مشائخ الصوفية ما لم أستفده من غيرهم قولهم: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، وقولهم: أشغل نفسك بالخير، فإن لم تشغلها بالخير شغلتك بضده، وقد كان يلازم شيبان الراعي وهو من خواص الصوفية رضي الله عنهم.

وهكذا كان الإمام أحمد ذات يوم مع الإمام الشافعي فسأل أحمد شيبان الراعي رضي الله عنهما عن رجل نسي في خمس صلوات لم يدر

عينها، فقال شيبان: هذا رجل غفل عن الله حقه أن يؤدب، ثم سأله عن الزكاة، فأجابه بما يطول ذكره، فصار أحمد من ذلك الوقت يحترم أهل التصوف، حتى كان يبعث لأبي حمزة البغدادي الصوفي إذا نزلت به نازلة مما هو أدق وأرق فيقول: ما تقول في هذا يا صوفي؟؟ فيجيبه أبو حمزة مما علمه الله.

وهكذا ذكر الشيخ قطب الدين بن أيمن من أن الإمام أحمد كان يحث ولده على الاجتماع بالصوفية ويقول: إنهم بلغوا في الإخلاص مقاماً لم نبلغه أهـ من النصرة النبوية.

وأما ما شاع عن مالك مما يتعلق بالتصوف هو قوله: مَن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحققْ وأما ما نقل عن الإمام أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه أنه رفع إليه سؤال مما يفعله الصوفية في الحضرة[١٣٣] وما يتظاهرون به، هل هم صادقون في ذلك أم كاذبون؟ فأجاب: إن لله رجالاً يدخلون الجنة بدفوفهم ومزاميرهم، ثم قال الناقل: كان في بلادنا طائفة يرقصون للذكر حتى يسقطوا على الأرض، ولم ينكر عليهم الإمام، ويزورونه ويكرمهم، ويسألونه ويجيبهم، ومن ذلك أنه قال مرة شيخهم للإمام: ما تقول يا سيدي ـ رضي الله عنكم ـ في مسالة هي؛ أن أناساً من أمة محمد ﷺ دخلوا الكنيسة، واجتمعوا فيها حلقة، وتداولوا ذكر الشيطان بصوت عال من الصباح إلى المساء، افتنا فيهم؛ أكفارٌ هم، أم لا؟؟ فأجاب رضي الله عنه: لا يكفر أحد من أهل القبلة

---

[١٣٣] الحضرة؛ وهذا اسمها في الشام، وتسمى في بلاد المغرب بالعمارة، وفي المصطلح الشرعي مجلس الذكر، هي ما اعتاده الصوفية من الذكر من حالة الوقوف متحلقين، يستمعون إنشاد الشعر، وهذه الصيغة اختص بها الصوفية من دون سائر الأمة المحمدية.

بذنب[١٣٤] وهذا ليس بذنب. نقله في تحفة أهل الفتوحات والأذواق.

وكل هذا محافظة من الإمام من أن يقول في دين الله برأيه، وأن يتهم أحداً من أهل القبلة ونحوه، فجزاهم الله خيرا، ما أوسعهم علماً وأعظمهم حلماً!! فإن كان كذلك فكيف ينسب للإمام تلك المقالة السخيفة، إذ زعموا أنه قال: ينبغي للموضع الذي تحلقوا فيه للذكر بكيفيتهم المعهودة أن تحفر تربتها وتملأ برمل، ورسول الله ﷺ يقول في مثل ذلك: ما من قوم اجتمعوا في مجلس يذكرون فيه الله إلا حفت بهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده[١٣٥] ومثل تلك المقالة حقها أن لا تصدر من غافل فضلاً عن أن تنسب لأحد من الأمة العظام، وهم لا يقولون بحفر كنيسة إذا عادت للإسلام مسجدا، ويرون أن عرق الحي ولعابه ومخاطه من الأشياء طاهرة

---

[١٣٤] ويقصد من هذا السؤال؛ أن الصوفية يذكرون الله تعالى في المساجد بالصيغة المتعارف عليها عندهم من حالة الوقوف، يسمعون الشعر، فأنكر عليهم طائفة من الناس كما هو الحال هذه الأيام، فسأل شيخهم الإمام أبا حنيفة النعمان بن ثابت إمام المذهب المشهور رضي الله عنه، وهو سؤال افتراضي لم يقع، ما هو حكم الشرع في جماعة من المسلمين، دخلوا الكنيسة، ومعلوم أن الكنيسة مكان عبادة للنصارى، وتداولوا ذكر الشيطان، بدلاً من ذكر الرحمن سبحانه وتعالى، هل هم كفار؟ أم عصاة؟ في فعلهم هذا؟؟؟ فأجاب الإمام رضي الله عنه: إن من مبادئ الإسلام أن لا يخرج أحد من الإسلام بسبب ذنب، لقوله تعالى {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} فإذا وقع في الشرك فذاك هو الذي يخرجه من الملة، أما مقارفة الذنوب التي دون الشرك فلا، ومع هذا كله فقد قال الإمام: إن فعلهم هذا ليس ذنباً يحاسب عليه قانون السماء، فانظر الفرق ـ يرحمك الله ـ بين الصوفية الذين يذكرون الله في المسجد، وبين هؤلاء الذين يذكرون الشيطان في الكنيسة، فأيهم أولى بالتكفير إن قلنا به؟؟ وأيهم أولى بالمعصية إن قلنا به؟؟ وهذا من الإمام رضي الله عنه أقصى درجات الإباحة والمشروعية لما اعتاده الصوفية من ذكرهم.

[١٣٥] حديث صحيح الإسناد رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٤) وابن حبان في صحيحه (٣/ ٤٥) وغيرهما.

ولو كان خنزيرا[١٣٦] ألم يبلغ هؤلاء الجهلة أن مسجد النبي ﷺ لما أراد بناءه كانت بقعته فيها مقابر المشركين، فنقل عظامها ثم بنى مسجده في البقعة المباركة، وهل ترى أنه أمر بحفرها، ونقل ترابها عليه الصلاة والسلام؟؟ فكلاّ، إنه ما جاءنا عنه مثل ذلك، وما سمعنا به وإن كان كذلك فكيف يقول الإمام بما نُسب إليه مع فقهه واطلاعه، وحاشا أن يصدر منه مثل ذلك.

وقد نص صاحب تحفة الفتاوى على أن تلك المقالة الشنيعة مدسوسة على الإمام أبي حنيفة، ثم قال: وكيف يقول ذلك وقد أتاه فقير صوفي من أهل زمانه، فسأله عن مسجد مكث فيه جماعة من اليهود بنسائهم وصبيانهم ثلاثة أيام، فهل يغسل؟ أم يُهدَم؟ أم كيف؟؟ فقال الإمام: إن لم تكن فيه نجاسة معينة محققة فهو طاهر، أو ليس في هذا بطلان ما نسب إليه؛ من أنه قال بحفر الأرض التي يذكرون عليها الفقراء، وقال الشيخ أبو الحسن بن منصور الجنيدي الحنفي: ليست هذه المقالة

---

[١٣٦] اختلفت عبارة فقهاء المذاهب الأربعة في نجاسة الكلب والخنزير، فأما عندنا معشر الشافعية فهما نجسا العين، نجاسة مغلظة فلا يطهران بدباغ، وكل ما انفصل عنهما، أو تولد منهما أو من أحدهما فنجس، ويغسل الإناء الذي ولغ فيه الكلب أو الخنزير سبع مرات إحداها بالتراب، أما عند السادة الحنفية؛ فيجوز الانتفاع بجلد الخنزير وشعره لثبوت الضرورة، ويطهر جلده بالدباغ، وذلك لعموم الحديث: أيما إهاب دبغ فقد طهر.انظر للمزيد حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح (١/ ١١٢) والمبسوط للسرخسي (١/ ٢٠٣) وأما عند السادة المالكية: فجلد الميتة مطلقا ولو خنزيرا يطهر بالدباغ طهارة شرعية، وجلد الخنزير كجلد غيره في جواز استعماله في اليابسات والماء إذا دبغ سواء ذكّي أم لا، ولو لعق الخنزير أو الكلب الإناء من غير أن يكون فيه ماء لا يستحب غسله، كما لو أدخل رجله أو لسانه أي في الماء الذي في الإناء، وعندهم كل حي طاهر ولو خنزير فمن حمل خنزيرا وصلى به لم تبطل صلاته. انظر الفواكه الدواني للنفراوي (٢/ ٢٨٧) وحاشية الدسوقي (١/ ٥٤)، وأما عند السادة الحنابلة فالكلب والخنزير نجسا العين، وقولهم في هذه المسئلة كالشافعية، انظر الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف المرداوي(١ / ٢٢٤)، منار السبيل ابن ضويان (١/ ٣٢) وغيرها.

الشنيعة منا، ولا من إمام فروعنا، إنما هي صدرت من بعض الروافض لأنهم ينكرون وجود الصالحين.

وكذلك الشيخ عبد الحكيم ردَّها رداً شنيعاً وقال: من أفتى بها فهو من أهل الاعتزال، ثم قال: إن الذي زوَّرها على الإمام هو بن شرحان الفزَّاني دمَّره الله، حاشا الإمام من ذلك، فإنه كان يحب الذكر وأهله، ويحب التطريب والأنغام والإنشاد بالأصوات الحسان أهـ نقل بعضه من النصرة النبوية.

وليس العجب ممن نسب هاته المقالة للإمام، إنما العجب ممن رسمها في ذهنه، وقررها حجة لديه ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ الحج، قال عليه الصلاة والسلام: رب حامل فقه ليس بفقيه[١٣٧] أهـ ما يتعلق بالأئمة في شأن الذاكرين باختصار.

الحركة في الذكر (الرقص)

ومما يتعلق بالرقص الذي قلتم بتكفير من يستحله مطلقاً مستدلين بقول ابن وهبان، حيث قال: ومن يستحل الرقص قالوا بكفره، ولا سيما بالدُّف يلهو ويزمر، ثم قلت: وفي المعيار[١٣٨] ما محصله عن جماعة من الشيوخ: إن من حبس[١٣٩] زاوية أو غيرها على فقراء الوقت

---

[١٣٧] رواه ابن حبان في صحيحه (١/ ٢٧٠) (٢/ ٤٥٥) والترمذي في السنن (٥/ ٣٣) وغيرهما بسند صحيح.

[١٣٨] المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب، تأليف العلامة أحمد بن يحي الونشريسي، المتوفى سنة ٩١٤ هـ.

[١٣٩] أوقف.

فحبسه باطل، لأنه على معصية، وهكذا شأنك مهما وجدت سيرة شنيعة أو حالة فظيعة إلا وألصقتها بجنب الذاكرين، تدليساً منك على القارئ، حتى لا يتبادر الفهم من مذهب التصوف إلا مجرد ما ذكرته من الرقص واللهو والتزمير ونحو ذلك، فالله يجازيك عن مذهب التصوف بما أنت أهل له.

ثم ارجع لحكم الرقص[١٤٠] وإن كان هو ليس من التصوف في شيء فأقول: كل ما أصابك من تحريم ما حلل الله؛ إما لعدم اطلاعك

---

[١٤٠] هذه الحركة في الذكر والتي تسمى عند بعضهم رقصاً ليست مقصودة لذاتها في مذهب التصوف، لكنها سبيل لتنشيط البدن في العبادة، فإن من طبع النفوس الملل من إدامة العبادة، وتنشط في التجديد، وسر ذلك أن الذكر له نور، فإذا ذكر العبد ربه أعقبه نور في القلب، فإذا حصل معه السماع فإن الروح تنشط في العمل وينبعث فيها شيء من المحبة لله تعالى ولرسوله عليه الصلاة والسلام، والشوق إلى لقائه، فإذا حصلت المحبة زهد القلب في الدنيا، لأن محبة الله إذا دخلت شيئاً لا يبقى لمحبة غير الله معها أثر، وهذا هو المقصود من هذه الحركة، فلذلك قام مبدأ طريق الشاذلي رضي الله عنه على شكر الله تعالى من خلال هذه المجالس، فيقومون للذكر شكراً لله تعالى أن استعمل أجسامهم في طاعته، وألسنتهم بذكره، وقلوبهم بمعرفته، لذلك كان يسميها بعض إخواننا بساعة الشكر، وانظر إن شئت إلى العرب قديماً كيف كانوا يستعينون على قطع المسافات البعيدة بالحداء، حيث يحدوا بالإبل رجل منهم حسن الصوت، فإذا سمعت الإبل ذلك الصوت الحسن مدت أعناقها طرباً، ونشطت في السير، ونسيت ما كان قد حصل لها من التعب، وفيما يروى في هذا المجال: أن رجلاً حسن الصوت جداً حدا بقافلة من الإبل، فنشطت في السير، وما زال يحدو حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في يوم واحد، فلما أن وصل الرجل أهله، وأناخ الإبل ماتت جميع الإبل لما حصل لها من مزيد الجهد، وانظر أصحاب النبي ﷺ عندما قاموا ببناء المسجد النبوي في المدينة، ومسهم التعب، قاموا يرتجزون: اللهم لا عيش إلا عيش الاخرة، فأجابهم النبي ﷺ معلماً: فارحم الأنصار والمهاجرة، وهذا من كلام النبي الذي وافق الشعر وليس شعرا، وكانوا يستعملون الحداء كثيراً في أسفارهم والنبي عليه الصلاة والسلام بين أظهرهم، فقد روى مسلم في صحيحه (٤/١٨١١) عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وغلام أسود يقال له أنجشة يحدو فقال له رسول الله ﷺ: يا أنجشة رويدك سوقا بالقوارير، ومنها ما رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/٢٢٧) عن سلمة بن الأكوع قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر قال: فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع: الا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلا شاعرا فنزل يحدو بالقوم يقول:

على الأصول، أو لعد ورعك، ولم تعلم أن ما حُرم من الرقص هو ما قُيد باللهو، وكان على سبيل التخنث والتكسر الذي هو من طبع السفهاء، وتحريم هذا لا يحتاج لاستدلال، فالطباع الكريمة تستقبحه ضرورة، لأن الداعي فيه رعونة نفسانية، ونزعة شيطانية، ثم إنك إن تناولت هذا الحكم وأخذت تضعه على كل من رأيته، أو سمعتَ به رقصٌ، أو قُرِّرَ على الرقص، فينتج لك منه حكم ما تقِرُّ به عينُك.

الا ترى أنه تقرر لديك أن مستحل الرقص قالوا بكفره؟؟ فكيف بك إذا بلغك أن الحبشة دخلوا مسجد النبي ﷺ يوم العيد على هيئتهم المعروفة من الرقص ونحوه، وهو عليه الصلاة والسلام ناظر لهم،

(اللهم لولا أنت ما اهتدينا... ولا تصدقنا ولا صلينا)
(فاغفر فداء لك ما اقتفينا... وثبت الأقدام إن لاقينا)
(وألقين سكينة علينا... إنا إذا صيح بنا أتينا)
(وبالصياح عولوا علينا)

فقال رسول الله ﷺ من هذا السائق؟ فقالوا: عامر بن الأكوع قال: يرحمه الله، وما رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/٢٢٨) عن أنس قال: دخل رسول الله ﷺ مكة وابن رواحة آخذ بغرزه وهو يقول:

(خلوا بني الكفار عن سبيله... اليوم نضربكم على تنزيله)
(ضربا يزيل الهام عن مقيله... ويذهل الخليل عن خليله)
(يا رب أني مؤمن بقيله)

فمن هنا استعمل الصوفية الذكر بهذه الصيغة لينشط الذاكرون بذكر ربهم، ويحرك ما كمن من الشوق في قلوبهم إلى لقاء ربهم عز وجل، فلذلك أطلقوا اسم الحادي على المنشد، وأطلقوا اسم الظعن على قلوب الذاكرين من باب التشبيه؛ قال في المباحث الأصلية:

وحيث كلّت لجب الأبدان ... قال احدها يا حادي الأضعان
فمن هنا يلقب القوّالا ... حادٍ لأجل حدوه الرجالا

وعائشة رضي الله عنها تتطلع عليهم من خلفه حتى فرغوا من أعمالهم، ولم ينكر عليهم عليه الصلاة والسلام[١٤١] فبالله عليك؛ أي شيء تفهمه من ذلك؟؟ وأنت تقول: الرقص حرام مطلقاً، وهل تراه عليه الصلاة والسلام يقرر على الحرام؟؟ وهلاً تجد فرقاً بين رقص السفهاء المتخنثين وبين رقص الحبشة؟؟؟ وإذا لم يبلغك هذا، أو بلغك ولم تستنتج منه حكم الإباحة لقصور الإدراك، فأي شيء تقوله في رقص السيد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ـ إن صح ذلك ـ حسبما جاء في بعض الأحاديث لما قال له عليه الصلاة والسلام: أشبهت خَلْقي وخُلُقي[١٤٢] فقام يرقص

---

[١٤١] رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٦٠٩) ولفظه: قالت عائشة: والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله ﷺ يسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن حريصة على اللهو، وروى أيضاً: عن عائشة قالت دخل رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث، فاضطجع على الفراش، وحوّل وجهه، فدخل أبو بكر فانتهرني وقال: مزمار الشيطان عند رسول الله ﷺ؟؟!! فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: دعهما، فلما غفل غمزتهما فخرجتا، وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب، فإما سألت رسول الله ﷺ وإما قال: تشتهين تنظرين؟ فقلت: نعم فأقامني وراءه خدي على خده وهو يقول: دونكم يا بني أرفدة، حتى إذا مللت قال: حسبك؟ قلت: نعم قال: فاذهبي، وزاد الحميدي في المسند (١/ ١٧١) «الْعَبُوا يَا بَنِي أَرْفِدَةَ، لِيَعْلَمِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةً». قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَمْ أَحْفَظْ مِنْ قَوْلِهِمْ غَيْرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ: أَبُو الْقَاسِمِ طَيِّبٌ أَبُو الْقَاسِمِ طَيِّبٌ.

[١٤٢] رواه الضياء المقدسي في المختارة عن سيدنا علي رضي الله عنه (٢/ ٣٩٢) ولفظه: (فقال النبي عليه الصلاة والسلام لزيد: أنت أخونا ومولانا قال: فحجل ثم قال لجعفر: أنت أشبهت خَلْقي وخُلُقي قال: فحجل وراء حجل زيد، ثم قال لي: أنت مني وأنا منك فحجلت وراء حجل جعفر إسناده حسن، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٢٦) وقال معقباً: وفي هذا إن صح دلالة على جواز الحجل، وهو أن يرفع رجلا ويقفز على الأخرى من الفرح، فالرقص الذي يكون على مثاله يكون مثله في الجواز والله أعلم ورواه البزار في مسنده (٢/ ٣١٦) واحمد في المسند (١/ ١٠٨، ١١٥)، قال الحافظ ابن حجر في الفتح عند شرحه للحديث (٧/ ٥٠٧) باب عمرة القضاء: وفي حديث علي عند أحمد وكذا في مرسل الباقر فقام جعفر فحجل حول

بحضرته عليه الصلاة والسلام ولم ينكر عليه ولم ينهه، وهلاً يفيدك هذا إباحةً في الحكم؟؟ وهل يصح التطبيق بين رقص السيد جعفر وبين الرقص المشار إليه في قصيدة ابن وهبان؟؟ ألم تعلم أن التخصيص يقيد الإطلاق[١٤٣] وهل ترى أن الصوفية يقولون بتحليل الرقص مطلقاً؟؟ كما قلت أنت بتحريمه مطلقاً؟ كلا، وإنما هم أوسع منك نظراً، لا يقولون في دين الله بغير علم، ولا يتناولون النصوص بغير فهم، ولكن الأغبياء تظن أن من جمع شيئاً من النصوص وأضاف إليها نصيباً من قلة الحياء يُعَدُّ عالمًا!! أو لم تعلم يا هذا أن محرِّمَ الحلالَ كمستحِلّ الحرام؟؟ كما هو في الحديث، وقد فضحك الله بما جمعته فكفاك مقتاً أن لا تميز الحلال من الحرام، وهل تظن أن العلم عبارة عمن يحمله ﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ ﴾ الجمعة، كلا إنما العلم هو عبارة عن نور يحدث في الملَكة، فيبصر به المعلومات كما يبصر بالبصر المحسوسان، لأن العلم صفة إدراك لا مجمع أوراق، قال تعالى لنبيه ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ

النبي ﷺ ودار عليه، فقال النبي ﷺ ما هذا؟ قال: شيء رأيت الحبشة يصنعونه بملوكهمْ وفي حديث ابن عباس أن النجاشي كان إذا رضّى أحدا من أصحابه قام فحجل حولهْ وحجل (بفتح المهملة وكسر الجيم) أي وقف على رجل واحدة وهو الرقص بهيئة مخصوصة. وفي حديث علي المذكور أن الثلاثة فعلوا ذلك.

(١٤٣) الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد نص في التحريم، وقد ورد بإباحة الرقص أحاديث صحيحة، فدل هذا على أن رقص الصوفية داخل في هذا الحكم، وهو الإباحة، ومن قال بتحريم الرقص إنما قيّده بما يخالطه من منكرات، كآلات اللهو، أو التغزل بذكر محاسن النساء، أو أعقبه خلوة بمحرم من النساء أو الولدان، وغير ذلك مما علمت حرمته في الشرع، وهذا قيدٌ لتحريم الرقص وتخصيصٌ له، فإذا انعدم القيد أو زال التخصيص امتنع التحريم وبقي الرقص على إباحته.

مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴿٥٢﴾ الشورى، وعلى هذا يتعين على العالم أن لا يحكم على الرقص قبل أن يعلم ما هو الداعي فيه، لئلا يحرم ما حلل الله، ولهذا قال الشيخ مصطفى بن إسماعيل حبش: وإن كان ظاهر الوهبانية تحريم الرقص مطلقاً فالمعتمد ما ذكره ابن كمال باشا ونقله الصفوة ونصه:

ما في التواجد إن حققت من حرج ... ولا التمايل إن أخلصت من باس
فقمت تسعى على رجل وحق لمن ... دعاه مولاه أن يسعى على الرأس

ثم أقول: إن ما قررناه في هاته النازلة ليس هو مجرد انتصار لجانب الرقص، كلا، وإنما هو إظهار الحكم، وانتصار للأمة المحمدية التي قضيتَ بالكفر على الجل منها، لأن الغالب فيها يعتقد جواز الاهتزاز، وأما المنتسبون يعتقدون مطلوبيته لقوله عليه الصلاة والسلام: ليس بكريم من لم يهتز عند ذكر الحبيب[١٤٤] نقله صاحب النصرة النبوية.

---

[١٤٤] رواه الديلمي في مسند الفردوس (٥/ ٩٣٩). قلت: هذا الحديث يستشهد الصوفية به كثيراً في إباحة حكم الحركة والاهتزاز في الذكر: ويضيفون إليه ـ كما أورده السهروردي في عوارف المعارف ص (٢٠٤) أن جبريل نزل على النبي ﷺ مبشراً بأن فقراء أمته يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم (أي خمسمئة عام) فطرب عليه الصلاة والسلام لهذه البشارة فقال: أفيكم من ينشدنا؟ فقال بدري (أي ممن شهد معركة بدر) فقال عليه الصلاة والسلام هات، فأنشد البدري:

لسعت حية الهوى كبدي ... وليس لي طبيب ولا راقي
إلا الحبيب الذي شغفت به ... فعنده رقيتي وترياقي

فتواجد النبي ﷺ وتواجد الأصحاب معه حتى سقط رداؤه عن منكبه الشريف، فلما آوى كل إنسان إلى مكانه قال معاوية: ما أحلى لعبكم يا رسول الله!! فقال عليه الصلاة والسلام: مه يا

معاوية، ليس بكريم من لم يهتز عند سماع ذكر الحبيب، واقتطع الأصحاب رداءه الشريف واقتسموه على من حضر تبركاً ثم قال السهروردي بعده: يخالج سري أنه غير صحيح وقد تكلم فيه أصحاب الحديث والقلب يأبى قبوله.

قلت: إن السهروردي من أعيان الصوفية، وقد أورده في العوارف مقراً له، وأما قوله: ويخالج سري، هذا الكلام لا يصح في مذهب أرباب الحديث لأنهم لا يعتمدون الكشف في تصحيح الأحاديث، وإن كان كذلك فالأولى بذلك هم الصوفية، وإنما المعتمد عندهم هو الإسناد، والأرجح عندي أن هذه الكلمة ليست من كلام السهروردي، إنما دُست عليه، وبعد تتبع أقوال المحدثين في هذا الحديث وجدتهم جميعاً ينقلون عن ابن تيمية، وإليك بيان ذلك:

قال الذهبي في ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٥/ ١٩٨): عمار بن إسحاق عن سعيد بن عامر الضبعي كأنه واضع هذه الخرافة التي فيها قد لسعت حية الهوى كبدي فإن الباقين ثقات.

وقال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (٤/ ٢٧٠): عمار بن إسحاق عن سعيد بن عامر الضبعي كأنه واضع هذه الخرافة التي فيها قد لسعت حية الهوى كبدي فإن الباقين ثقات انتهى وقد رواه بن طاهر في السماع أخبرنا أبو منصور ومحمد بن عبد الملك بن المظفر بسرخس انا أبو علي الفضل بن منصور عن نصر الكاغذي إجازة أخبرنا الهيثم بن كليب الشاشي أبو بكر عمار بن إسحاق أنا سعيد بن عامر عن شعبة عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس فذكر الحديث وأورد السهروردي في العوارف عن أبي زرعة عن أبيه وقال يخالج سري أنه غير صحيح وقد تكلم فيه أصحاب الحديث والقلب يأبى قبوله وقال بن طاهر في فوائده رجال إسناده من سعيد بن عامر إلى أنس ثقات ولفظ الحديث في دخول الفقراء الجنة قبل الأغنياء صحيح والزيادة التي فيه تفرد بها أبو بكر عمار بن إسحاق.

وقال في الكشف الحثيث (١/ ١٩٢): عمار بن إسحاق كأنه واضع هذه الخرافة التي فيها لسعت حية الهوى كبدي فإن الباقين ثقات.

وقال علي القاري في المصنوع (١/ ١٤٤): حديث لسعت حية الهوى كبدي البيتين قال ابن تيمية مما اشتهر أن أبا محذورة أنشدهما بين يديه ﷺ حتى وقعت البردة الشريفة عن كتفيه فتقاسمها أصحاب الصفة رقعا في ثيابهم كذب باتفاق أهل العلم بالحديث.

وقال القاري في المصنوع أيضاً (١/ ٢٦١): ٤٦٧ حديث وفي حياة الحيوان للدميري وأما حية الهوى التي ذكرت في الحديث الذي رواه ابن طاهر المقدسي من حديث أنس وصاحب العوارف أن النبي ﷺ أنشد رجل بحضرته:

لسعت حية الهوى كبدي ... وليس لي طبيب ولا راقي
إلا الحبيب الذي شغفت به ... فعنده رقيتي وترياقي

قال فتواجد النبي ﷺ وتواجد أصحابه رضي الله عنهم حتى سقط رداؤه عن منكبيه فلما فرغوا أوى كل واحد إلى مكانه ثم قال ﷺ بكريم من لم يهتز عند السماع ثم قسم رداءه على من حضر أربع مئة قطعة فهذا حديث موضوع كأن واضعه عمار بن إسحاق فإن باقي رواة الإسناد ثقات كذا قال: الذهبي وغيره وهو مما يقطع بكذبه، حديث وفي المقاصد الحسنة للسخاوي قال ابن تيمية: ما اشتهر أن أبا محذورة أنشد بيتين بين يديه ﷺ وأنه تواجد حتى وقعت البردة الشريفة عن كتفيه فتقاسمها فقراء الصفة وجعلوها رقعا في ثيابهم كذب باتفاق أهل العلم بالحديث وما روي فيه فموضوع وقد سبق مثل هذا عن ابن تيمية أيضا.

وقال العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ١٨٤):

لسعت حية الهوى كبدي ... وليس لي طبيب ولا راقي

إلا الحبيب الذي شغفت به ... فعنده رقيتي وترياقي

قال ابن تيمية كما في المقاصد ما اشتهر أن أبا محذورة أنشدهما بين يدي النبي ﷺ وأنه تواجد حتى وقعت البردة الشريفة عن كتفيه فتقاسمها فقراء الصفة وجعلوها رقعا في ثيابهم كذب باتفاق أهل العلم بالحديث وما روي في ذلك فموضوع منه ما رواه أبو طاهر المقدسي وصاحب العوارف عن أنس انه عليه الصلاة والسلام أنشد بحضرته البيتان فتواجد عليه الصلاة والسلام وتواجد أصحابه الكرام وسقط رداؤه عن منكبيه فلما فرغوا أوى كل واحد الى مكانه ثم قال عليه الصلاة والسلام ليس بكريم من لم يهتز عند السماع ثم قسم رداءه على من من حضر أربعمائة قطعة فهذا موضوع كان واضعه عمار بن اسحاق فان باقي اسناده ثقات هكذا قاله الذهبي وغيره فاعرفه.

فانظر ـ رحمك الله ـ كيف قلد المحدثون ابن تيمية في وضع هذا الحديث، فالذهبي تلميذ ابن تيمية، نقل كلام شيخه حرفياً، وابن حجر هو تلميذ الذهبي وقد نقل كلام شيخه أيضاً، والسخاوي هو تلميذ ابن حجر، وقد نقل كلام شيخه، والعجلوني ينقل عن ابن تيمية، وعلي القاري نقل كلام الذهبي مرة وكلام الدميري مرة والدميري نقل عن الذهبي، فاجتمعت كلمة المحدثين على كلام ابن تيمية، وابن تيمية لم يحكم بالحق على هذا الحديث وقوله مردود من أوجه:

- إنه ليس من المحدثين الذين يعتد بكلامهم، ولا عنده خبرة بهذا الفن.

- ودليل أنه لم يحكم بالحق قوله: وما اشتهر عن أبي محذورة ... فهذه اللفظة لم ترد في متن الحديث، وأبو محذورة كان مؤذنا لأهل مكة، ولم يبلغنا أنه هاجر، وهذا الحديث إنما حصل في المدينة، فلم يفرق بين من كان مهاجرا وبين من لم يهاجر، وإنما جاء بها من عند نفسه ومن كيسه، ومن كانت هذه صفته فهو غير مأمون في النقل، ويسمى عند المحدثين: مدلساً،

ومثله أيضاً قوله عليه الصلاة والسلام {سيروا سبق المفرِّدون المهتزّون بذكر الله[145] ذكره في الجامع الصغير، وما يدريك أن يكون

ومثلها أن الصحابة اقتطعوا الرداء وجعلوه رقعا في ثيابهم، فهذه زيادة من عنده، وإنما اللفظة جاءت: ثم اقتطع الأصحاب رداءه تبركا...

۞ لم يذكر علة في عمار بن اسحاق، حتى يحكم بوضع الحديث، وإنما حكم على ذلك بداعي الهوى والعصبية المذهبية.

۞ لم يذكر رجال الجرح والتعديل علة في اسحاق تجعله موضوع الحديث، وإنما ضعفوه، قال العقيلي في الضعفاء (٣/٣٢٦): (عمار بن إسحاق لا يتابع على حديثه وليس مشهورا بالنقل) لذا يعتبر حديثه ضعيفا لا موضوعا، والحديث الضعيف يؤخذ به في فضائل الأعمال إن لم يوجد في الباب غيره، كيف وقد جاءت أحاديث أخر صحيحة الإسناد في هذا الموضوع؟ كزفف الحبشة، وحجل جعفر، لذا يعتبر الحديث حسنا لغيره.

(145) رواه مسلم في صحيحه (٤/٢٠٦٢) وابن حبان في صحيحه (٣/١٤٠) وغيرهما بسند صحيح.

يستند السادة الصوفية رضي الله عنهم في حركتهم بالذكر إلى أصول قوية من كتاب الله تعالى وسنة النبي ﷺ منها:

۞ قوله تعالى: ﴿ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ آل عمران، وقد ترجم الصحابة لنا تفسير هذه الاية الشريفة بما أورده الألوسي في تفسيره روح المعاني دار إحياء التراث (٤/١٥٨) وابو حيان في البحر المحيط (٣/٤٩١) والزمخشري في الكشاف (١/٣٦١) عن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة رضي الله عنهم أنهم خرجوا يوم العيد إلى المصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى فقال بعضهم: أما قال الله تعالى: ﴿ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا ﴾ فقاموا يذكرون الله تعالى على أقدامهم على أن مرادهم بذلك التبرك بنوع موافقة للآية في ضمن فرد من أفراد مدلولاتها.

۞ الأصل الثاني: قوله تعالى ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۞﴾ الزمر، فقد وصف الله تعالى الذين آمنوا بأن جلودهم تقشعر وأجسامهم تتحرك وعيونهم تدمع من أثر الذكر وقد ذم الله وتوعد من كان قلبه قاسياً لا يلين ومن كان جسمه جافا لا يتحرك ولا يقشعر جلده فقال: (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) وقد وصف سيدنا علي أصحاب رسول الله ﷺ كيف كانت قلوبهم تلين وأجسامهم تتحرك وعيونهم تنهمل فقال: رأيت أثرا من أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى أحدا يشبههم والله إن كانوا ليصبحون شعثا غبرا صفرا بين أعينهم مثل ركب المعزى(اي

من طول السجود) قد باتوا يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم (أي يصلون) إذا ذكروا الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم ريح فانهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم والله لكأن القوم باتوا غافلين، انظر حلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ٧٦) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (١/ ٢٤٨) موضع أوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادي (٢/ ٣٣٠) البداية والنهاية (٨/٧) مختصر تاريخ دمشق محمد بن مكرم المصري (٥/ ٤٣٣) وغيرهم.

۞ الأصل الثالث: قوله تعالى حاكياً عن سيدنا داود عليه السلام ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۝ ﴾ سبأ، فلما كان سيدنا داود كثير الذكر كثير التلاوة للزبور حسن الصوت بتلاوته لين القلب أثر ذلك في الجبال الراسيات حتى وافقته في الذكر فكانت تردد الذكر معه وتميل معه إذا مال جسمه من الطرب وهذا يشبه ما رواه البخاري (برقم ٣٤٨٣) وغيره بسند صحيح أن النبي ﷺ صعد جبل أحد ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فتحرك الجبل وتمايل طربا فركله برجله عليه الصلاة والسلام وقال له: اثبت احد فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان، وقد حدث مثل هذا مع جبل حراء وجبل ثبير حيث صعد عليهما رسول الله ﷺ ومعه العشرة المبشرون بالجنة فتحرك الجبلان وضربهما عليه الصلاة والسلام وأمرهما بالسكون كل واحدة حادثة مستقلة، قال العلماء: اختلف مقصد تحرك هذه الجبال مع جبل الطور الذي تحرك مع سيدنا موسى عليه السلام وقومه فتلك هزة غضب حيث تمردوا على أوامر الله ورسوله، وهذه هزة طرب وفرح ودليل ذلك أن هذه الجبال سكنت بعد الأمر لها بالسكون قالوا: ويشبه هذه الهزة اضطراب الجذع وحنينه إليه عليه الصلاة والسلام (انظر أقوال العلماء في هذه الحوادث في فتح الباري ٧/ ٣٨، شرح مسلم للنووي ١٥/ ١٩٠، تحفة الأحوذي ١٠/ ١٨٧، عارضة الأحوذي ١٣/ ١٥١، الشفا ١/ ٤٨٥إرشاد الساري ٦/ ٩٧، لامع الدراري ٨/ ١٥٧).

۞ الأصل الرابع: ما جاء في صحيح مسلم (٢/ ٦٠٩) من رقص الحبشة يوم العيد وإقراره عليه الصلاة والسلام لهم بل وتشجيعه لهم بقوله: دونكم يا بني أرفدة حتى يعلم أهل الكتاب أن في ديننا فسحة قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَمْ أَحْفَظْ مِنْ قَوْلِهِمْ غَيْرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ: أبو الْقَاسِمِ طَيِّبٌ أبو الْقَاسِمِ طَيِّبٌ، وما رواه النسائي في السنن الكبرى (٢/ ٤٧٩) عن أنس قال: قدم رسول الله ﷺ فاستقبله سودان المدينة يزفنون ويقولون: محمد رجل صالح بكلامهم ولم يذكر أنس أن رسول الله ﷺ نهاهم، فرقص الحبشة قد تكرر منهم مرة في يوم عيد وهم يقولون: ابو القاسم طيب، ومرة عند قدوم النبي ﷺ من غزوة استقبلوه وهم يرقصون ويقولون محمد رجل صالح.

رقص الصّوفية بالذكر هو ذاك الاهتزاز المخبَر عنه في الحديث لأنّه صريح في حركة الذّاكر، ولهذه المناسبة رأى بعض الصّوفية الاهتزاز عند ذكر الله ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ ﴿١٦٥﴾ ﴾ البقرة، وبالطّبع كل حبيب يرتعد عند ذكر حبيبه، وإني على علم من أن الحجّة لا تقوم عندك بما ذكرناه لأنك لم تذق طعم المحبّة، ولو دبت في مفاصلك لأشتهيت أن تسمع ذكر الله ولو من كافر، ثم تقول كما قال السلطان العاشقين.

ولي ذكرها يحلوا على كل صيغة   وإن مزجوه عذّلي بخصام

وحينئذ تعرف معنى الوجل وتنظر هل تملك نفسك أم لا؟

ألم يبلغك في كتاب الله خبر النسوة الّلاتي قطعن أيديهن لما خرج عليهن يوسف عليه السّلام، وقلن: حاش لله ما هذا بشراً، فإن كان مثل هذا يقع بمشاهدة جمال مخلوق، فلِمَ لا يقع ما يقرب منه عند مشاهدته جمال خالقه، إذا ظهر بسلطان كبريائه.

۞ الأصل الخامس: ما أورده البخاري في صحيحه (كتاب التفسير، باب تفسير سورة القمر) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال وهو في قبة يوم بدر: اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم، فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك، فخرج (عليه الصلاة والسلام) وهو يثب في الدرع وهو يقول: سيهزم الجمع ويولون الدبر.

والوثب هو القفز وذلك لما رأى جبريل راكباً فرسه معتجراً بعمامة يقود ألفاً من الملائكة نصرة للمسلمين فرح عليه الصلاة والسلام بمدد الله تعالى وبنصره وقال: أبشر يا أبا بكر هذا جبريل يقود ألفاً من الملائكة وأخذ يثب في درعه من شدة الفرح، ففعله هذا عليه الصلاة والسلام لا يختلف شيئا عما يفعله الصوفية لا من حيث المقصد ولا من حيث الجوهر.

حرمة المؤمن عند الله تعالى

ثم إني رأيتك لا تبالي بتضليل المؤمن ولا بتفسيقه ولا بتبديعه بل ولا بتكفيره، فكل ذلك عندك أهون من شربه ماء، ولم تدر ما حرمه المؤمن عند الله ولا عند رسوله، ألم تعلم أنك إذا قلت بكفر مؤمن فقد حكمت بإباحة ماله ودمه وبخلوده في النار؟؟ وهل ترى هذا مما يرضى الله ورسوله؟؟ أو ليس في علمك أن الخضر عليه السلام استهون قتل النفس على تكفير المؤمن؟؟ قال تعالى فيما أخبر عنه ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ الكهف، ألم تعلم أن حرمه المؤمن عند الله أعظم من حرمه الكعبة، وأن هدمها عنده أهون من تكفير المؤمن المعلن بكلمة الإخلاص، المردد لها في سائر الأنفاس، وإني أحذرك الله أن تتقيه في أهل لا اله إلا الله، ولا تقل فيهم برأيك، فإنهم أقوام خلقهم الله لذكره، واختارهم في سابق علمه، فعلى الأقل أن تراقبهم لله وتحترمهم في الله، والإضافة تغنيك والله يلهمك ويهديك.

السماع

وأما ما يتعلق بالسماع ونشد الأشعار التي تُستعمل عند أكثر الصوفية فأقول: إن القول فيها بغير علم أدهى مما قبله، لأن الصحابة رضوان الله عليهم تناشدوا الأشعار بحضرة النبي ﷺ وفي قصة كعب بن زهير كفاية لمن تدبرها، كيف استمع منه النبي ﷺ قصيدته المعروفة بانت سعاد[١٤٦] مع ما فيها من التغزلات، وكيف جزاه العفو والبردة، زيادة له

[١٤٦] أخرج الحاكم في مستدركه (٣/ ٦٧١ ـ ٦٧٥): ٦٤٧٧ خرج كعب وبجير ابنا زهير حتى أتيا أبرق العزاف فقال بجير لكعب: اثبت في عجل هذا المكان حتى آتي هذا الرجل يعني رسول الله

عن تقريره له في إنشاد الشعر بحضرته، قال في العوارف: إن رجلاً دخل على النبي ﷺ فوجد عنده قوماً يقرأون القرآن، وقوماً ينشدون الشعر، فقال: يا رسول الله، قرآن وشعر؟؟!! فقال عليه الصلاة والسلام: من هذا مرة، ومن هذا مرة[147] وقد أطنب صاحب الإحياء[148] في الرد على

ﷺ فأسمع ما يقول، فثبت كعب وخرج بجير فجاء رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام فأسلم فبلغ ذلك كعباً فقال:

ألا أبلغا عني بجيراً رسالة ... على أي شيء ويح غيرك دلكا
على خلق لم تلف أما ولا أبا ... عليه ولم تدرك عليه أخا لكا
سقاك أبو بكر بكأس روية ... وانهلك المأمور منها وعلكا

فلما بلغت الأبيات رسول الله ﷺ أهدر دمه فقال: من لقي كعباً فليقتله، فكتب بذلك بجير إلى أخيه يذكر له أن رسول الله ﷺ قد أهدر دمه ويقول له: النجاء وما أراك تفلت، ثم كتب إليه بعد ذلك اعلم أن رسول الله ﷺ لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله إلا قبل ذلك، فإذا جاءك كتابي هذا فأسلم وأقبل، فأسلم كعب وقال القصيدة التي يمتدح فيها رسول الله ﷺ ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله ﷺ ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ مع أصحابه مكان المائدة من القوم متحلقون معه حلقة دون حلقة يلتفت إلى هؤلاء مرة فيحدثهم وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم قال: كعب فأنخت راحلتي بباب المسجد فعرفت رسول الله ﷺ بالصفة، فتخطيت حتى جلست إليه فأسلمت فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله الأمان يا رسول الله؟ قال: ومن أنت؟ قلت: أنا كعب بن زهير قال: أنت الذي تقول؟ ثم التفت إلى أبي بكر فقال: كيف قال يا أبا بكر؟ فأنشده أبو بكر رضي الله عنه:

سقاك أبو بكر بكأس روية ... وانهلك المأمور منها وعلكا

قال: يا رسول الله ما قلت هكذا قال: وكيف قلت؟ قال: إنما قلت:

سقاك أبو بكر بكأس روية ... وانهلك المأمون منها وعلكا

فقال رسول الله ﷺ مأمون والله ثم أنشده القصيدة كلها حتى أتى على آخرها واملأها على الحجاج بن ذي الرقيبة حتى أتى على آخرها.

(147) عوارف المعارف للسهروردي ص (١٧٨).

(148) إحياء علوم الدين لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي رضي الله عنه، وباب السماع في المجلد الثاني (٢٦٨ ـ ٣٠٦) طبعة دار المعرفة.

من يقول بكراهة السماع، أو من يقول بتحريمه مطلقاً، لما تعارضه من النصوص التي لا تحتمل التأويل، ومن ذلك ما رواه العلقمي عن ابن ماجة عن النبي ﷺ لما رجع إلى المدينة من بعض مغازيه، جاءته جارية فقالت: يا رسول الله، إني نذرت إن ردك الله سالماً أن أضرب بين يديك بالدُّف ونغني، فقال رسول الله ﷺ: إن كنت نذرتِ فأوفِ بنذركِ[١٤٩] وقوله أيضاً: أحدوا يا بني أرفدة حتى تعلم اليهود والنصارى أن في دينكم فسحة[١٥٠] وبالجملة فإني أقول: الشعر كما قال عليه الصلاة والسلام: هو كلام؛ حسنه حسن، وقبيحه قبيح[١٥١] فما كان متعلقا بالفواحش والتفاحش فهو محرم، وعليه تحمل سائر الأقوال التي جاءت بتحريمه، فيكون القائل والسامع شريكين إن كان القصد متحداً، وأما ما كان موضوعاً للترغيب والترهيب والتشوق للأحوال السنية، والترشيح بالمعارف الإلهية كالمشار إليه بقوله عليه الصلاة والسلام: أصدق كلمة قالها الشاعر: ألا كل شيء ما خلا الله باطل[١٥٢] فيكون مدخول قوله عليه الصلاة والسلام: إن من الشعر لحكمة[١٥٣] ولا يخفى أن استماع الحكمة مندوب، إن لم نقل فيه بالوجوب، وإذا فهمت هذه فلا تقيس ما اعتاده القوم في مجالسهم من نشد الأشعار التي تلائم من الحكمة أعلاها، وتحوي من المعارف أقصاها، تعليماً للمريد كيف يسلك سبل ربه ذللا،

---

[١٤٩] رواه الترمذي في السنن (٥/ ٦٢٠) والحارث في مسنده (٢/ ٨٢٦).

[١٥٠] رواه البخاري (١/ ٣٢٣، ٣٣٥) ومسلم (٢/ ٦٠٩) وغيرهما بسند صحيح.

[١٥١] رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٣٩) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (وفيه عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان وثقه دحيم وجماعة وضعفه ابن معين وغيره وبقية رجاله رجال الصحيح.

[١٥٢] رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٦٨) والبخاري في ثلاثة مواطن من صحيحه (٣/ ١٣٩٥) (٥/ ٢٢٧٦) (١٣/ ٩٩) وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٩٩، ١٠٠) وغيرهم بسند صحيح.

[١٥٣] رواه ابن ماجة في سننه (٢/ ١٢٣٥).

على ما اعتاده السفهاء من مدح القدود والخدود والنهود، إغراءً للسامع على ارتكاب الفسوق والفجور ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ النور.

الذكـــــر

ثم أستلفتك للكلام على الذكر من أصله لأنه من أعظم قاعدة في الدين، وإني أراك قد غفلت عليه، حيث أنك شنعت على المجتمعين من أجله، فأقول: بالله عليك إلا ما أخبرتني ما هو نظرك في الذكر؟؟ هل هو مشروع أم لا؟؟ وفي ظني أنك تعترف بمشروعيته بمقتضى قوله تعالى ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴿١٥٢﴾ ﴾ البقرة، وغير هذا مما لا يتأتى حصره، وأنا أقول زيادة على قولك مشروعاً: ما شرعت الشرائع، وأقيمت المناسك إلا لإقامة ذكر الله، قال في الطواف عليه الصلاة والسلام: إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمرات لإقامة ذكر الله[154] وقال الله تعالى في الحج: ﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ﴿١٩٨﴾ ﴾ البقرة، وجعل الوقوف عند المشعر للذكر لا للمشعر بالخصوص، وجعل القيام بمنى لذكر الله لا لها فقال: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ﴿٢٠٣﴾ ﴾ البقرة، وقال في الصلاة: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾ طه وتجد غير هذا لو تتبعت الكتاب.

---

(154) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٤/ ٢٧٩، ٣١٧) والدارمي في سننه (٢/ ٧١) والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ١٤٥) وأبو داود (٢/ ١٧٩).

وبالجملة إن العبادات تُعتَبر بذكر الله فيما بينها قوة وضعفا، ولهذا لما سئل عليه الصلاة والسلام: أي المجاهدين أعظم أجرا؟ قال: أكثرهم لله ذكرا، فقيل: أي الصائمين أعظم أجرا؟ فقال: أكثرهم لله ذكرا، ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقات، كل ذلك يقول: أكثرهم لله ذكرا، فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما: ذهب الذاكرون بكل خير، فقال عليه الصلاة والسلام: أجل[١٥٥].

الجهر والإسرار في الذكر

ومهما صح أنه مشروع ـ كما تقدم ـ فهل قيد تعالى مشروعيته بكونه سراً أو جهرا؟؟ فإن قلت: جاء في الدين ما يقوي جانب الإسرار فيه فأقول: وكذلك جاء ما يقوي جانب الجهر به ليكون الإنسان ذاكراً في جميع الأحوال، ومن ذلك التكبير يوم العيد[١٥٦] والأذان، والإقامة،

---

(١٥٥) رواه احمد في مسنده (٣/ ٤٣٨) وفيه ابن لهيعة.

(١٥٦) روى البخاري في صحيحه (١/ ٣٣٠) والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣١٢، ٣١٤) باب التكبير أيام منى وإذا غدا إلى عرفة: عن عبيد بن عمير: كان عمر رضي الله عنه يكبر في قبته بمنى، فيسمعه أهل المسجد فيكبرون، ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيرا، وكان ابن عمر يكبر بمنى تلك الأيام، وخلف الصلوات، وعلى فراشه، وفي فسطاطه ومجلسه وممشاه تلك الأيام جميعا، وكانت ميمونة (أم المؤمنين رضي الله عنها) تكبر يوم النحر، وكان النساء يكبرن خلف أبان بن عثمان وعمر بن عبد العزيز ليالي التشريق مع الرجال في المسجد.

قلت: ورفع الصوت بالتكبير كان على عهد النبي ﷺ وقد كان يستعمله الصحابة كثيرا بين يديه عليه الصلاة والسلام، ولما داوموا عليه ورفعوا أصواتهم به أمرهم بخفض الصوت شيئاً قليلا وذلك تعليماً للأمة؛ بمشروعية الجهر والخفض، وتعليماً لنا الأدب في الذكر بأن نكون حاضري العقل فيه، ونعلم أن الله تعالى يسمعنا وهو معنا أينما كنا، فلا نغيب عن هذا المعنى فقد روى مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٦، ٢٠٧٧) والبخاري في صحيحه في عدة مواضع منه (٣/ ١٠٩١) (٤/ ١٥٤١) (٥/ ٢٣٤٦، ٢٣٥٤) (٦/ ٢٤٣٧) (٦/ ٢٦٩٠) وغيرهما بسند صحيح عن أبي موسى قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال النبي ﷺ أيها الناس

والجهر بالصلاة الليلية(١٥٧).

ومن الترغيب في الجهر بالذكر ما أخرجه أبو شجاع الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: من قال لا إله إلا الله ومدَّ بها صوته، أسكنه الله دار الجلال، ورزقه النظر إلى وجهه(١٥٨) ومثله ما أخرجه البيهقي عن يزيد بن أبي أسلم قال: قال ابن الأدرع: انطلقت مع رسول الله ﷺ فمر بي برجل(١٥٩) في المسجد يرفع صوته بالذكر، فقلت: يا رسول الله، عسى أن يكون هذا مرائياً؟؟؟ فقال عليه الصلاة والسلام: لا ولكنه أوَّاه(١٦٠) وفي بستـان القـرَّاء؛ أن النبي ﷺ

أربعوا على أنفسكم إنكم ليس تدعون أصم ولا غائبا، إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم قال: وأنا خلفه وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله فقال: يا عبد الله بن قيس؛ ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ فقلت: بلى يا رسول الله قال: قل: لا حول ولا قوة إلا بالله. ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام (أربعوا) لا تتعبوا أنفسكم برفع الصوت، بل اخفضوا أصواتكم شيئاً قليلا بحيث يسمع أحدكم نفسه وصاحبه الذي بجانبه، وهذا دليل على سنية رفع الصوت بالذكر، والذكر جماعة.

(١٥٧) روى الترمذي في سننه (٢/ ٣٠٩) والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١١) عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: مررت بك وأنت تقرأ وأنت تخفض من صوتك فقال: إني أسمعتُ من ناجيت قال: ارفع قليلا، وقال لعمر: مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع صوتك قال: إني أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان، قال: اخفض قليلا، ففي هذا الحديث دلالة على استحباب الجهر بالذكر وقراءة القرآن في صلاة الليل.

(١٥٨) (١/ ٣٦٧).

(١٥٩) هو سيدنا عبد الله ذو البجادين رضي الله عنه.

(١٦٠) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤١٦) وأخرج عبد الرزاق في مصنفه برقم (٦٥٥٩) عن الحسن بن مسلم: كان رجل من أهل نجد إن دعا رفع صوته، وإن صلى رفع صوته، وإن قرا رفع صوته، فشكاه أبو ذر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن هذا الأعرابي قد آذاني، لئن دعا ليرفعن صوته، ولئن قرا ليرفعن صوته، فقال النبي ﷺ دعه فإنه أواه، قال أبو ذر: فلما كانت غزوة تبوك رأيت ناراً بالليل فقلت: لآتين هذه النار فلأنظرن ما عندها، فإذا جنازة تجهز، وإذا رجل في القبر وإذا هو يقول: هلموا أدنوا إليَّ صاحبكم، أدنوا إلي صاحبكم، فإذا في القبر

كان يجهر مع أصحابه بالأذكار بعد الصلاة(١٦١).

وبالجملة أن الجهر بالذكر ليس بأضعف دليل من الإسرار به، ويزيد عن الجهر بانتفاع السامع به، ويكفينا في فضيلة الجهر؛ أن إسلام الجن كان من أجله، قال تعالى فيما أنزله على عبده حكاية عن الجن وما هو سبب إسلامهم: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا

النبي ﷺ (وإذا الأعرابي الجنازة)، وروى أحمد في مسنده برقم (١٧٤٨٩) عن عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال لرجل يقال له: ذو البجادين، إنه أواه، وذلك أنه كان رجلاً كثير الذكر لله عز وجل في القرآن، ويرفع صوته في الدعاء.

قلت: هذا الأعرابي هو سيدنا عبد الله ذو البجادين رضي الله عنه، سمي بذلك لأنه لما أسلم نزع عمه عنه ثيابه فأعطته أمه بجاداً من شعر فشقه باثنين فاتزر بأحدهما وارتدى بالآخر، وتوفي في تبوك ودفنه النبي ﷺ بيديه الشريفتين، تكريماً له وتشريفاً لأنه كان يدمن ذكر الله عزوجل ويرفع صوته به، فجازاه الله تعالى برفع صوته بذكر الله أن رفع ذكره على مر الزمان، ويستفاد من هذا الحديث؛ أن من أدمن ذكر الله تعالى ورفع صوته به، أكرمه الله في الدنيا والآخرة، وقياس العكس؛ أن من منع ذكر الله وأمر بالإسرار به وضع الله ذكره في الدنيا والآخرة.

(١٦١) روى مسلم في صحيحه برقم (٥٩٤) (باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته) قال: عن ثوبان قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً وقال: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام قال: الوليد فقلت للأوزاعي: كيف الاستغفار؟ قال: تقول: أستغفر الله أستغفر الله، وروى أيضاً عن المغيرة بن شعبة: أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة وسلم قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وروى البخاري بسنده إلى سيدنا ابن عباس قال: إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي ﷺ وقال بن عباس: كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعت، وأخرج البخاري أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما:كنت أعرف انقضاء صلاة النبي ﷺ بالتكبير صحيح البخاري (١/٢٨٨) مسلم (١/ ٤١٠) وابن خزيمة (٣/ ١٠٢) وبوب له في الصحيح: باب رفع الصوت بالتكبير والذكر عند قضاء الإمامة في الصلاة.، وروى غير واحد بسند صحيح أن النبي ﷺ كان إذا سلم من صلاته يقول: سبحان الملك القدوس ثلاثاً يمد بها صوته، انظر المنتقى لابن الجارود (١/ ٧٨) وصحيح ابن حبان (٦/ ٢٠٣) السنن الكبرى للبيهقي (٣/ ٣٩) وسنن الدارقطني (٢/ ٣١) وغيرهم.

﴿قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١﴾ الجن، والذي يحقق الفضيلة، ويزيدنا في العلم تفصيلا هو؛ قوله عليه الصلاة والسلام: (السر أفضل من العلانية، والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء به[١٦٢] وإني أخشى على من إذا سمع الجهر بالذكر تشمئز نفسه، أن يكون داخلاً في جملة من وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥﴾ الزمر، ولا يخفى أن الاشمئزاز المشار إليه لا يتصور إلا مع الجهر بالذكر، وقد تقدم ما في معنى هذا، ثم أقول: أنه إذا ثبت كون الجهر بالذكر من أفعال البر فلا مانع حينئذ من جواز الاجتماع عليه لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ٢﴾ المائدة، وهذا بقطع النظر عما ورد من الترغيب في حضور مجلس الذكر حسبما تقدم في غير ما حديث[١٦٣].

وعلى ما تقرر يتعين عليك الاعتراف بجواز الذكر جماعة، وحينئذ فلم يبق لك إلا أن تبين لنا كيفية الاجتماع على ذكر الله لأن الهيئة التي بلغتك عن السلف من أنهم يجتمعون في بيت أحدهم على قراءة الصلاة على النبي والدعاء لأنفسهم وللمسلمين، لم تقم عندك الحجة بها، بل

---

(١٦٢) الديلمي في الفردوس (٢/ ٣٤٧).

(١٦٣) من ذلك ما رواه الحاكم في مستدركه (١/ ٢١٠) والضياء في المختارة (٨/ ١٤٣) كان سلمان في عصابة يذكرون الله فمر بهم رسول الله ﷺ فجاءهم قاصدا حتى دنا منهم فكفوا عن الحديث إعظاما لرسول الله ﷺ فقال: ما كنتم تقولون؟ قلنا نذكر الله عز وجل، قال: فإني رأيت الرحمة تنزل عليكم فأحببت أن أشاركم فيها، قال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه.

شددت عليهم النكير، وكان الحق أن تجعلها على الأقل من البدع المستحسنة.

والهيئة التي أحدثتها الصوفية قامت قيامتك من أجلها، فبذلت فيهم من شنيع القول كل ما في وسعك، وأجلبت عليهم بخيلك ورجِلِك، ولم يكفك ذلك حتى ألزمت ولاة الأمر بطردهم من المساجد وغيرها، فبقى الأمر حينئذ موقوفاً عليك في بيان كيفية الإجتماع لأجل الذكر، وتعيين المكان، وإننا استرضيناك بما في وسعنا، وفي ظني أنك لا ترضى إلا إذا لم تر لله ذاكرا ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ الصف، ثم إنك بعد ما استفرغت جهدك فيما هو مقصود من جمع الرسالة، أردت أن تروِّح قلبك بما هو خارجٌ عن أحوال الصوفية، فذكرت جملة من المنكرات نقلا عن صاحب المعيار فقلت: ومنها أي من البدع المنكرة المعتادة في الشوارع والمحلات خروج النساء بأنواع الزينة البادية، وأسباب التجمل الظاهر حال اختيالٍ في المشي وإستعمال الطيب، واجتماعهن في مقابر الزوايا والجبّانات، والمواضع التي يتخذ منها مواضع للنزهة على من يمر بهن من الشبان والرجال، وأقبح من هذا وأشنع فتح حانات الخمر وديار المومسات في الشوارع علانية، واسترسال السكارى في مخالطة الناس، إلى أن قلت: قال مؤلفه: ويكثر ذلك مع الميسر في شهر رمضان المعظم بتونس، فظهر لي أن ذكرك لهذه المنكرات كأنه على سبيل الحكاية، حيث أنك لم تعضد صاحب المعيار ولو بحديث في ردع المتنهك لحرمات الله، ولا جئت بشيء فيه تنبيه لولاة الأمور على أفعال السفهاء المبطلين كما فعلت في تنبيههم على الصوفية، وإغرائك لهم على طردهم وإخراجهم من المساجد وغيرها، ولو أغريتهم

على حطم ما شاع من المنكرات كالتظاهر بالزنا وشرب الخمر ونحوها، واختصرت في رسالتك على مثل هاته الجملة، وبذلت جهدك كما بذلته فيما تقدم لاستوجبت الثناء الجميل من الإسلام عموماً، ومن الأمة التونسية خصوصاً، ولوجدت قلوب أعدائك محدقة بك فضلاً عن قلوب أصدقائك، ولكنك سعيت فيما لا طائل تحته، إلا مجرد المقت المترتب على من آذى الله تعالى في أوليائه حسبما جاء في الحديث القدسي: من آذى لي ولياً فقد آذنته في الحرب[١٦٤] وإني رأيتك لا تدري ما تقول فيما جمعته، وإنما تخبط خبط عشواء[١٦٥] ومثلك كحاطب الليل، فقد يجمع في حطبه ما يؤذيه، أو ما لا فائدة له به، ومن ذلك قولك: ومنها أي من البدع ؛ اتخاذ الثياب الرقاق، وقد كانوا يكرهون الثياب الرقاق، ويقولون: الثياب الرقاق لباس الفساق، من رق ثوبه رق دينه، ومنها أن يتخذ للباسه ثوب شهرة، فقد ورد في الحديث: من لبس ثوب شهرة كساه الله يوم القيامة ثوب ذل وصغار ثم أشعله عليه نارا[١٦٦] فأقول: بالله عليك، فأي فائدة تترتب عن نقلك هاته الجملة؟؟ وأي نفع يلحق الإسلام

---

(١٦٤) رواه بهذا اللفظ الشهاب في مسنده (٢/ ٣٢٧) ورواه بلفظ: (من عادى لي ولياً) البخاري في صحيحه (٥/ ٢٣٨٤) وابن حبان في الصحيح (٢/ ٥٨) وغيرهما بسند صحيح.

(١٦٥) العشواء: هي الناقة التي أصابه العشى، وهو ضعف البصر ليلاً، فلا تبصر أين تضع خفها، فربما توهمت مكاناً أميناً فوضعت خفها فيه فإذا هو حفرة فتردت فيها فتحطمت، ومثلها حاطب الليل، وهو من خرج إلى الجبل ليحتطب، فرأى حية فظنها عود خشب، فمد يده إليها ليأخذها فلدغته، وهذا من الأمثلة التي أوردها المؤلف (عليه من الله سحائب الرحمة والرضوان) لهذا المنكر الذي أنكر على الصوفية، وساق من الأدلة التي ظن من خلالها أنه على حق فيما يدعيه، فاستدرجه الشيطان إلى أن وقع في معاداة الأولياء، وإخراج السواد العظم من المسلمين من دائرة الإسلام، ليتصر لمذهبه، فجاءه الحتف من حيث يظن الأمن، ووقع في المعصية من حيث ظن أنها الطاعة، نسأل الله محبة أوليائه والانتصار لهم.

(١٦٦) رواه أبو داود (٤/ ٤٣) والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٤٦٠).

والمسلمين لو استبدلوا الرفاهية بالتقشف ما لم يرتكبوا حراماً إلا مجرد كساد التجارة وتعطيل الصناعة، وأي مناسبة بين ما أكنّته القلوب، وبين رقة أو خشونة الثوب، حتى تكون رقته دليلا على رقة الدين؟؟ وإن كان هكذا فقد فاز البدوي بكل خير، لأن الحضري كيفما كان، إلا والبدوي ثوبه أخشن، وحتى أنك لو ألزمت أهل تونس بخشونة الثوب، لا بدَّ وأن يقول قائله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ فبالله عليك؛ بأي قولٍ تجاوبه؟ وبأي لسان تخاطبه؟ والحق يقول: ﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٣٢﴾﴾ الأعراف، فأما كونهم كانوا يكرهون الثياب الرقاق لاحتمال أنها لم تكن من عادتهم، والذي بلغنا عنهم أنهم كانوا أحرص الناس على تأييد القلوب من حرصك على الثوب، يقول عليه الصلاة والسلام: إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا لأعمالكم، ولكن ينظر لما في قلوبكم[١٦٧] وهذا ونحوه يقضي بالحرج والله يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴿٧٨﴾﴾ الحج، وأما ما ذكرتموه من أنه عليه الصلاة والسلام قال: من لبس ثوب شهرة كساه الله يوم القيامة ثوب ذل وصغار، ثم أشعله عليه نارا' فأقول ولعلك تعني بثوب الشهرة ما ذكرته من رقيق الثياب، وإني أقول: ليس كذلك فإن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ نهى عن الشهرتين من الصوف والخز[١٦٨] وورد عنه أيضاً النهي عن اللبستين؛ المتناهية في قبحها والمتناهية في حسنها[١٦٩] وبالجملة إن خيار الأمور

---

[١٦٧] رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٧) وابن حبان في صحيحه (٢/ ١١٩).

[١٦٨] أخرجه الديلمي في الفردوس (١/ ٨٣٩).

[١٦٩] رواه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٧٣) وفي شعب الإيمان (٥/ ١٦٩).

أوسطها، وقد نهى تعالى عن الغلو في الدين فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴿٧٧﴾﴾ المائدة.

طعام الوليمة

ثم إنك قلت: ومنها أي من البدع اتخاذ طعام معلوم في ميلاد النبي ﷺ وفي بعض المواسم الشرعية، وحتى لو قلنا: إنها بدعة فأي ضرر يلحقنا من اتخاذ طعام معين؟؟ إن لم نعتقده بالوجوب، ولم يزاحم لنا طعاماً مسنوناً، كأن يكون كلفنا الشارع به فاستبدلناه بغيره، وفي ظني أن الشارع لم يكلفنا بطعام معلوم إلا بالأضحية بدون ما عيّن لنا كيفية الطبخ، فبقي الأمر موكلاً لما جرت به العادة والعرف، حسب الأماكن بدون حرج، فمن شاء اقتصر على طعام، ومن شاء زاد، ثم قلت: المواسم الشرعية يوم الفطر ويوم الأضحى ويوم عاشوراء وهو كذلك.

الاحتفال بذكرى مولد النبي ﷺ

ثم قلت: وما عداها مواسم بدعة، ولا شك تعني بذلك المولد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة وأزكى السلام، ولم ندر من أي قسم جعلته؟؟ أمن أقسام البدعة المنكرة كما هي عادتك؟ وإني أتمنى على الله أن نعتقد الاحتفال به من البدع المستحسنة، وما أظن، ثم أقول: عن صاحب المدخل الذي تعتمده في النقل غالباً لم ينكر الاحتفال بيوم المولد، إنما أنكر ما ابتُدِعَ فيه من المنكرات التي لا توافق الشرع، حتى إنه استدل على مطلوبية احترام ذلك اليوم باحترام الشارع له قال: إن النبي ﷺ أشار لوظيفة شهر المولد لقوله للذي سأله عن صوم يوم الاثنين فقال له: ذلك

يوم ولدت فيه، فتشريف هذا اليوم متضمن لتشريف هذا الشهر الذي ولد فيه، فينبغي أن تحترمه فوق الاحترام[١٧٠] اهـ.

ثم إنك ذكرت أن البدع المحرمة (عيد الذبيلة) قرية من قرى سوف فأقول: إن مثل هذا الموسم مما هو ليس بشرعي يتعين على العالم التنبيه عليه، وعدم الاعتناء به ليقتدي به غيره من العوام، وهذا حال أهل التصوف، تجدهم لا يعتنون بما زاد على المواسم المقررة، إلا بالميلاد النبوي لمكانة صاحبه في قلوبهم، واصطلاح العالم الإسلامي عليه، فعلموا من ذلك أن الاحتفال به مما يرضي الله والرسول، وأنه ليس بضلالة لقوله

---

(١٧٠) إن الكتاب الذي اعتمده المنكر في تبديعه الاحتفال بيوم المولد النبوي الشريف هو (المدخل) للعلامة محمد العبدري الشهير بابن الحاج، فقيه مالكي، ذكر في كتابه هذا جملة من البدع التي اشتهرت في المغرب، وحذر الناس منها، وقد كان ـ رحمه الله ـ شديداً على البدع والمبتدعين، لكنه لم ينكر على الاحتفال في يوم المولد النبوي، إنما أنكر ما صاحب هذه الاحتفالات من بدع ومنكرات أخرجتها عن سيما العبادة، فقد قال في مدخله (٢/ ٢) وما بعدها: وفضيلة الأزمنة والأمكنة بما خصها الله تعالى به من العبادات التي تُفعل فيها لما قد عُلم أن الأمكنة والأزمنة لا تشرف لذاتها، وإنما يحصل لها التشريف بما خُصت به من المعاني، فانظر رحمنا الله وإياك إلى ما خص الله تعالى به هذا الشهر الشريف ويوم الاثنين، ألا ترى أن صوم هذا اليوم فيه فضلٌ عظيم، لأنه ﷺ ولد فيه، فعلى هذا فينبغي إذا دخل هذا الشهر الكريم أن يكرم ويعظم ويحترم الاحترام اللائق به، وذلك بالاتباع له ﷺ في كونه عليه الصلاة والسلام كان يخص الأوقات الفاضلة بزيادة فعل البر فيها وكثرة الخيرات، ألا ترى قول البخاري رحمه الله تعالى: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان، فنمتثل تعظيم الأوقات الفاضلة بما امتثله عليه الصلاة والسلام على قدر استطاعتنا. فإن قال قائل: قد التزم عليه الصلاة والسلام ما التزمه في الأوقات الفاضلة مما قد عُلم، ولم يلتزم في هذا الشهر ما التزمه في غيره؟ فالجواب: أن المعنى الذي لأجله لم يلتزم عليه الصلاة والسلام شيئاً في هذا الشهر الشريف إنما هو ما قد علم من عادته الكريمة في كونه عليه الصلاة والسلام يريد التخفيف عن أمته والرحمة لهم سيما فيما كان يخصه عليه الصلاة والسلام... إلى آخره والشاهد في هذا؛ أن المنكر دلس في استدلاله بكلام ابن الحاج في المدخل، فبتر كلامه ولم يأت به كله، فظن القارئ من لم يتح له الاطلاع على هذا الكتاب أن المؤلف أنكر الاحتفال في يوم المولد النبوي الشريف، والحال أنه حث على الاحتفال الخالي من البدع المحرمة، فكان تحريمه لما صاحبه من البدع لا أنه حرمه.

عليه الصلاة والسلام: لا تجتمع أمتي على ضلالة[١٧١] وقد اجتمعت على تعظيم ذلك اليوم[١٧٢] ثم قلت نقلاً عن صاحب المعيار: ومنها ـ أي من البدع ـ كراهة الجهال ومن لا يعبأ به عقد النكاح في شهر المحرم والدخول

---

[١٧١] مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة (٤/ ١٦٩) وسنن ابن ماجة (٢/ ١٣٠٣) بإسناد رجاله ثقات.

[١٧٢] قلت: إن الاحتفال بعيد مولد النبي ﷺ هو في الحقيقة شكر لله تعالى على ما أنعم على الوجود بمولده وبعثه عليه الصلاة والسلام، فقد قال الله تعالى مخاطبا رسوله ﷺ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ آل عمران وغيرها من الآيات، فقد امتن الله علينا معشر المؤمنين ببعثه ﷺ وأعلمنا بأنه ما آتانا من نعمة أفضل وأشرف من هذه النعمة، ولعظيم شرفها وخطرها ذكرها الله تعالى في القرآن العظيم ليتلى على مر الدهر، وتذكرة للمؤمنين بأن لا يغيبوا عن هذا المعنى، ثم أمرنا الله تعالى بشكره على جليل نعمه التي حبانا إياها، وكانت بعثته ﷺ أجل نعمة فيها، وأمرنا أن نتحدث بها، لأن التحدث بالنعمة من جملة شكرها فقال: وأما بنعمة ربك فحدث، وأمرنا أيضا فوق هذا أن نظهر فرحنا بها فقال ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ يونس لذا جاء التوجيه الرباني بأن نشكر الله تعالى على نعمه، وأن نتحدث بها، وأن نظهر فرحنا بنعمه ومن أجلها مولده ﷺ فوجب على الأمة القيام بالاحتفالات الكبيرة في هذه المناسبة الطيبة العطرة، وتعظيم هذا الشهر العظيم، وخاصة اليوم الذي يصادف الثاني عشر من ربيع الأول من كل عام هجري، ألا ترى أن الله تعالى يخفف العذاب عن أبي لهب في قبره كل يوم اثنين؟؟ مع أنه مات كافرا معاديا لله ورسوله، لكنه لما بشرته جاريته ثويبة بمولد النبي ﷺ حيث قالت: إن الله رزق أخاك عبد الله غلاما ذكرا، فقال لها: إن كنتِ صادقة فأنتِ حرة، فأعتقها لفرحه بمولد ﷺ مرة في عمره، جاء في صحيح البخاري ٧ / ٩) قَالَ عُرْوَةُ: وثُوَيْبَةُ مَوْلاةٌ لأَبِي لَهَبٍ، كَانَ أَبُو لَهَبٍ أَعْتَقَهَا، فَأَرْضَعَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَلَمَّا مَاتَ أَبُو لَهَبٍ أُرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ بِشَرِّ حِيبَةٍ قَالَ لَهُ: مَاذَا لَقِيتَ؟ قَالَ أَبُو لَهَبٍ: لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ (أي خيرا) غَيْرَ أَنِّي سُقِيتُ فِي هَذِهِ بِعَتَاقَتِي ثُوَيْبَةَ (وأشار الى النقرة التي في أسفل إبهامه، وعند غيره أن الذي رآه هو أخوه العباس رضي الله عنه، وأخبره بأنه يخرج من النار يوم الاثنين من كل أسبوع ويسقى ماء باردا يخرجه الله من النقرة التي في أسفل الإبهام، يرضع منها كشأن الطفل الرضيع، وذلك تكرمة من الله له أن فرح مرة بمولد النبي ﷺ لذلك قال ابن ناصر الدين الدمشقي:

إذا كان هـذا كـافرا جاء ذمـه ... وتبت يداه في الجحيم مخلدا
أتى أنه في يوم الاثنين دائـما ... يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذي كان عمره ... بأحمد مسرورا ومات موحدا

فيه بل ينبغي أن يتيمن بالعقد والدخول فيه تمسكاً بما عظّم الله ورسوله من حرمته ورد الجهال عن جهالتهم.

فأقول: إن هاته الجملة لا تستفزنا حيث كانت متعلقة بالجهال ومن لا يعبأ بهم، وهذا القسم يكتفي منه أن يأتي بالعقد على وجهه شرعي، ومن أين له اكتساب الفضائل والتخلي من جميع الرذائل، ثم إنك قلت: ومنها - أي من البدع - اختصاص الأغنياء بالدعوة في الأعراس دون الفقراء فأقول: إن هاته الخصلة غريزية في البشر، لا تصلح أن تعد من البدع، لأن النبي ﷺ قررها بقوله: شر الطعام طعام الوليمة يدعى لها الأغنياء، ويترك الفقراء، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله[١٧٣] ثم أنك قلت: ومنها ما يستخفه بعض الناس من أذى البهائم والعنف على الدواب، كإثقالها بالأحمال التي لا تستقل بها.. إلخ فأقول: إن هاته الجملة أبعد من أن تذكر من جملة البدع، لأنها موكلة لرأفة البشر وقساوة قلبه، فقد تجد المتدين غليظ القلب يحمل على البشر فضلا عن الدواب، وربما تجد غيره يترحم بالضعيف، والرحماء يرحمهم الله ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ (٣٠)﴾ الروم، إلا أن الرحمة تكتسب من الرحماء، والعلم من العلماء، يقول عليه الصلاة والسلام: إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم[١٧٤] ثم إنك قلت: ومنها سابع الميت والطعام الذي يصنعه بالقراءة عليه عند تمام سابعه، وإنه ممنوع لا يجوز أكله فأقول: ولا بد أن نستفسرك عن وجهه الحرمة في طعام الأسبوع

---

(١٧٣) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١٩٨٥).

(١٧٤) رواه الطبراني في الأوسط (٣/ ١١٨) وروى البخاري بعضه.

الذي يجعل للقراءة، وإن كنت أنت لم تستفسر صاحب المعيار عن وجه المنع، إنما تأخذ الكلام الذي يقضي على الأمة بالتقبيح كأنه تنزيل، لأنك قلت بحرمته ومنعت الفقير من أكله، فلا بد وأن يقول لك الفقير: قال الله لنبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمًا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٥﴾﴾ الأنعام، ثم إنك قلت: ومثله طعام الفروقات وتمام الأربعين، وتمام السنة عند أهل تونس ومن استن بسنتهم المنكرة، وحتى ولو قلنا: أن أهل تونس عملوا بإشارتك. وكفوا جميعاً عن هاته الفضيلة التي سميتها بالسنة المنكرة، فأي شيء ينتج لك إلا حرمان الفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون من طعام الأغنياء الذين ربما فيهم من لم يؤكل طعامه لولا نازلة الموت، ألم تعلم أن سبب مشروعية الزكاة هو؛ الأخذ من الأغنياء لتتوسع الفقراء؟؟ ولكنها لا تعمى الأبصار، فقد يسيء المتهور وهو يري الإحسان، وهذا بقطع النظر عما رواه معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ أنه قال: ما على أحدكم إذا أراد أن يتصدق لله بصدقة تطوع أن يجعلها على والديه، وإن كانا غير مسلمين[١٧٥] ثم إنك قلت نقلاً عن صاحب المعيار: ومنها الجهر بالذكر أمام الجنازة على صوت واحد، والمطلوب من الأعمال في حمل الجنائز إنما هو الصمت، والتفكر، والاعتبار، وتبديل هذه الوظيفة بغيرها تشريع قلت: فيما ذكرته من مطلوبية الصمت والتفكر والاعتبار هو الأفضل والأولى، ومثل هذا

---

[١٧٥] رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ٩٢) والديلمي في الفردوس (٤/ ١٠٩).

لا يتصور إلا من الخصوص، وأما العموم فالذكر لهم أولى لأنهم، إن تركوه ربما اشتغلوا بما هو أشنع كالكلام فيما لا يعني، ولهذا ألزم الصوفية العموم بذكر لا إله إلا الله في الجنازة عملاً بقوله عليه الصلاة والسلام: (أكثروا في الجنازة قول لا إله إلا الله)[١٧٦] ولم يقيدها بسر ولا بجهر، ومثله: زودوا موتاكم قول لا إله إلا الله[١٧٧] وعلى هذين الحديثين فلا مستنكر حينئذ، وأما قولكم استبدال وظيفة الصمت بغيرها تشريع، فغاية ما فيه أن يكون جرياً على خلاف الأولى، ثم إنك قلت: ومنها قراءة القرآن بالألحان المطربة، فهو أمر منكر يجب المنع منه، وتنزيه القرآن عنه بالألحان نفسها مما يُنكَر في الشعر، وينبغي التنزه عن الحضور عنها وسماعها، فكيف بآيات الله!؟ ومقدس كلامه.

شروط إنكار المنكر

وبسبب ذكرك هذه الجمل لزمني أن نقول لك: ما أجسرك على القول في دين الله بغير علم!! وما أسرعك لأخذ النصوص بغير فهم!! وحتى لو سلمنا أن الله سبحانه وتعالى ابتلاك بالاقتصار على أحد المجتهدين، كان من حقك أن لا تجعلهم حاكماً على الشرع، إنما تجعله[١٧٨] حاكماً على نفسه، أو على من استفتاك في مذهبك، وحتى إذا قلت: تقول على التقدير هو منكر فيما ذهب إليه فلان، لا كونه منكراً في الشرع، وهكذا ينبغي لك أن تقول في كل أمر مختلف فيه، أو ليس قد قرر

---

(١٧٦) عزاه في فيض القدير (٢/ ٨٨) إلى تاريخ ابن عساكر، لكني لم أجده هناك، قال العجلوني في كشف الخفاء (١/ ١٨٨) ورواه الديلمي عن أنس بسند فيه مقال بلفظ: أكثروا في الجنازة قول: لا إله إلا الله، لكني لم أقف عليه أيضاً في النسخة التي بحوزتي.

(١٧٧) رواه الديلمي في الفردوس (٢/ ٢٩٣).

(١٧٨) أي الشرع.

العلماء أن من شروط الإنكار معرفة مذهب المنكِر عليه؟؟ لئلا ينكِر معروفاً تقرر عند غيره؟؟ وأنت تعلم أن الشرع أوسع من أن ينطوي تحت ما ذهب إليه أحد المذاهب، ولكن أراك تقول: كأنك أحطت بالمنقول والمعقول، وما مثلك إلا كمن خرج للهيجاء بغير سلاح، فتكون كلما عارضك نص كأنما خرج فيك لص[179] الا ترى كيف يكون حالك إذا وجدت في شرع الله خلاف ما قررته من إنكارك للأصوات المطربة في كتاب الله وغيره؟ فلا مندوحة لك إلا أن تقول: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ الأنعام.

التطريب في قراءة القرآن

وها أنا أذكر لك بعض ما عثرتُ، عليه فإن شئت تركته وإن شئت عملت به فأقول: ذكر الجلال السيوطي في كتابه: من الآثار من استحسان المصطفى ﷺ التغني بالقرآن، جملة كافية في الاقتصار عليها في هذا الباب منها؛ ما رواه أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: لكل شيء حليةٌ، وحليةُ القرآن الصوتُ الحسن[180] وفي رواية أخرى: لكل شيء حلية وحلية القرآن حسن الصوت[181] وقال أيضا: زينوا القرآن

---

[179] هذا مثال أورده المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أراد منه؛ أن هذا المنكر ومن هو على شاكله لم يرد الحق في إيراده ما أورده من أدلة لدعم ما ذهب إليه من الإنكار على الصوفية، بل ما أراد إلا التعصب لمذهبه القاضي بتكفير الصوفية، وإنكار هذا المذهب من أصله، ولما أفلس من إيراد الأدلة الشرعية على إنكاره هذا، أخذ يستشهد بأقوال بعض العلماء التي وردت في كتبهم لإنكارهم بدعة معينة، اختزلها المنكر وألصقها بالصوفية، فكان حاله كحال رجل خرج للقتال بدون سلاح، فكيف يقاتل أعداءه؟؟ فتوجس في نفسه خيفة، فكلما أحس بحركة حسبها عدواً له يريد أن يقتله، فيجفل لجهة معينة آخذاً حذره وهكذا.

[180] مصنف عبد الرزاق ت الأعظمي (٢/ ٤٨٤).

[181] تكملة مسند البزار (٤/ ١٩٣).

بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حُسنا[١٨٣] وفي رواية أخرى: زينوا أصواتكم بالقرآن[١٨٤] وقال أيضا: حسن الصوت زينة القرآن[١٨٥] وقال أيضا: حسنوا أصواتكم بالقرآن.

ولعلك تقول أن المراد بالتحسين إعطاؤه ما يستحق من أداء التلاوة كالترتيل ونحوه فأقول: إن ما جاء في هذا الباب صريح في مدح التغني بالقرآن، وإن لم يكن عندك صريحاً فإليك ما أصرح منه وهو ما نقله السيوطي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ليس منا من لم يتغن بالقرآن[١٨٦] وقوله أيضا: ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به[١٨٧] وعن أبي هريرة: ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن أن يجهر، قال العلقمي: المراد به التطريب وتحسين القراءة، والذي يكشف النقاب ويجلي السحاب ما روي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ سمع قراءته فقال: أوتيتَ مزماراً من مزامير آل داود، فقال أبو موسى: لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا[١٨٨] قال شارحه: أي لحسنت لك قراءته تحسينـاً، انتهى من الجامع الصغير.

---

[١٨٣] صحيح البخاري (٦/ ٢٧٤٢).

[١٨٤] صحيح مسلم ت محمد فؤاد عبد الباقي(١/ ٥٤٥).

[١٨٥] المعجم الكبير الطبراني (١٠/ ٨٢).

[١٨٦] قال الحافظ المزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٢٣٠): عن سعيد أو سعد عن رسول الله ﷺ قال: ليس منا من لم يتغن بالقران رواه عن يزيد بن خالد فوافقناه فيه بعلو ولهم شيخ آخر.

[١٨٧] صحيح البخاري ترقيم عبد الباقي (١٧/ ٢٢).

[١٨٨] انظر المسند المستخرج على صحيح مسلم (٢/ ٣٨٤) والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٢)، (١٠/ ٢٣٠) ومعنى حبَّرته: حسنت صوتي بتلاوته.

وإذا علمت هذا فهلا يكون إنكارك حسن الصوت في تلاوة كتاب الله مطلقاً فيه ما يتعجب منه بالنظر لما قدم من النصوص الصريحة؟؟ والذي أغرب من إنكارك حسن الصوت كيفما كان في الشعر أو غيره، ولكن هذا ينبئ منك عن غلظة الطبع، ويدل على أن في الأنعام ما هو أرق طبعا من بعض الأنام، أو ليس الصوت الحسن تتأثر منه الإبل وتحن من أجله؟؟ والأطيار تأنس وتسكن إليه؟؟ ألم يبلغك أن من آيات داود عليه السلام حسن صوته بالزبور؟ أليس الصوت الحسن من النعم التي أنعم الله بها على عباده؟ ألم يبلغك أنهم قالوا في قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ (١)﴾ فاطر، المراد به الصوت الحسن، ويؤيده ما جاء في بعض القراءات يزيد في الحلق ما يشاء (بالحاء المهملة[١٨٩]) وإذا كان لا يُستعمَل في تلاوة كتاب الله، وأن استماعه مما ينكَر في شرع الله، فما هو وجه التخصيص به؟ ويلزم عليه أن يكون من نقم الله لا من نعمه التي أنعم الله بها على عباده؟ إلا أن يصرفها فيما لا يرضي اللهَ ورسولَه، والحاصل أنك حكمت في هذه الجملة بخلاف ما حكم الله به، فأنكرت حُسْنَ الصوت وشدَّدت أنت عليه النكير، وحتى لو قلنا أن المذهب لم يقل بجواز التغني بكتاب الله فأقول: إن دليله ليس بأقوى من دليل من أجاز التغني بكتاب الله وتلاوة أسمائه وقال بندبه، حسبما دلت عليه الأحاديث السالفة بل هو أقوى فيما يظهر، وزيادةً أنه تعالى لم ينكر الصوت الحسن الذي شددت أنت عليه التكبير، إنما أنكر صوت الحمير، فاخترت الزفير على التحبير، واستبدلت الذي أدنى بالذي هو خير.

ثم قلت: ومنها إيقاد الشمع وزيادة وقود القناديل ليلة مولد النبي ﷺ فأقول: إن المواسم لها أحكام بالخصوص لا بدَّ فيها من إظهار ما يدل على السرور، كالتجمل وإظهار الزينة والفرح، ويكون زيادة إيقاد القناديل ليلة المولد وغيره من المواسم من ذلك القبيل، والذي يدلك على أن للمواسم رخصاً ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تدفّان [١٩٠] وتغنيان والنبي ﷺ متغشي بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف ﷺ عن وجهه الشريف وقال: دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد[١٩١] وتلك الأيام أيام منى، ومثله ما روي عنها رضي الله عنها من طريق آخر أنها قالت: دخل عليَّ أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت[١٩٢] به الأنصار يوم بعاث، فقال أبو بكر رضي الله عنه أمزمار الشيطان في بيت النبي؟؟!! فقال عليه الصلاة والسلام: دعهما يا أبا بكر، فإن لكل قوم عيدا، وهذا عيدنا[١٩٣] ثم إنك قلت في إيقاد الشمع: ووقودها في النهار لحضور ذلك الموكب المبتدع من باب أحرى وأولى كما في المدخل.

فأقول: إن كان وقودها نهاراً فهو غير لائق، وحقها أن تسمى بدعة لأنها لا تظهر فائدتها في النهار كظهورها ليلاً، ولأنها لم تسبق بما

---

(١٩٠) تضربان بالدف، وأيام منى هي أيام عيد الأضحى.

(١٩١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٢٩٨) (١/ ٣٣٥) ومسلم (٢/ ٦٠٨) وابن حبان في صحيحه (١٣/ ١٧٧) وغيرهم بسند صحيح.

(١٩٢) ما قالته من الشعر، ويوم بعاث هو يوم حدثت فيه معركة بين الأوس والخزرج أيام الجاهلية، وحصل قتل كبير في كلا الطرفين.

(١٩٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٦٠٩) والبخاري (١/ ٣٢٣، ٣٢٤) واه ابن حبان في صحيحه (١٣/ ١٨٨).

يقرب منها عند السلف، وأما كون الموكب مبتدعاً فإني أتمنى على الله أن يأجر من ابتدعه، ويكون داخلاً تحت قوله عليه الصلاة والسلام: من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها(١٩٤) لما فيه من إظهار تعلق المسلمين وشغفهم بنبيهم ﷺ، وكيفما كان اجتماع الأمة إلا وهو رحمة وبه أمرت السنة، وعلى هذا يكون المبتدع من سعى في نقيض الاجتماع، ثم قلت: ومن البدع استعمال مبخرة الفضة في درس الحديث الشريف، فإن ذلك محرم، وإن استعمالها في عقد النكاح لا يجوز، فإذا وقع ذلك فإنه لا يجوز الحضور في ذلك المجلس، فكيف يتجرأ بتلاوة حديث النبي ﷺ في مجلس فيه شيء محرم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قلت: فإني لا أدري ما هو وجه تخصيصك استعمال مبخرة الفضة في درس الحديث وعقد النكاح، والحالة أن اتخاذ الأواني من أحد النقدين حرام مطلقا ثم قلت: كيف يتجرأ على تلاوة الحديث الشريف في مجلس فيه شيء محرم، بمعنى لا يجوز تلاوة الحديث الشريف فيه وأنا أقول: بل يجب أن يتلى منها ما فيه دلالة على منع اتخاذ الأواني من أحد النقدين، حتى يكون المتخذ لها على بصيرة، ولما كان دأبك وديدنك الانتقاد والتتبع والتشنيع على كل اختيار شاعت نسبته للصوفية، جُلتَ وصُلتَ، واستقمت ومِلت، ثم رجعت لمقصودك الأهم واستفرغت جهدك في القلم في شيء لا مساس له بالدين، وجعلته حجة على المتسببين وأن بسببه يدخلون في حيز المرائين.

قلت: ومن البدع المنكرة استعمال السبحة، الرومانية الأصل، في اليد والعنق، ليظهر مستعملها للناس أنه من الذاكرين العابدين، وكأنه لم يعلم أنه من المرائين الموعودين بالويل والعذاب لأن الرياء من الكبائر.

فأقول: إنه يستفاد مما تضمنته هذه الجملة أنكم حكمتم على كل من اتخذ سبحة في يده، أو جعلها في عنقه، أنه من أهل الكبائر، موعودٌ بالويل والعذاب، وهذا على الأقل، وإلا على ما يقتضيه ما سبق من قولك أنه يكون رومانياً أي نصرانياً حيث تشبه بالرومان بوضعه السبحة في عنقه، نسأل الله السلامة، وفي ظني أنه لو ارتكب من المعاصي أقصاها لما استحق هذا الحكم، فيا سبحان الله!! أو ليس العلماء هم الرحماء؟؟ فكيف بك حتى حكمت على جل الأمة المحمدية بالخسران والتضليل؟ وما يدريك أن يكون متخذ السبحة مرائياً؟؟ والحال أن الغيب لله فيما انطوت عليه السرائر، وحتى لو قلنا أنها لا تخلو طبقات المتخذين للتسابيح من وجود المرائين، فكذلك لا تخلو من وجود المخلصين، وعليه فما وجه حكمنا على عموم الأفراد؟؟ وهل استوعبت ضمائر الجميع؟ وما هي نية كل فرد باتخاذه السبحة؟ ولربما تكون له نية صالحة في اتخاذها، ألم تعلم أن النية يقال لها الإكسير المعنوي، يقلب الأعيان بسرعة، ولربما لو سألت صاحبها عن نية استعماله لها في عنقه يقول لك: وجدتها تحجزني عن مخالطة السفهاء، ودخول أماكن التهم، فجعلتها قيداً لنفسي، لأنها تقول بلسان حالها: اتق الله!! فما مثلك ممن يتجاهر بالمعاصي، وهل هذه إلا نية صالحة؟؟ وهكذا لو سألت من يجعلها في يده فلربما يقول لك: اتخذتها لتذكرني الله كلما غفلت عن ذكره، لأنه بلغني عن

رسول الله ﷺ فيما أخرجه الديلمي في مسند الفردوس عن علي بن أبى طالب كرم الله وجهه مرفوعاً أنه قال: نعم المذكر السبحة[١٩٥] نقله الجلال السيوطي في كتابه المسمى بالمنحة في اتخاذ السبحة[١٩٦] فبالله عليك فبأي شيء تجاوبه؟ وهل هذه إلا نية صالحة؟ ونصوص صريحة؟ وفي ظني أن صاحبها لا يستحق ما توعدته به من شدة العذاب.

نعم، ثم أناس لا خبرة لهم بالنية في اتخاذها، إنما أخذت في أيديهم على سبيل الاتفاق، وهذا في ظني لا يستحق الوعيد الذي رتبته على متخذ السبحة، ومثله أيضا من اتخذها ليتشبه بالصالحين قاصداً اللحوق بهم، وهذه أيضا نية صالحة، وثم أفراد قلائل ممن ذكرت في نعت المنافقين، من أنهم ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ النساء، فأقول: إن مثل هاته الآية هو الذي ألزم الصوفية بالاستغراق في الذكر والتجاهر به والإكثار منه، ليخرجوا من حيز القلة إلى فضاء الكثرة، فينفصلون تمام الانفصال عما هو نعت المنافقين من قلة الذكر، والغاية في حد الكثرة مجهولة لولا أن بينها عليه الصلاة والسلام بقوله: اذكروا الله حتى يقول المنافقون إنكم مراؤون[١٩٧] وقال أيضا: أكثروا ذكر الله حتى يقال إنكم مجانين[١٩٨] نقلهما في الجامع الصغير.

فلما بلغوا هاته الغاية، وقيل فيهم بالرياء حسبما قلت، وبالجنون حسبما قاله غير واحد، فاستراحت النفوس حينئذ، وعلموا أنهم خرجوا

---

(١٩٥) رواه الديلمي في مسند الفردوس (٤/ ٢٥٩) بلفظ: نعم المذكر السبحة، وخير ما يُسجد عليه الأرض وما أنبتته الأرض.

(١٩٦) وهو ضمن كتاب الحاوي للفتاوي للسيوطي الرسالة الأولى من المجلد الثاني.

(١٩٧) رواه البيهقي في الشعب (١/ ٣٩٧).

(١٩٨) تاريخ ابن معين رواية الدوري (٤/ ٤١٣) وأورده الذهبي في ميزان الاعتدال (٣/ ٤١).

من حيز القلة واتصفوا بالكثرة، فهم الذاكرون على الحقيقة، ويشهدك الله، هل استكثرت من ذكر الله حتى قيل فيك ما قيل فيهم؟ أم لم تزل تكابد مذمة القلة؟ والله يلهمنا وإياك الإكثار من ذكره، وحسن الظن بأوليائه، ثم أقول: إن جميع ما ذكرته في الرياء، إن الصوفية أحذر مما حذرتَ منه، وأخوف مما خوفت منه، لولا أن أظهرهم الله سبحانه وتعالى بأفعال البر ليقتدى بهم، ألم يبلغك قوله عليه الصلاة والسلام: السر أفضل من العلانية، والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء به[١٩٩] ذكره السيوطي في جامعه، ثم إنك بعدما أنكرت استعمال السبحة تمام الإنكار، وذكرت أنها بدعة محرمة، أوردت على نفسك ما يؤيد مشروعيتها قلت: وقد ورد أن النبي ﷺ دخل على بعض أزواجه، فرأى نوراً في الطاق، فقال: ما هذا النور الذي في الطاق؟ فقالت: يا رسول الله سُبحتي التي كنت أسبح عليها، جعلتها هناك، فقال عليه الصلاة والسلام: هلا كان ذلك النور في أناملك، فاستفدنا من هذا أن السبحة لها أصل في الشرع وأن لها نوراً يعلوها أيضا، فمن يتطوق بذلك النور، بأن جعله في عنقه فهل يلام عليه؟ ثم قلت: هذا على أن المراد بالسبحة هو النور كما ورد مفسراً في بعض الأحاديث، وهي مخبأة في طاق غير ظاهرة للناس، لا السبحة المصنوعة من خرز، المنظومة في خيط كما توهمه بعض الأغبياء فأقول: وأي غباوة أشد من غباوتك؟! تثبت الأصل وتنكر ما تفرع عنه، وأي فرق بين النوى وبين الخرز الذي ذكرته، وغيره من الأشياء الطاهرة؟ وقد ثبت أن بعضهم ممن كانت لهم أحجار يعد بها غير النوى، ولعلك

---

(١٩٩) جمع الجوامع أو الجامع الكبير للسيوطي (١ / ١٣١٠٧) وعزاه للديلمي في الفردوس، وهو كما قال، انظر الفردوس برقم (٣٥٧٢).

أنكرتها من حيث أنها منتظمة في خيط، فقد روي أن أبا هريرة رضى الله عنه كان له خيط معقود فيه ألفا عقدة، لا ينام حتى يسبح به، أوَ ليس في هذا ما يقرب من انتظام السبحة المعهودة؟ ألا ترى أن أبا هريرة، كان له ورد معهود، لا ينام حتى يخرجه، حسب ما ذكر، أتراه يترك سبحته إذا خرج مسافراً مثلاً؟ وتظن أن النبي ﷺ إذا رآه حاملاً لذلك الخيط في يده، أو جعله في عنقه، ينكره منه بعدما قرره على الذكر به؟ فما أظن ـ والله أعلم ـ أو ليس أن الخاتم كان أول مشروعيته للختم به، ثم صار وضعه في الأصبع سنة؟؟ ولِمَ لا تكون السبحة من هذا القبيل، أو يكون العنق لها بدل الأصبع؟ وفي ظني أن هذا لا يقع منك موقعاً حسنا، لأن المسالة تتوقف على النقل، فأقول: ذكر صاحب المدارك أنه قال: قال بعضهم: دخلت على سحنون[٢٠٠] وفي عنقه سبحة يسبح بها، أي معدة للتسبيح، ولا شك أن هذا الخبر بلغكم، ولماذا تركتم العمل به؟ أوَ ليس الإجماع انعقد على مطلوبية العمل بخبر الواحد[٢٠١] ولم يشترط التواتر في الخبر إلا الروافض[٢٠٢] وما كان دفعكم لهذه الرواية إلا لأنها جاءتكم بما لا

---

[٢٠٠] واسمه عبد السلام، وسحنون لقبه، انظر سير أعلام النبلاء (٦٦/١٢): عن إسماعيل بن إبراهيم قال: دخلت على سحنون، وهو يومئذ قاض، وفي عنقه تسبيح يسبح به.

[٢٠١] وممن قال به: الإمام الشافعي رضي الله عنه كما نقله عنه أبو نُعَيم في الحلية (١٠٥/٩) وأبو حاتم في آداب الشافعي (٢٣١)، الحافظ ابن عبد البر في التمهيد (٧/١) الإمام الغزالي في المستصفى (١٤٥/٠١) الإمام البخاري في صحيحه وهو كما في الفتح (٢٣١/١٣) الخطيب البغدادي في الكفاية في علم الرواية (٤٣٢) والإمام النووي في شرح مسلم (١٣١/١) الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح نخبة الفِكَر وشرحها للشيخ ملا علي القاري (٣٧) الإمام أبو منصور عبد القاهر البغدادي في أصول الدين (١٢) وغيرهم، وهو مما انعقد عليه الإجماع.

[٢٠٢] بعد الرجوع لهذه المسئلة في كتب الشيعة وجدتهم مجمعين على عدم الأخذ بخبر الآحاد لا في العلم (أي العقيدة) ولا في العمل، ويردون على أهل السنة في هذه المسئلة، وقد يقبلون بخبر الواحد إذا كان مستفيضاً ومشهورا، انظر (البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار) لأحد

تهوى الأنفس، وإذا لم تحصل بما ذكرناه الحجة، فربما يقوم عندك الجلال السيوطي مقام من تغنيك روايته، فإنه جعل رسالته التي تسمى {المنحة في السبحة) قال فيها: أخرج الديلمي في مسند الفردوس عن علي كرم الله وجهه مرفوعاً: نعم المذكر السبحة[٢٠٣] ثم قال: وكان لأبي هريرة خيط معقود فيه ألف عقدة، لا ينام حتى يسبح به وكذلك أبو الدرداء وكذلك ذكر عن جماعة من الصحابة[٢٠٤] ومثله ما ذكره الإمام السنوسي صاحب

العنسي الصنعاني، (إفاضة العوائد تعليق على درر الفوائد) محمد رضا الكلهايكاني (الإمام جعفر الصادق) عبد الحليم الجندي.

(٢٠٣) رواه الديلمي في مسند الفردوس (٤/ ٢٥٩) بلفظ: نعم المذكر السبحة، وخير ما يُسجَد عليه الأرض وما أنبته الأرض.

(٢٠٤) روى ابن ابي شيبة في مصنفه (٢/ ١٦١) برقم (٧٦٥٧) عن امرأة من بني كليب قالت: رآني عائشة أسبح بتسابيح معي فقالت: أين الشواهد؟ يعني الأصابع، واورد أيضاً برقم (٧٦٥٨) عن مولاة لسعد أن سعدا كان يسبح بالحصى والنوى، وروى برقم (٧٦٦٠) عن ابن الأخنس قال: حدثني مولى لأبي سعيد عن ابي سعيد أنه كان يأخذ ثلاث حصيات فيضعهن على فخذه فيسبحن، ويضع واحدة ثم يسبح، ويضع أخرى ثم يسبح، ويضع أخرى ثم يرفع ويضع مثل ذلك وقال: لا تسبحوا بالتسبيح صفيراً وروى برقم (٧٦٦١) عن رجل من الظفار قال: نزلت على أبي هريرة ومعه كيس فيه حصى أو نوى فيقول: سبحان الله! سبحان الله حتى إذا نفد ما في الكيس ألقاه إلى جارية سوداء فجمعته ثم دفعته إليه وروى برقم (٧٦٦٢) عن زاذان قال: اخذت من أم يعفور تسابيح لها، فلما أتيت علياً علمني فقال: يا أبا عمر، أردد على أم يعفور تسابيحها وروى برقم (٧٦٦٣) عن عبد الله بن عمرو قال: رأيت رسول الله ﷺ يعقده بيده يعني التسبيح وروى برقم (٧٦٦٤) عن محمد أنه كان لا يرى بأساً أن يسبح الرجل ويعقد تسبيحه، وفي تحفة الأحوذي (٩/ ٣٢٢): ويدل على جواز عد التسبيح بالنوى والحصى حديث سعد بن أبي وقاص أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به ... الحديث وحديث صفية قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وبين يدي أربعة آلاف نواة أسبح بها الحديث أخرجهما الترمذي فيما بعد.

قال الشوكاني في النيل: هذان الحديثان يدلان على جواز عد التسبيح بالنوى والحصى، وكذا بالسبحة لعدم الفارق، لتقريره ﷺ للمرأتين على ذلك وعدم إنكاره، والإرشاد إلى ما هو أفضل لا ينافي الجواز، وقد وردت بذلك آثار، ففي جزء هلال الحفار من طريق معتمر بن سليمان عن أبي صفية مولى النبي ﷺ أنه كان يوضع له نطع ويجاء بزنبيل فيه حصى فيسبح به إلى نصف

النهار ثم يرفع فإذا صلى أتى به فيسبح حتى يمسي، وأخرجه الإمام أحمد في الزهد، وأخرج ابن سعد عن حكيم بن الديلمي أن سعد بن أبي وقاص كان يسبح بالحصى، وقال ابن سعد في الطبقات: أخبرنا عبد الله بن موسى أخبرنا إسماعيل عن جابر عن امرأة خدمته عن فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب أنها كانت تسبح بخيط معقود فيها، وأخرج عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد عن أبي هريرة أنه كان له خيط فيه ألف عقدة فلا ينام حتى يسبح به، وأخرج أحمد في الزهد عن القاسم بن عبد الرحمن كان لأبي الدرداء نوى من العجوة في كيس، فكان إذا صلى الغداة أخرجها واحدة واحدة يسبح بهن حتى ينفذهن، وأخرج ابن سعد عن أبي هريرة أنه كان يسبح بالنوى المجموع، وأخرج الديلمي في مسند الفردوس من طريق زينب بنت سليمان بن علي عن أم الحسن بنت جعفر عن أبيها عن جدها عن علي رضي الله عنه مرفوعا: نعم المذكر السبحة.

وقد ساق السيوطي آثارا في الجزء الذي سماه المنحة في السبحة وهو من جملة كتابه المجموع في الفتاوى وقال في آخره: ولم ينقل عن أحد من السلف ولا من الخلف المنع من جواز عد الذكر بالسبحة، بل كان أكثرهم يعدونه بها ولا يرون ذلك مكروها.

وقال الجرجاني في تاريخ جرجان ١/١٠٨ عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يسبح بالحصى.

وعن عبد الواحد بن زياد قال: حدثنا يونس بن عبيد عن أمه قالت: رأيت أبا صفية رجلاً من أصحاب النبي ﷺ قال: وكان جارنا ها هنا، فكان إذا أصبح يسبح بالحصى والنوى ولا أراه إلا بالحصى، ورواه أيضاً في العلل ومعرفة الرجال (٢/ ١٣٧) برقم (١٧٩٦) عن يونس بن عبيد عن أمه قالت: رأيت أبا صفية رجل من أصحاب النبي ﷺ قالت: وكان جارنا ها هنا قالت: فكان إذا أصبح يسبح بالحصى(٣/ ٢٧٢)

وفي نيل الاوطار للشوكاني (٢/ ٣٥٩) وعن صفية قالت دخل عليٌّ رسول الله ﷺ وبين يدي أربعة آلاف نواة أسبح بها فقال، لقد سبحت بهذا؟ الا أعلمك بأكثر مما سبحت به فقالت: علمني فقال: قولي: سبحان الله عدد خلقه، وزنة عرشه ومداد كلماته ورضاء نفسه.

والحديث الأول يدل على مشروعية عقد الأنامل بالتسبيح وقد علل رسول الله ﷺ ذلك في حديث الباب بأن الأنامل مسؤولات مستنطقات يعني أنهن يشهدن بذلك فكان عقدهن بالتسبيح من هذه الحيثية أولى من السبحة والحصى، والحديثان الآخران يدلان على جواز عد التسبيح بالنوى والحصى وكذا بالسبحة لعدم الفارق لتقريره ﷺ للمرأتين على ذلك، وعدم إنكاره والإرشاد إلى ما هو أفضل لا ينافي الجواز، وفي الحديثين الآخرين فائدة جليلة وهي؛ أن الذكر يتضاعف ويتعدد بعدد ما أحال الذاكر على عدده وإن لم يتكرر الذكر في نفسه فيحصل مثلا على مقتضى هذين الحديثين لمن قال مرة واحدة سبحان الله عدد كل شيء من التسبيح ما لا يحصل لمن كرر التسبيح ليالي وأياما بدون الإحالة على عدد.

البراهين في رسالته المسماة (بنصرة الفقير في الردُ على أبي الحسن الصُغَير[٢٠٥].

وأما أئمة الصوفية في ظني أنكم لا تعتمدونهم في هذا الباب، وإلا فاتخاذ السبحة وغيرها من أخلاق أهل التصوف قد تظاهر بها القوم من عهد الجنيد رضي الله عنه، فقد ذكر القاضي أحمد بن خلكان في وفيات الأعيان أنه رأى الجنيد وفي يده سبحة فقيل له في ذلك فقال: طريق وصلت به إلى ربي لا أفارقه[٢٠٦] وفي ظني أنكم تعترفون لمكانة الإمام الشعراني رضي الله عنه في الدين، فإنه ذكر في طبقاته الصغرى بأن سيدي أحمد الكعكاعي، وكان هذا الشيخ عند الشعراني ممن ترجى بركته قال: كانت له سبحة فيها ألف حبة، فسُرق له منها سبع حبات، فرأى النبيَّ ﷺ في المنام وقال له: يا أحمد إن فلاناً سرق من سبحتك سبع حبات، ولك كذا وكذا من يوم تصلي علي ناقصاً عن العدد، فذهب إلى ذاك الرجل وقص عليه الرؤيا، فقال صدق النبي ﷺ وأخرجها له من رأسه، فأخذها وردها إلى السبحة، ثم قال: ما رأيت أضوءَ منها !! تكاد تضيء من النور لكثرة الأوراد أهـ.

والتوقف على الدليل يكفيه منه القليل، وإني ما طلبت منك أن تجعل سبحةً في عنقك، بل ولا تلمسها بيدك، إنما رجوت منك بما سقته لك من الأخبار أن تقول قولاً مقبولا، وأن لا تكون عجولا، وإلا ﴿إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ۝٣٧﴾ الإسراء، ثم إنك أوردت حديثاً لتستظهر به في ظنك، وإني لم أدر أهو لك أم عليك؟ قلت: روي

---

[٢٠٥] نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير ص (١٧) مخطوطة.

[٢٠٦] وفيات الأعيان (١/ ٣٧٣).

أنه ﷺ دخل على امرأة وبين يديها نوى وحصى تسبح به، فقال لها: أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل؟ سبحان الله عدد ما خلق في السماء، سبحان الله عدد ما خلق في الأرض، وسبحان الله عدد ما بين ذلك، وسبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك[٢٠٧] فأقول: إن ما ذكرته يقضي بانهدام ما قررته، أو ليس إنك بصدد إثبات التسبيح بالأنامل؟ وأين أنت من هذا الدليل الذي يقضي بإسقاط العد بالمرة؟ فإنك أرحت أنفسنا من عدِّ الأنامل وغيرها، بارك الله لنا فيك!! ولكنك لم تثبت في مقالتك حتى قلت: وروي أنه ﷺ كان يعقد التسبيح بيمينه[٢٠٨] فالتسبيح بالنوى وما كان على شاكلته له أصل في الشرع، وهو خلاف الأولى، والأولى والأفضل التسبيح بالأنامل، فأقول: الآن جئت بالحق الأبلج الذي لا خفاء فيه، حيث أثبتَّ أن التسبيح بالنوى ونحوه له أصل في الشرع، وإذاً فلا نزاع، وأنا أقول بقولك أن الأولى والأفضل التسبيح بالأنامل، ولكن من تكون له أوراد يتعذر ضبطها بالأيدي، مثل الورد الذي كان لأبي هريرة رضي الله عنه، أو مَن أراد العمل بقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث أن: مَن قال: لا إله إلا الله سبعين ألف مرة حرم الله عليه النار[٢٠٩] فإن صح هذا فأنصفنا

---

[٢٠٧] رواه ابن خزيمة في صحيحه (١/ ٣٧١) وابن حبان في صحيحه (٣/ ١١٠، ١١١، ١١٨).

[٢٠٨] رواه الحاكم في مستدركه بدون لفظة (بيمينه) انظر المستدرك (١/ ٣٧١، ٣٧٢) وسنن الترمذي (٥/ ٥٢١).

[٢٠٩] لم أقف عليه في شيء من كتب الحديث، لكن وجدته في فيض القدير (٦/ ١٨٩) بهذا اللفظ: فائدة قال ابن عربي أوصيك أن تحافظ على أن تشتري نفسك من الله بعتق رقبتك من النار بأن تقول لا إله إلا الله سبعين ألف مرة، فإن الله يعتق رقبتك أو رقبة من تقولها عنه بها، ورد به خبر نبوي، وأخبرني أبو العباس القسطلاني بمصر أن العارف أبا الربيع المالقي كان على مائدة، وقد ذكر هذا الذكر، وعليها (أي المائدة) صبي صغير من أهل الكشف، فلما مد يده للطعام

يشهدك الله، فهل يتيسر مثل هذا حصره بالأيدي؟ وإذاً لا بدَّ لك من سبحة تعد عليها سبعين ألفاً كي تنقذ نفسك من النار إن شاء الله.

ثم أقول: إن ما قررته في هاته الجملة يصلح أن يكون قولاً لكل منصف، ولكنك لم تلبث قليلاً حتى نكصت على عقبك، وصرحت بمشروبك وقلت: "والتسبيح بالسبحة المنظومة بدعة محرمة لما يعرض لها من العوارض من إظهارها، وعدم الذكر بها، وكونها من عمل الرهبان، فلهذا كانت مثلثةً وعلى شكل صليب، فلو كان الشاهدان طويلين لظهر ذلك غاية الظهور، ولا أظن أن أحداً من العلماء المهتدين يقول بجواز استعمالها لما ذكرناه، ولا زال الرهبان يستعملونها إلى الآن، وإنما استعملها بعض المتصوفة ليظهر على نفسه أثر العبادة، فيعظمه الناس كما تقدم، فيتوصل إلى مقصوده، وهو أخذ أموال الناس بالخيانة والتدجيل إلى آخر ما ذكرت".

فأقول: أما كونها بدعة فقد تقدم لك من الآثار ما فيه كفاية لأولي الأبصار، وقد اعترفت بنفسك على أن لها أصلاً في الشرع، وحتى لو قلنا: إنها بدعة فإنها لم تبلغ حد ما وصفتها به من التحريم الشديد، لأنهم قالوا رضي الله عنهم: البدعة المحرمة هي؛ ما زاحمت سنة مأثورة، أو خالفت إجماعاً، وليس في السبحة شيء من هذا القبيل، وأما تعليلكم بتحريمها بإظهارها، وعدم الذكر فهو متعلق بحاملها، ونيته في ذلك لا مدخل له في وقوع النص عليها، وأيضا إن حكمنا عليه بعدم الذكر هو

بكى فقيل: ما شأنك؟ قال: هذه جهنم أراها وأمي فيها، فقال المالقي في نفسه: اللهم إني قد جعلت هذه التهليلة عتق أمه من النار، فضحك الصبي وقال: الحمد لله الذي خرجت أمي منها، وما أدري سبب خروجها، قال المالقي: فظهر لي صحة الحديث، قال ابن عربي: وقد عملت أنا على ذلك ورأيت بركته.

مجرد الظن ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۝٢٨﴾ النجم، لقوله عليه الصلاة والسلام: (إذا ظننتم فلا تحققوا)[٢١٠] وقد تقدم ما يتعلق باستعمالها في العنق وحملها باليد وغير هذا، وأما قولكم: إنها من أعمال الرهبان، فالمشتهر عند العالم أنها من أعمال المتصوفة، وحتى أننا لو قلنا: إنها من أعمال الرهبان، فلم يلزمنا الشارع بترك عموم أوصاف الرهبان إلا بمجرد ترك الزنار، وقد تركته الأمة المحمدية وتنصلت عن الشرك تمام التنصل، والحمد لله.

أو ليس يوجد من أوصاف الرهبان ما لم يوجد في مثلك؟؟ قال تعالى في مدحهم: ﴿۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٨٢ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨٣﴾ المائدة وعلى هذا فهل يلزمنا ترك ما وصفهم به تعالى؟ وحتى لو قلنا إنها من مستعملات الرهبان، فلا شك من تباين المقاصد، وأما كونها على شكل صليب فأقول: إن هذا المشهد مما انفردتَ به، وحقه أن يُعَدَّ فتحاً خُصِصتَ به، لأنه لم يبلغنا عن أحد فتحت بصيرته فشهد أكثر الأمة المحمدية، ما من أحد إلا وفي عنقه صليب، نسأل الله السلامة، ولكن هذا من الكشف الذي يكشف الله به صاحبه، فيا لله العجب!!! أي مناسبة بين شكل السبحة وبين هيئة الصليب؟ ولكن عين السخط تبدي المساويا، وإذا كان من اللازم أن يجتنب الإنسان في مأكوله ومشروبه ومنظوره كل هيئة تقارب هيئة الصليب، فصورتك التي أنت بها إنسان أقرب إلى

---

[٢١٠] التمهيد لابن عبد البر (١٨/ ١٩) قال العجلوني في كشف الخفاء (١/ ١١١): (رواه الطبراني عن جابر) لكني لم أجده عند الطبراني.

الصليب من شكل السبحة، لأنك قلت في السبحة: لَو كان الشاهدان طويلين لظهر ذلك غاية الظهورْ وعلى كل حال أنت من ذلك أظهر، لو استقليت قائماً، وبسطت يديك لاستغنيت عن أن ترى الصليب في السبحة، حيث تجده في نفسك، وعليه فلزمك حينئذ أن تهدم وجودك، أو تكف بصرك عن شهودك حتى لا يقع على شبه صليب.

ثم أقول: وحتى لو أن الله ابتلاك بالقياس في مسألة السبحة، فلِمَ تقيسها على الصليب؟؟ وعلى ما تفعله الرهبان؟؟ ولا تقيسها على القلائد التي كان العرب يقلدون بها أنفسهم؟؟ وما يهدونه من الهدي عند قصدهم بيت الله الحرام، حتى لا يتعرض لجاعلها أحد بسوء، والقلائد هي عبارة عن حبل يضفر من سمار ونحوه، وقد مدحهم الله بذلك، وذكر لهم القلائد في مقابلة الامتنان، مع أنها كانت من سنن الجاهلية ابتداء، وقد اعتبرها الإسلام قال تعالى: ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ﴾ المائدة، قال ابن عطية رضي الله عنه في الآية: القلائد ما كان الناس يتقلدونه أمناً لهم إذا قصدوا الحج، فمدحه الله لهم في مقابلة الامتنان، وقال قتادة: كان الرجل في الجاهلية إذا خرج من بيته قاصداً الحج تقلد بقلادة من سمار، فلا يُتعرض له بسوء، وقال سعيد بن جبير: جعل الله تعالى هذه الأمور كالقلادة ونحوها للناس، وهم في الجاهلية لا يرجون جنة ولا يخافون ناراً، ثم شددها بالإسلام، أو ليس في هذا أن السبحة هي أشبه بالقلائد منها بالصليب؟ ولكنك لست ممن يلتمس المخارج، إنما تريد ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴿١١٥﴾﴾ التوبة.

ثم إنك قلت: ولا أظن أن أحداً من العلماء المهتدين يقول بجواز استعمالها لما ذكرنا فأقول: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ فصلت، أو ليس قد تقدم لكم ما نقل عن العلماء الأعلام من استعملها أو قال بجوازها وألف فيها كالجنيد وسحنون والشعراني والسنوسي والسيوطي وغير هذا ممن لا تحصى كثرته فضلاً عن أئمة التصوف، أو لم تكفك هاته العصابة في كونها حجة في الجواز؟؟ إلا أن تقول: ليسوا من العلماء المهتدين، وحاشا لله أن نعتقد في أسلافنا سواء، وهل هذه العصابة التي قلت فيها: وإنما استعملها بعض المتصوفة ليظهر على نفسه اثر العبادة فيعظمه الناس ـ كما تقدم ـ فيتوصل الى مقصودة وهو أخذ الأموال بالخيانة والتدجيل.

قلت: وفي الظن الغالب أنها لم تُبقِ دركةً في سوء الظن بالأمة المحمدية أسفل من هاتة العقيدة، عصمنا الله منها ومن معتقِدِها، لأن من كان معتقدا أن من تظاهر بالخير من الأمة المحمدية إنما ذلك ليتوصل إلى أخذ أموال الناس كما ذكرت، فلا يبعد عليه أن يندرج بهذا الوزن الساقط إلى الخلفاء الراشدين[٢١١].

---

(٢١١) أخرج أبو نُعَيم في المسند المستدرك على صحيح مسلم (٣/ ١١٢) عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب يقول: قد كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فأقول: أعطه من هو أفقر إليه مني حتى أعطاني مرة مالا فقلت: أعطه أفقر إليه مني فقال رسول الله ﷺ: خذه وما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك، وأخرج ابن أبي عاصم في الزهد (١/ ٢٧٤) عن مالك الداري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اخذ أربعماية دينار فجعلها في صرة فقال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم تلبث ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع، فذهب الغلام إليه وقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذا في بعض حاجتك قال: وصله الله ورحمه ثم قال: تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة وبهذه الخمسة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان حتى انفذها، فرجع الغلام إلى عمر فاخبره فوجده قد أعد

إن لم نقل إلى الأنبياء والمرسلين(٢١٢) عليهم صلوات الله، ولكن كل هذا بما وجدته في نفسك من الهذيان بالدنيا، فوزنت به على غيرك، فما رأيت إلا وصفك، لأن المؤمن مرآة أخيه، فإننا والله لقد عرفنا رجالاً يختارون الإقلال على كثرة المال، وإنهم يبذلون أكثر مما يأخذون، فلا جرم أنهم ممن قال فيهم عليه الصلاة والسلام: بهم تمطرون وبهم ترزقون(٢١٣) ثم إنك قلت: ثم إن منهم من يأخذ سبحة عظيمة العقدة

مثلها لمعاذ بن جبل فقال: اذهب بها إلى معاذ بن جبل وتلبث في البيت حتى تنظر ما يصنع، فذهب بها إلى معاذ بن جبل فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك فقال: رحمه الله ووصله تعالى، يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا، فاطلعت امرأة معاذ فقالت: والله نحن مساكين فأعطنا، ولم يبق في الخرقة إلا ديناران، فرمى بهما إليها، ورجع الغلام إلى عمر رضي الله عنه فأخبره فسر بذلك وقال: إنهم اخوة بعضهم من بعض رضي الله عنهم.

وهذا ثابت في سيرة أصحاب النبي ﷺ، والمتتبع لسيرتهم يجدها طافحة بذلك، فكان يهادي بعضهم بعضاً على سبيل المحبة، وكانوا يكثرون الصدقة، ويؤثرون على أنفسهم، وما سمعنا عن أحد منهم أنه ردّ عطاءً أو هدية أو صدقة، بل كانوا يقبلون كل ما أعطوا، فمن كانت له حاجة بالمال أنفق، ومن لم يكن له به حاجة تصدق به، ومنهم من كان يقبل الصدقة أو الهدية ثم يؤثر غيره بها، والوقائع الشاهدة على ذلك أكثر من أن تستقصى.

(٢١٢) والأنبياء كانوا يقبلون الهدية، فقد جاء في قصة إسلام سلمان الفارسي أن من علامة نبي آخر الزمان أنه يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة، فأراد أن يتحقق من هذه العلامة، فقدم على رسول الله ﷺ ومعه عذق من بلح، فأعطاه النبي عليه الصلاة والسلام وقال: هذه صدقة مني لك، فأمر النبي أصحابه أن يأكلوا ولم يأكل منها، فقال سلمان في نفسه: هذه واحدة، ثم غدا في اليوم التالي ومعه عذق من بلح فقال: إني رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية مني لك، فأكل منها عليه الصلاة والسلام، وأطعم أصحابه، فلم يرد النبي الصدقة التي جاء بها سلمان، ولكنه قبلها وتصدق بها على أصحابه، وفي اليوم التالي قبل الهدية وأكل منها وأطعم أصحابه، وقد قبل الهدية عليه الصلاة والسلام من اليهود، فهذه المرأة التي دست السم في ذراع الشاة في خيبر قدمت بها على النبي ﷺ، وقالت له: هذه هدية، فقبلها وأكل منها وأطعم أصحابه، وغير ذلك كثير، ومن ردّ الهدية فكأنما ردّها على الله تعالى، لأن الله هو المعطي، والعبد طريق لهذه العطية، فإن الله تعالى لا ينزل الرزق بيد ملك من الملائكة.

(٢١٣) وهؤلاء هم الأولياء، ومنهم من يسميهم الأبدال، قال في فيض القدير (٥/ ٣٠٠) لن تخلو الأرض من ثلاثين رجلاً مثل إبراهيم خليل الرحمن بهم تغاثون وبهم ترزقون وبهم تمطرون،

منها قدر العظمة، فإذا مات وضعت على تابوت قبره ليصطاد بها ورثته أموال الناس، فتكون خيراً لهم من هنشير جليل أو سواني من زيتون ونخيل، فإذا وفد عليهم الزائر، فإن كان من ذوي الهيئات استقبلوه بالتبجيل والتعظيم، وفتحوا له تلك القبة المزخرفة، وبعد أن يتم دعاءه يقدمون له السماط، وهو عبارة عن رغيف قدر الكف، أو قطعة منه، وهو من أفعال الرهبان، كما في تحفة الأديب في الرد على أهل الصليب، أو شربة ماء للبركة، وذلك كله على سبيل الخدعة، ليعطيهم المال للزيارة، وإن كان من الفقراء لم تفتح له تلك المصيدة إلى آخر ما ذكرته في الفصل، من المعاني السمجة والألفاظ الركيكة.

فأقول: إن الله سبحانه وتعالى سلطك على عرض أوليائه، فإنهم لم يخلصوا من شَرَكِكَ أمواتاً ولا أحياء، ألم يبلغك قوله عليه الصلاة السلام: اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم[٢١٤] وقوله أيضا: ارفعوا ألسنتكم عن المسلمين، وإذا مات منهم أحد فقولوا فيه خيرا[٢١٥] وقوله أيضا: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده[٢١٦] فما هاته البلوى التي ألزمتك تتبع عورات المسلمين أمواتاً وأحياء، ألم تعلم أن

وهؤلاء هم الأبدال كما سبق وفيه رد على من أنكر وجودهم كابن تيمية ومما يؤيد ذلك قول الشافعي في بعض أصحابه: كنا نعده من الأبدال، وقول البخاري في بعضهم كانوا لا يشكون أنه من الأبدال، لن تخلو الأرض من أربعين رجلا مثل خليل الرحمن فبهم تسقون وبهم تنصرون ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر وتمامه عند مخرجه الطبراني قال سعيد: سمعت قتادة يقول: لسنا نشك أن الحسن منهم، قال الهيثمي إسناده حسن.

(٢١٤) رواه ابن حبان في صحيحه (٧/ ٢٩٠) والحاكم في المستدرك (١/ ٥٤٢)والترمذي في سننه (٣/ ٣٣٩) وغيرهم بسند صحيح.

(٢١٥) رواه الديلمي في الفردوس (٥/ ٢٨٢).

(٢١٦) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٦٥) والبخاري (١/ ١٣)وابن خزيمة (١/ ٢٧٦) (٢/ ١١٧) وغيرهم بسند صحيح.

الشارع عرَّف معنى الغيبة المحرمة بالإجماع فقال: الغيبة هي ذكرك أخاك بما يكره[٢١٧] وعن أبي هريرة: ما كرهتَ أن تواجه به أخاك فهو غيبة[٢١٨] وقيل: إن الغيبة ذكرك أخاك بما فيه، فإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهتَّه، فمن أي قسم هذا يرحمك الله؟ أمن الغيبة هذه أم من البهتان؟ والحق أنهما معاً، فمنهم من اغتبتهم ومن من بهتهم ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ النور، ثم إنك بعدما استخففت بأحوال المسلمين واستسخرت بأبناء المؤمنين، وذكرت جملة من عيوب أبناء جنسك، يرضى بها الأجانب من غير المسلمين، والله لو سمعوها منك لتنال منهم الثناء الجميل، ثم ختمت الفصل بقولك: يا أخي؛

وخير أمور الدين ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع

فأقول: ما ذكرته في هذا الفصل من هتك أعراض المسلمين، وكشف عورات المتسبين، من أي قسم من أقسام السنة، أمن سنة رسول الله ؟ أم من سنة الخلفاء الراشدين المهديين؟ فأخبرني يرحمك الله، من هو في الصحابة والتابعين أباح أعراض المسلمين حتى اقتفيت أثره في نشر قبائح أهل الإسلام؟ وإني أسألك بالله إلا ما أخبرتني أي بدعة خالفت السنة والإجماع مما في هذا الفصل؟ أهي اتخاذ السبحة في الأيدي وحركتها كما ذكرت؟ فلا بد للعاقل وأن يقول: إن بعض الشر أهون من بعض،

---

(٢١٧) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٠١).

(٢١٨) قال في فيض القدير (٥/ ٤٦٣): أخرجه ابن صصري في أماليه الحديثية عن أبي هريرة مرفوعا: ما كرهت أن تواجه به أخاك في الإسلام فهو غيبة.

وأي شيء آلمك من أبناء المنتسبين إن كانوا يصلون ويصومون ويقرءون القرآن، وما هو من خصال الإسلام، أم هو ما يأخذونه من الهدية، فأردت أن تقول بتحريمه، فإن الشارع يقول بخلاف ذلك، فإنه قال: أحل الحلال العطاء بدون سؤال[٢١٩].

ألم تعلم أن حرمة الصالحين تتعدى لأبنائهم ولأبناء أبنائهم إن كانوا على آثارهم مسلمين، وبالأخص إذا كانوا من عترة النبي ﷺ وقرابته، على ما يتضمنه النص السماوي من لزوم مودتهم مودتهم ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ الشورى.

ألم يبلغك يا هذا أن موسى والخضر عليهما السلام خدما بأنفسهما من كان أبوهما صالحا، وأي منقبة أشرف منها لأبناء الصالحين؟ لا والله لا ينقصهما قولك ولا قول من هو على شاكلتك، ولكني أرجو من أبناء الصالحين أن يرثوا من آبائهم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴿٢١﴾﴾ الطور.

ثم إنك عقدت فصلاً قلت فيه: الفصل الثاني: ومن الضلالة التشبه بالكفار، وقد أخبر به ﷺ حيث قال: لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعا بذراع، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه[٢٢٠] إلى آخر ما استطردته من هذا القبيل، ثم إنك ذكرت جمله من البدع يتعين

---

[٢١٩] لم أجده بهذا اللفظ، ولكن في المسند المستخرج على صحيح مسلم (٣/ ١١٢) قال رسول الله ﷺ: إذا أعطيتَ شيئاً من غير أن تسأل فكل وتصدق.

[٢٢٠] رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٢٧٤) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٥٤) وغيرهما بسند صحيح.

الاحتراز منها، وما ذكرته حق ظاهر لا يخفى شعاعه عن الأعمى فضلا عن البصير، ولكن ظهر لي أن ما ذكرته هو مجرد توطئة لتحمل من بعده بما في وسعك على قبور الصلحاء وزوارهم كما سيظهر، إذ لو كنت بصدد محاربة عموم البدع لناقشت كل مبتدع على حدته، ولكني أرى محور صناعتك لا يدور إلا على ما ذكر، ولو كنت تتوقى التشبيه بالكفار لعقدت فصلاً فيما يتعين الاحتراز منه من الداء الحالي الملازم من عوائد الأجانب المتمكن سريانه من أبنائنا ونسائنا، لنتحفظ على السنن الإسلامية والأخلاق العربية، ولكنك أتيت بما لا طائل تحته في الغالب، إلا بما يقضي بالتنافر حسبما يظهر، ألا ترى أنك بعدما نقلت قول سيدي علي الأجهوري وهو قوله في تعظيم القبور حتى كاد العوام يعبدونها: قلت: "فلو كان في زماننا هذا لقال يعبدونها لا حتى كاد، فأفعالهم وأقوالهم صريحة في ذلك".

زيارة القبور

قلت: فيا لله العجب!! متى ارتدت أمه محمد حتى عَبدت القبور؟ وهلا وقفت عند قول الأجهوري وتركت مندوحة لك وللمسلمين؟ وحتى لو نقلت فيهم هاته الخصلة ـ وحاشا الله ـ لكان التعريض بها أبلغ من التصريح، فيا ما أشجعك!! فو الله لا يتجاسر المؤمن أن يرجم أحداً بالارتداد، فضلا عن أن يحققه ويحكم به على أمةٍ من خير العباد، لأن ما من أحد من أهل السنة إلا ويعظم صلحاء الأمة، ويتبرك بقبورهم ويلتجأ إلى جانبهم في المهمات، وليس قصده إلا أن يتشفع بهم لله عز وجل، ولما صرحت بما سبق خشيت أن العبارة لا

توافَق، بمعنى أنها لا تُفهم، كون أهل هذا الزمان مرتدين يعبدون القبور، أتيت بما هو كفيل بالتطابق قلت: "وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا ذلك للنبي ﷺ فقال: إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة[٢٢١] الحديث فقد اتبعهم أهل هذا الزمان في ذلك فهم شر الخلق والخليقة" فأقول: جزاك الله عن أمة احمد بما أنت أهله، فو الله لا يرضى رسول الله أن يسمع من يقول في أمته أنهم شر الخلق والخليقة، ألم يكفك تقبيح عوائدهم وتنقيص عقائدهم حتى جعلتهم في الدرك الأسفل من النار بالنسبة لعبّاد الأوثان، لأن الشارع غاية ما قال فيهم: أنهم شر، فقلت أنت في أبناء ملتك؛ أنهم شر الخلق والخليقة، وحتى لو قلنا: أن عموم الأمة المشبهين بما ذُكر، فهل المشبه يقوى قوة المشبه به؟ فإذا وقع الحكم على المشبَّه به من الشارع أنهم شر الخلق، فلا يلزم أن يكون المشبَّه شر الخلق مثله، فضلاً عن أن يكون شر الخلق والخليقة، ألم تعلم أن ما ذكره ﷺ هو على سبيل التحذير لأمته؟؟

﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۝١٦﴾ الزمر، وإلا فهو عليه الصلاة والسلام في ثقة من يقين أمته من أنه لا يتزلزل، وكيف لا وهو يشهد لهم بذلك حسبما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما أعطيت أمة من اليقين أفضل مما أعطيت أمتي[٢٢٢] وعنه أيضا أنه قال: قال

---

[٢٢١] رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦٥) ومسلم (١/ ٣٧٥).

[٢٢٢] جامع الأحاديث السيوطي (١٨/ ٤٢٣)، جمع الجوامع للسيوطي (١/ ٢٠٥٩٤)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال المتقي الهندي (١٢ / ١٦٢).

رسول الله ﷺ: ما من أمة إلا بعضها في النار وبعضها في الجنة إلا أمتي فإنها كلها في الجنة، نقلهما في الجامع الصغير[٢٢٣].

فأين شهادتك لهذه الأمة من شهادته لها عليه الصلاة والسلام وما أثبته لها من اليقين، فهل تظن أنه يتغير بتعظيم الصالحين؟؟ مع أن تعظيمهم لهم ليس هو إلا لله، نعم ثم أفراد تجاوزوا في التعظيم عن المعتاد، وكيفما كان لم يبلغ بهم ما وصفتهم به، أو ليس لك مسلك غير هذا تسلكه في التذكير والوعظ، حتى سلكت هذا المسلك المتوحش الذي لا طائل تحته؟؟ إلا ما ينبئ عن سوء العقيدة، ألم يبلغك قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴿١٢٥﴾﴾ النحل، فمن أي قسم هذا؟ أمن الحكمة؟ أم من الموعظة الحسنة؟ وحتى لو قلنا أنك درجت في هذا على مذهب الوهبية[٢٢٤]

---

[٢٢٣] المعجم الكبير الطبراني (١١/ ١٠٤)، جمع الجوامع للسيوطي (١/ ٢١١٦٤) حرف الميم.

[٢٢٤] فرقة الوهبية أو الوهابية: هم أتباع محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي، المولود سنة ١١١١هـ تقريباً، نشأت في نجد، حيث كان يقيم مؤسسها، أخذ بمذهب ابن تيمية فأحيا كتبه المندرسة، وادعى أنه يريد أن يخلص الناس من الشرك الذي لحق بالأمة، فأبطل زيارة القبور، وهدم الأضرحة والقباب التي بنيت على قبور الصالحين، وأبطل التوسل والاستغاثة بالأنبياء والصالحين، واعتبر كل من لم يتبعه في دعوته مشركا حلال الدم، حتى أنه قتل الرضيع في حجر أمه، فلما قويت شوكته بدأ بقتل المسلمين في المساجد بدعوى الشرك، ولما دخلوا المدينة المنورة استباحوها، وانتهبوا ما في الحجرة الشريفة من النفائس والجواهر، والتي قدرت في ذلك الوقت بمليوني دينار، وكذلك فعلوا بالكعبة، فقتلوا ما مجموعه (٢) مليون في الجزيرة العربية وحدها، وشردوا (٢,٥) مليون الى البلاد المجاورة.

ولما اشتد خطر هذه الحركة قام محمد علي باشا والي مصر من قبل العثمانيين بتجهيز حملة للقضاء عليهم، ثم بعث بأخرى وولى عليها ولده ابراهيم، وزوده بالبارود والأسلحة الثقيلة، فتتبعهم وقضى عليهم عسكريا، ولكنهم سرعان ما قاموا وذلك بالتعاون مع الإنجليز، فزودهم بالأسلحة وقاموا بالقتل مرة أخرى، وبقي الأمر حتى قامت المملكة عام (١٩٤٦) ولكنهم

القائلين بمنع الزيارة مطلقاً فتحتاج إلى أسلوب ألطف من هذا لبث العقيدة في قلوب المتمكنين بما يناقضها، إلا أن الأمة أبعد من أن تتجرع مرارة تلك العقيدة في كاس واحد ثم قلت: ولنرجع إلى الكلام على الزيارة، فأما المرأة فلا يجوز خروجها للزيارة اتفاقاً كما هو معلوم في كتب الفقه، وقد قال عليه الصلاة والسلام: لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد(٢٢٥) الحديث، وأما الرجل فإن قويت عقيدته بالإيمان، ويعلم علماً يقيناً أن المعطي والمانع هو الله، وأن النفع والضر لا يكون إلا منه سبحانه وتعالى، وليس في المحل مانع شرعي كالنساء، وبسط الحرير وراياته، وأواني الفضة والتماثيل، جازت له الزيارة وإلا يكون الأمر كذلك حرمت، وعلى كل حال فالبعد أحوط لضعف الإيمان في هذا الزمان، فإذا أراد الإنسان أن يسأل الله سبحانه وتعالى شيئاً في أي مكان وفي أي زمان كان فالمدار على النية وإظهار العبودية.

فأقول: إن ما ذكرت في هذه الجملة مما يتعلق بأحكام الزيارة فقد أصبت وأصبت، وخطئت خطئاً فاحشاً يأتيك نبؤه بعد حين.

أما الصواب في هاتة الجملة فهو قولك بجواز الزيارة إن لم يكن مانعاً شرعيا، وأما الخطأ فيتخرج من ذكر الموانع حيث ذكرت من جملتها بسط الحرير وراياته وأواني الفضة كأنك تقول: مهما وجدت هاتة الأمور في ضريح حرمت زيارته، فإن كان لازم القول يعد قولاً فأنت تقول

أخذوا شكلا آخر وهو الغزو الفكري، فأنشاوا مراكز لهم سموها المراكز الإسلامية، وأمدوها بالمال، واستأجروا لها العملاء الذين اعتنقوا مذهبهم، وانتشروا انتشارا كبيرا، حتى عمت دعوتهم الآن غالب البلاد الإسلامية، وبلاد الكفر كذلك لينشروا أفكارهم بين الأقليات المسلمة هناك.

(٢٢٥) رواه ابن حبان في صحيحه (٧/ ٤٥٢).

بتحريم زيارة بيت الله الحرام وقبر المصطفى عليه الصلاة والسلام، لأن في الحرمين الشريفين يوجد من النوعين مالا عين رأت ولا أذن سمعت، ألم تعلم أن ستائر الكعبة من خالص الحرير، وفي الحرمين من أواني الذهب والفضة ما لا يحتمل التقدير، فإن كان ما ذكر من الموانع الشرعية فقد أسقطت الحج عن الأمة المحمدية، إني أقول: ما كان كالحرير حرم استعماله على الذكر ولم يمنعه الشارع من رؤيته كأن يكون زينته على حائط أو ستار كعبة مثلا، وحتى إذا كان المانع متعلقاً بشيء من ذلك يكون راجعاً لمن اتخذه لا لمن نظره، وهذا ما كنت نعلمه من الشرع قبل أن يطلعني الله على معلوماتك.

ثم إنك بعد ما قررت إباحة زيارته بالشروط التي قررتها قلت: وعلى كل حال فالبعد أحوط لضعف الإيمان في هذا الزمان، فإذا أراد الإنسان أن يسأل الله تعالى شيئاً سأله في أي زمان وفي أي مكان كان، فالمدار على النية وإظهار العبودية فأقول: إن الاستثناء هنا غير لائق، لأن الشروط التي قررتها إن وجدت، كانت الزيارة مندوباً إليها لوجود الأمر حسبما تشهد له الآثار، وإن عدمت الشروط يتعين المنع كما ذكرتم، إني حتى الآن أقول: البعد أحوط لاحتمال اختلاط النساء بالرجال، وإن اعتقد لنفسه السلامة وقليل ما هم، وأحرى لمن لا يعتقدها من نفسه، ومن هنا يتعين على ولاة الأمور إن أباحوا زيارة النساء يقيدونها بيوم مخصوص وأجرهم على الله، ثم إنك أتيت بقاعدة من أهم قواعد الدين كافلة بالجمع بين المتنازعين، وما فاتك منها إلا أن تستصحبها في جميع ما قررته من استنقادك على المتسبين وهي قولك: فالمدار على النية، فلزمك بهذا الاعتراف أن لا تشوه أي مقصد من المقاصد، لاحتمال أن تكون نية

صاحبة صالحة خالصة لله عز وجل حسبما ورد في الصحيح: إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله الحديث[٢٢٦] وورد من حديث أبى هريرة رضي الله عنه: تحشر الناس على نياتهم[٢٢٧] وبهذه القاعدة يتضح لنا وجه المسألة في هذه الأمور الاجتهادية والمسائل الخلافية، إذ ما من مؤمن إلا ويجتهد جهده فيما يقربه إلى الله عز وجل، والمدار على النية كما ذكر، ثم إنك ذكرت في هذا الفصل عدة أحاديث تتضمن خالص التوحيد لله كقوله عليه الصلاة والسلام: إذا سألت فاسأل وإذا استعنت فاستعن بالله[٢٢٨] فهذا ونحوه مما يدور عليه محور التصوف، إنني لا أرى من هو أشد محافظة على خالص التوحيد من القوم رضوان الله عليهم، ومصنفاتهم أعدل شاهد، ومن لم يتغلغل في علومهم لم يخلص تماماً مما يشيب الاعتقاد، ولهذا قال إمام هذه الطائفة أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصراً على الكبائر[٢٢٩] ثم إنك ذكرت وجه العلة في منعه عليه الصلاة والسلام لزيارة القبور في صدر الإسلام قلت: فقال بعض العلماء: إن النبي ﷺ كان نهى عن زيارة القبور في أول الإسلام حيث كانت الجاهلية تعظم القبور، وربما عبدوها فحصن عقائد المؤمنين بالنهي، فلما استقر الأمر أباح الزيارة.

---

(٢٢٦) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٣) وابن حبان في صحيحه (٢/ ١١٣) وغيرهما بسند صحيح.

(٢٢٧) صحيح البخاري (٢/ ٦٧٢) وغيره بسند صحيح.

(٢٢٨) رواه ابن حبان في صحيحه (١٥/ ١٦٦) والترمذي في سننه (٤/ ٦٦٧).

(٢٢٩) والمعنى أن المسلم إذا لم يعمل على جهاد نفسه بإخراجها عن مألوفاتها من الخصال الذميمة كالحسد والحقد والكبر والعجب وحب الجاه والأنانية وغير ذلك مما حذر منه الشارع بقي في هذه المعاصي ولو عاش ردحاً من الزمن، ومن كان هذا وصفه لا يرجى له توبة من هذه المهلكات، فيموت يوم يموت وهو مصر عليها دون أن يعلم.

قلت: وهذا مما يحتمل، وقد ظهر لي احتمال آخر وهو؛ أنه عليه الصلاة والسلام منع زيارة القبور في صدر الإسلام حيث لم يكن فيهم من يستحق الزيارة من أمة المشركين، ولما غصت القبور بأمة الإسلام وشهدائهم أذن في التبرك بتربتهم والوقوف على ضرائحهم تبصرة وتذكرة والله اعلم.

وبعد هذا أخذت في تقرير حكم جديد قلت: وحيث عم الجهل ولم يبق للعلم إلا الاسم، وضعف الإيمان باعتقاد أن الشيخ الـمُزار يضر وينفع، حرمت الزيارة على العامة، فإن العلة تدور مع المعلول وجوداً وعدماً، مع ما ينضاف إلى ذلك من اجتماع الذكور بالإناث والغلمان، وكثيراً ما يكون هو المقصود أقول: وهذا إعلان منكم لجواز تغيير الحكم من الندب إلى المنع وما أشبه ذلك، وهذه ذريعة يخشى منها أن يصير دين الله عرضة في أيدي المتلاعبين، يبدلون الحكم متى ظهرت لهم شبهة بنفي العلة أو بوجودها، ويشهدك الله أن الصوفية التي نقلت من أفعالهم هل قالوا بتحليل المحرم أو بتحريم الحلال؟ نعم يقولون؛ لكن لما هو أهون من ذلك كقولهم بجواز الاجتماع على ذكر الله، والجهر بلا إله إلا الله، وما هو من القبيل، فجعلت أن ما هم عليه من أقسام البدعة الضالة، والحق أن ما قررتموه في هاته النازلة هو أولى بأن يسمى بدعة، وأما تعليلكم منع الزيارة من كون اعتقاد العامة في الشيخ الـمُزار يعطي ويمنع وما هو من هذا القبيل، فقد ذكرتم هذا أولاً في الموانع، وإني لا أظن أن يوجد مثل هذا في سائر العموم فرداً فردا، إنما يعتقد عوام المسلمين بوجود الوسائط بينهم وبين الله عز وجل، يلتجئون إليهم في المهمات، لأنهم لم يبلغوا إلى الدرجة التي تنحذف فيها الوسائط حسبما بلغتها أنت في زعمك، فلهذا

لا يتوسلون إلا بما هو أقرب إلى الله منهم، وأما قولك مع ما ينضاف إلى ذلك من اجتماع الذكور بالإناث، فحقك أن تجعله السبب الواحد في منع الزيارة، لكن لا مطلقاً، إنما بقيد الاجتماع، وأنه أضر شيء يحتاج إلى التنبيه عليه، لأن اجتماع الذكور بالإناث لا تخفى مضرته، فلا تسلم مخالطة النساء بالخصوص فضلاً عن العموم، ثم استدليت على عدم الانتفاع بالزيارة بقول ابن عربي الحاتمي حيث قال: إن الميت لا ينفع لأن النفع عمل، وعمله قد انقطع، فاتضح من هذا أن نهيكم عن الزيارة ليس هو لعدم توفر شروطها، إنما هو لاعتقادكم عدم الانتفاع بالميت البتة، وإلا لما استشهدتم بقول ابن عربي، إني لا أقول بالخطأ في قوله، إنما أقول بالخطأ في الفهم بمراد ابن عربي، إن الميت لا يُنتفع به من جهة ما يتعلق بتربية المريد وسيره في طريق الله، من أجل أنه يُشترَط في صحبة المرشد أن يكون عارفاً بالمسالك، وقيد الحياة شرط في الصحبة، وهذا النفع لا يتأتى إلا بصحبة الحي، وأما الانتفاع الذي هو عبارة عن التوسط والتشفع لله سبحانه وتعالى بخاصة خلقه، والتبرك بأعتابهم فهو من مقررات الشرع، بل أذن لنا الشارع أن نتبرك ونتوسل لله عز وجل بما لا حياة فيه البتة كالحجر الأسود والبيت الحرام، وما هو من هذا القبيل، فضلاً عن أن يمنعنا من أن نتوسل أو نتبرك بما هو كالأرواح الطاهرة والأجسام النيرة، إني أحذرك الله من أن تحمل قول ابن عربي على إطلاقه من عدم الانتفاع بكل ميت من جهة التوسل به والتبرك بتربته، لأنه يشمل عموم من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ألا ترى أنه تعالى أنزل على ذروة ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ الزمر، وهكذا تراني أجدك تطلق القول بدون ما تعتبر لازمه، ولكن قولك هذا لا

متسع له في أفكار أهل السنة، لأن الخلف لم يزل يعتبر السلف ويتبرك بتربته ويتوسل بجنابه، إلا إذا لم يبق على وجه الأرض من يقول الله الله[٢٣٠] كما جاء في الحديث، وعلى كل حال رأيتك قمت بواجب مقامك، فإنك بعدما بالغت في التشنيع على المتسيين والتحذير من صحبتهم، وبرهنت على أنه لا نفع في ملاقاتهم أحياء، فخشيت ما ربما يتوهم من أنه قد ينتفع بزيارتهم أمواتا قلت: قال ابن عربي: إن الميت لا ينفع، فاتضح حينئذ من خلاصة ما جمعتموه؛ إنه لا نفع فيهم أحياء وأمواتا[٢٣١] وهذا ما حكمت به، والله يحكم فيما وراء ذلك، ثم إنك ذكرت من البدع المحرمة "حلق اللحية أو جزها للبشرة وترك شعر الشارب" فإني أقول: أما ما ذكرته من حلق اللحية حقه أن يسمى بدعة، لأنه زاحم سنة مأثورة، وهو سدل اللحية وقص الشارب لأمره عليه الصلاة والسلام في غير ما حديث[٢٣٢] وان الفاعل لذلك إن كان متفقهاً يعلم من

---

(٢٣٠) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٣١).

(٢٣١) هذه المسئلة من المسائل التي تثبت بأن عقيدة هذه الطائفة مستقاة من التوراة، وأنهم هم المقصودون بالحديث الذي أسلفنا الكلام عليه من أن آخر هذه الطائفة يكون مع الدجال، فإن انعدام النفس البشرية هي من عقائد أهل الكتاب، هكذا جاء في كتبهم، فقد جاء في التوراة سفر جامعة ٩: ٤ "لكل الأحياء يوجد رجاء . فإن الكلب الحي خير من الأسد الميت، لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون، أما الموتى فلا يعلمون شيئا وليس لهم أجر لأن ذكرهم نسي، وهذا عين ما تعتقده هذه الطائفة.

(٢٣٢) منها ما رواه ابن النجار في تاريخه عن ابن عباس قال: قدم على رسول الله ﷺ وفد من العجم قد حلقوا لحاهم وتركوا شواربهم فقال رسول الله ﷺ: خالفوا عليهم فحفوا الشوارب واعفوا اللحى، وأخرج ابن سعد عن عيد الله بن عبد قال جاء مجوسي إلى رسول الله ﷺ قد أعفى شاربه وأحفى لحيته فقال له: من أمرك بهذا قال ربي، قال لكن ربي أمرني أن أحفي شاربي وأعفي لحيتي، وأخرج أبو القاسم بن بشر في أماليه عن أبي هريرة قال: دخل على رسول الله ﷺ مجوسي قد حلق لحيته وأعفى شاربه فقال رسول الله ﷺ: ويحك من أمرك بهذا؟ قال: أمرني به كسرى قال: لكن أمرني ربي عز وجل أن أعفي لحيتي وان احفي شاربي وأخرج مسلم في

نفسه أنه مرتكب بدعة لأنه لا نص في يده يعتمده، إني أتمنى على الله أن تتنبه فقهاؤنا لمثل ذلك، لأنه إن كان فعل ذلك من العموم شنيعا فهو من الخصوص أشنع، ثم إني رأيتك تغفلت عن ذكر كون النفة[٢٣٣] المستعملة الشائعة في زماننا من البدع، وفي ظني أنه ما منعك من التنصيص عليها إلا لكونك جعلتها مما استحسن، أو وجدت لها مستنداً في السنة، وحاشا لله، وإلا لشنعت على فاعلها بأبلغ تشنيع، وقصدته بكل قول وجيع، ولعله يكون ذلك إن طال العمر ـ إن شاء الله ـ بعدما تتحقق إنها بدعة مذمومة، لأني رأيتك محافظاً على السنة، مستدلاً بقوله عليه الصلاة والسلام: فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ[٢٣٤] ولكني لم أدر أن ما أطلقت به لسانك في تمزيق أعراض المتسبين وتتبع عوراتهم، أهو من سنته عليه الصلاة والسلام؟ أم من سنة الخلفاء الراشدين؟ وحاشا لله!! قال تعالى تنفيراً للمؤمنين من أن يذكر أحدهم أخاه بسوء ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴿١٢﴾ ﴾ الحجرات، (أن يأكل لحم أخيه ميتا فكفرتموه) ولكن سولت لك نفسك، أو تقول: أوحى إليك

صحيحه (١/ ٢٢٣): عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: عشر من الفطرة قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء قال زكريا قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة، وأخرج مسلم في صحيحه (١/ ٢٢٢): عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: جزوا الشوارب وأرخوا اللحى خالفوا المجوس، وأخرج أبو نعيم في المسند المستخرج على صحيح مسلم (١/ ٣١٦): عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: احفوا الشوارب واعفوا اللحى. والأحاديث في ذلك كثيرة امتلأت بها كتب السنة.

(٢٣٣) لم يظهر لي معناها.

(٢٣٤) رواه ابن حبان في صحيحه (١/ ١٧٩) والحاكم في المستدرك (١/ ١٧٤) وغيرهما بسند صحيح.

شيطانك[٢٣٥] أن ترتكب هذه الرذيلة بدعوى أنك تيقظ الناس وتحذرهم من أن يغتروا بالمتسببين، لأن الله أطلعك على بواطنهم، فوجدتهم على خلاف ما أظهروه، وحتى لو قلنا بتمكن هاته العقيدة في قلب من يتخذك مذهبا، فلم تكن نتيجتها أكثر من سوء الظن بمن ينتسب إلى الله، أو تظاهر بالصلاح كائناً من كان، حتى إذا استكملت خصاله في هذه الدرجة الخسيسة في الخلف، فلا يبعد أن يجمح به معتقده إلى السلف، ومن المعلوم أنه لو كان في عصر النبيين والمرسلين لم يزد مشهده فيهم على مشهده في الصالحين من أهل زمانه، ولا يبعد ان يكون ممن قال في رسول زمانه إن هم إلا يكذبون أو نحو ذلك[٢٣٦] وإني أحمد الله لكم حيث فاتكم عصر المرسلين، وإذاً لكنتم من الخاسرين، ثم إنك بعدما لوّحت وصرحت ونوّهت ووضحت، والمرمى في جميع ذلك متحد في النهي من أن يكون الإنسان من المتسببين، أو يصحبهم أحياء، أو يزورهم أمواتا، وبعدما استفرغت جهدك بأبلغ تحذير ذكرت الآن فصلا تحذر فيه مما ربما الإنسان يتشبه بهم قلت: الفصل الثالث في التشبه بالصالحين وهو

---

[٢٣٥] وذلك أخذاً من قوله تعالى ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ الأنعام، فمن استبدل السنة بالبدعة استحوذ عليه الشيطان، فوسوس له بالبدعة، وأخذ يستدرجه شيئاً فشيئا حتى يوقعه في المهالك، وأي هلكة أشد من معاداة أولياء الله تعالى!!؟ وأي مقت أبلغ من الوقوع في أعراض المسلمين؟؟!!

[٢٣٦] يقصد الشيخ رحمه الله أن الرجل الذي بلغه النص القرآني أو الحديث عن النبي ﷺ في حكم معين ثم تغافل عنه وأخذ يتأول فيه ليخرجه عن المقصد الشرعي الذي أجمعت عليه الأمة، ثم أخذ بمعاداة أولياء الله، والانتقاص من العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، إنما مثاله كمن بعث في زمنه نبي فإنه لن يؤمن به إما تكذيباً أو عناداً لأن المشهد في الحالتين واحد، وهذا حال هذا المنكر الذي صنف من أجله هذا الكتاب ومن هم على شاكلته من أهل نحلته، فقد بلغهم الأحاديث الصحيحة التي تنص على حكم معين ثم تراهم يخالفونها بصرفها عن مقاصدها، ويخالفون أهل السنة وجماعة المسلمين إلى ما يوحي إليهم شياطينهم من الإنس والجن، وقد ناقشت بعضهم في مسألة معينة وأتيت له بالدليل من صحيح البخاري فقال: إني لا آخذ برأيك في هذه المسألة لأني على مذهب لا أغيره.

من الضلالات، وحتى إلى الآن لم أفهم معنى هذا التركيب، غير أني أعترف بأنه أسلوب غريب، حيث ذكرت أولاً فصلاً بالتشبه بالكافرين وهو من الضلالات، ذكرت الآن فصلاً في التشبه بالصالحين وإنه من الضلالات، ويا لله العجب!!! ما هاته الضلالة التي أحاطت بالمسلمين؟؟ والذي كان في علمنا وجاء به الخبر عن نبينا أن؛ من تشبه بقوم فهو منهم[٢٣٧] وإن لم يبلغ درجاتهم ولهذا قال قائلهم:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبه بالكرام فلاح

فيا ليت شعريَ ما هو فعل السنة المأمور به إن لم يكن عبارة عن التشبه بالسلف في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، ولعل الذي منعك عن إصابة المعنى في اللفظ هو سوء التعبير، فربما أردت أن تقول: إن التظاهر بالصلاح مع خبث الطوية هو من الضلالات، ففاتك حسن السبك كما فاتك حسن الظن، وإلا كون التشبه بالصالحين هو من الضلالات لم يقل به غيرك.

وأما ما نقلته من قول صاحب المدخل حسبما سيأتي فهو غير مطابق، لما ترجمته في الفصل ولا مطابق لمعتقدك في مذهب التصوف، لأنك تشوهه من أصله، وصاحب المدخل بخلاف ذلك، إنما يعتبره كل الاعتبار، وإنكاره متعلق بما ينسب لذلك، وربما هو على خلافه في نفس الأمر، أو ليس قد عقد فصلاً قبل الفصل الذي نقلت منه يقول في ترجمته: أُعلم أن طريقة القوم نظيفة وكل شيء يدنس النظيفَ ومن هذا

---

(٢٣٧) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٤٤) وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٤٧١) وغيرهما بإسناد رجاله ثقات إلا واحداً.

يستفاد أنه يجل مذهب التصوف كل الإجلال، إنما ينفيه على من لا تتوفر فيه شروطه من أهل زمانه على ما تقتضيه المعاصرة، ولا يبعد أن يكون المتداخل والمبتدع في كل زمان، وكل هذا يستفاد من قوله: ومنهم، ومنهم إلى آخر ما ذكر من الأحوال التي كان يعتبرها مجرد التمويه، والذي يفيدنا أنه مقر بأهل السنة هو قوله رضي الله عنه بعد كلام: "أنه لا يظن الظان أن ما تقدم ذكره فيه إنكار لأخذ العهد من أهله لأهله بشرطه المعتبر عندهم، إذ أنه درج عليه السلف الصالح، نفعنا الله بهم، ثم قال: "ولا أنكر أيضا الانتماء إلى المشائخ بشرطه"[٢٣٨] وقال بعد ذكر جملة من أخلاق أهل التصوف: "فهذه كانت أحوالهم وسيرتهم الحسنة وهم قدوة لمن يتمسك بطريقتهم، أسأل الله أن لا يخالف بنا عن حالهم" وهذا بعض ما اشتمل عليه المدخل مما فيه دلالة على اعتناء صاحبه بمذهب التصوف كغيره من العلماء الأعلام وبراءته مما نسبته إليه، ولكنك خنته، حيث نقلتَ عنه ما يغير بانفراده، حيث قد يتوهم من لا خبرة له من أن صاحب المدخل هو على معتقدك في تشويه مذهب التصوف، لولا أن كتابه يشهد عليه، ومثلك معه مثل ما روي عن أبي الدرداء حيث قال: قال رسول الله ﷺ: مثل الذي يجلس يسمع الحكمة ولا يحدث عن صاحبه إلا شر ما يسمع، كمثل رجل أتى راعياً فقال يا راعي أبزرني بشاة من غنمك، قال اذهب فخذ بأذن خيارها شاة فأخذ بأذن كلب الغنم[٢٣٩] اهـ وفي هذا الحديث أبلغ تشبيه بما فعلته مع صاحب المدخل وغيره ممن نقلتَ عنه.

---

[٢٣٨] المدخل (٣/٢٠٨) باب حقيقة أخذ العهد.

[٢٣٩] رواه الكناني في مصباح الزجاجة (٤/٢٢٨) وابن ماجة في سننه (٢/١٣٩٦) عن أبي هريرة، وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، وبقية رجاله ثقات.

وأما ما ذكرته من قول الطرطوشي وغيره ليس هو عين معتقده في القوم حسبما يفهم من فصوله المنقولة وغيرها، وهذا هو الفصل الذي اعتمدته قلت: قال في المدخل: (فصل) في ذكر المتشبهين بالمشائخ وأهل الإرادة وهذا باب متسع متشعب قل أن تنحصر مفاسده لكثرته، لكن نشير إلى شيء منه، فمن ذلك؛ أن من الناس من يدعي الصلاح والدين، وأنه من أهل الوصول، ويأتي بحكايات من تقدم من الأكابر ويطرز بها كلامه، وهو مع ذلك يشير إلى نفسه بلسان حاله، وأن عنده من ذلك طرفاً، ومنهم من يشير إلى نفسه بالكرامات وخرق العادة وهو عري عنها بالاتصاف بضدها، ومنهم من يدعي رؤية الخضر ويؤكد ذلك باليمين ليكون أدعى للقبول منه، ومنهم من إذا أراد أن يلقي شيئاً مما يخطر له والتمويه على العامة ليعتقدوا كلامه، وأنه من الصالحين قدّم قبله الاستشهاد بكتاب الله فيقول: قال الله تعالى ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۝٦٠﴾ الزمر، ويحلف عند ذلك وأنه رأى ورأى وأنه خوطب في سره قلت: وإني لا أنكر وجود المموّه بين أفراد الصالحين، سنة الله في خلقه، فقد ادعى الناس النبوة، وكل ذلك لا نزاع فيه، إنما النزاع في إنكاركم مذهب التصوف، وتنقيصكم وتبديعكم أحزاب الذاكرين على إختلاف طبقاتهم.

وما ذكره صاحب المدخل فهو على احتمال وما يدريك ويدريه أن يكون وجود المخلص بين أفراد المشار إليهم؟ والحالة إن الغيب لله، وقد قال عليه الصلاة والسلام: إن الله أخفى ثلاثاً في ثلاث[240]

---

(240) لم أقف عليه في حديث النبي ﷺ، والأرجح أنه من كلام (ذو النون المصري) فقد ذكر البيهقي في الزهد الكبير (٢/ ٢٧٢) عن أبي الحسن يحيى بن الحسين القاهري قال: قدمت مصر، فجئت إلى حلقة ذي النون فرآني رفي استظهار على الحاضرين، فقال لي: «لا تفعل فإن الله تعالى

وذكر من ذلك إخفاء الولي في خلقه، ومن أجل هذا كان حسن الظن من أهم خصال الدين، قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في مننه: ومما منَّ الله به عليَّ تعظيم كل من رأيت عليه زي الصوفية، وعلامتهم التي يتظاهرون بها، ولكن هذا ونحوه يتصور ممن يعتقد وجود الصلاح في المنتسبين إلى الله عز وجل لا فيمن ينتزع الخير من الأمة عموما.

ثم إنك قلت: "وقد ادعى رجل جميع ما مر بل أزيد منه مما يطول ذكره وقد اغتر به بعض ضعاف العقول وممن ينتسب إلى العلم، ويزعم انه على حال كمال، ففضح الله جميعهم ليكونوا عبرة للمعتبرين".

قلت: فلم نجدك إلا متهوراً في كل ما نقلته، فإما نسبة الفضيحة لمن ادعى ذلك فصحيحة إن وقعت حسبما ذكرت، وإما نسبتها لمن اعتقده فلا، لأنه انخدع بالله، قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: من خادعنا في الله انخدعنا له[٢٤١] نعم صاحب سوء الظن لا ينخدع لمبطل، كما أنه لا يربح من الحق، لكنه انخدع لكبير المبطلين وهو الشيطان، حيث أساء له ظنه في الذاكرين، ولم يعلم أن علامة محبته محبة ذكره، وعلامة محبة ذكره محبة الذاكرين.

ألم تعلم يا هذا أن الذكر يشهد لصاحبه بالإيمان على كل حال، والاعتراض على الذاكر يشهد لصاحبه بالنفاق على كل حال؟ ولكن لم ندر أي ذنب ارتكبته من الخوض في أعراض الذاكرين.

ثم إنك أخذت تلصق بجانب أهل التصوف كل ما هو خارج عن مذهبهم فقلت نقلا عن صاحب المدخل: "ومنهم من يدخل النار على

اخفى ثلاثا في ثلاث: اخفى غضبه في معصيته، واخفى رضاه في طاعته، واخفى ولايته في عباده، فلا تحقرن شيئا من معاصيه فلعله أن يكون فيه غضبه، ولا تحقرن شيئا من طاعته فلعله يكون فيه رضاؤه، ولا تحقرن أحدا من خلق الله فلعله ان يكون وليا من أوليائه.

(٢٤١) من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه، انظر فيض القدير(٦/ ٢٥٤) صفة الصفوة(١/ ٥٦٩).

زعمه ولا يحترق بمرأى من الناس، وذلك أنه لو كان صحيحاً لكان بدعة ومنكرا، إذ من شرط المعجزة إظهارها والتحدي بها، والكرامة عكس ذلك، فإذا أظهرها للناس فقد خرجت عن باب الكرامة قالوا: اللهم إلا أن تقع ضرورة شرعية محوجة إلى إظهارها، ومنهم من يظهر الكرامات بإمساك الثعابين والأنس بها، وهذا فيه ما فيه من مخالفة الشرع الشريف والتمويه على الأمة بما لا حقيقة له، إذ أن مثل ذلك يفعله كثير من الناس لمعيشتهم فكيف يعد كرامة؟؟ ومنهم من يأكل الثعابين وهي حية وذلك محرم، لأن أكلها لا يجوز إلا بذكاة عند من يرى جواز أكلها، وإن ذلك من غير حقيقة فهو من باب الشعوذة والسحر، وهو حرام بالإجماع، فكيف يكون ولياً؟؟ ومع ذلك يرتكب المحرمات، ومنهم من لا يأخذ شيئاً من بدنه وذلك قبيح شنيع لأنه يشبه فعل الرهبان، وفيه المثلى والاستقذار وهو منهي عنه، ومنهم من يلبس الليف والأشياء التي لا تستر العورة.

قلت: وفي ظني أن ما أجملته في هذا الفصل ليس لك فيه غرض إلا التشويه بأعراض الصوفية والتقبيح لأخلاقهم، وتريد أن تقرر ما نقلته في ذهن القارئ أنه من أخلاقهم، وحاشا لله أن يعتقد المتطلع على أصول الطريق العالم بأحكامها أن ذلك من مشروعية المتصوفة أو من معتمداتها، ومؤلفاتهم أعدل شاهد إن قالوا بذلك أو أمروا به، ومن اخترع شيئاً تحمل عليه عقوبته، ولن يزال مذهب التصوف شمسا لا تنكسف، وبدراً لا ينخسف ما دامت السنة مأثورة، والشريعة منصورة، والشرع حاكم على المتصوفة وغيرهم، ثم أقول: إن الصوفية أعلم بدين الله منك وممن هو على شاكلتك، إن لم أقل أعلم عباد الله بالله وبأحكامه، وسيزول الالتباس في يوم مجموعٍ له الناس.

المرقّعة:

وبعدما انتهى ما قصدتهم به على سبيل التعريض، استصوبت مقالة وقلت من عندك: "ومنهم من يلبس المرقعة التي كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى عن لبسها، المعروفة عندنا بالدربالة، حتى أن بعض العامة يسمون أبناءهم بودربالة، معناه صالح وهو من الألقاب القبيحة في الشرع" فأقول: إنه من طبعك نفي الشيء وإثباته بمحض الرأي بدون مبالاة بحكم الله فيه، كما ذكرت هنا في النهي عن لباس المرقعة، ونسبت ذلك للسيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والذي شاع عنه خلافه، وأنه اتخذها هو في نفسه، وبذلك تواترت الأخبار من عدة طرق منها؛ ما روي عن أنس بن مالك أنه قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف بالبيت وعليه جبة من صوف، فيها اثنتا عشرة رقعة، واحدة منها من الأديم أي جلد أحمر[٢٤٢] وما ذكرته من نهيه عن لباس المرقعة مما يُستبعَد حيث ثبت عنه اتخاذها في نفسه، وهل يصح أن ينهى عن خُلُق ويأتي بمثله؟؟ وبالأخص إذا كان أذن الشارع فيه لما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لعائشة: إن أردتِ اللحوقَ بي لا تنزعين ثوباً حتى ترقعيه[٢٤٣] وغير هذا مما هو من هذا القبيل، ولم ندر أن ما نسبته للسيد عمر رضي الله عنه أهو مجرد تزوير منك؟ أم هو ضعف في الرواية؟ أم نهي مقيد؟ لأنه رضي الله عنه لا يمنع ما أباحه الشرع أو أذن فيه، إلا لعلةٍ تُقَيِّدُ بأفراد مخصوصة إن كان ذلك.

---

[٢٤٢] فيض القدير (٣/ ٢٧).

[٢٤٣] أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٤٧) والترمذي في سننه (٤/ ٢٤٥).

وعلى كل حال إنك لا تعزو القول لقائله[٢٤٤] ولا النقل لناقله، وهذا من جهة ما يتعلق بالنهي عن لباس المرقعة، وأما من جهة ما يتعلق بركاكة الألفاظ التي ركبت منها هاته الجملة، فهي تستدعي الإعراض عن هذا الاعتراض، ولكن من نعت العاطل، أن لا يدرك الحق من الباطل، فما هذه الجعجعة المعدومة النتيجة؟؟ وما فائدة قولك حتى أن بعض العامة يسمون أبناءهم بُودربالةْ، إن كانت كنية تحتها اسم، وبالأخص أن ما قلته من أن بودرباله معناه صالح، ومن أين أخذت هذا التفسير؟ فيا ما أبعده عن معناه!! ولِمَ لا تقول معناه صاحب المرقعه؟ ثم قلت: إنه من الألقاب القبيحة في الشرع، أو ليس هو من الكنى؟ فما بالك ذكرته لقباً ثم قيدته من كونه قبيحاً في الشرع، فيا لله العجب من قوم يقبحون الأشياء بطبعهم، ثم ينسبون ذلك للشرع، فأي شرع قبح ذلك اللفظ؟ وأي نص في شرعنا نص على كون بُودربالةْ هذا من الألقاب القبيحة؟ ومن أي شئ استفدت قبحه؟ أم من كنية أبي هريرة أم من تكنيته عليه الصلاة والسلام لعلي بن أبى طالب رضي الله عنه بأبي تراب[٢٤٥]؟ وأي فرق بين الهرة والمرقعة والتراب مثلاً؟ حتى كان بعضها من الألفاظ

---

(٢٤٤) إن المعروف من سيرة هذه الطائفة عدم الأمانة العلمية، وهي بتر النصوص المنقولة بما يوافق هواهم، أو الإتيان بهذه النصوص بصيغة التمريض أي بدون ذكر المصدر المنقول منه النص، بل يكتفون بقولهم: يقول طاغوتهم الأكبر كذا وكذا، ويقولون: كذا، ويعتقدون كذا، والقاعدة المعتمدة عند العلماء تقول: إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدعيا فالدليل، فهؤلاء لا صحة في أقوالهم ولا دليل، وهذه كتبهم تملأ الأسواق.

(٢٤٥) كنى النبي ﷺ أبا هريرة بهذه الكنية لهرة كانت مرافقة له، وأما سيدنا علي فقد روى البخاري في صحيحه (٣/ ١٣٥٨) أن رجلا جاء إلى سهل بن سعد فقال: هذا فلان لأمير المدينة يدعو علياً عند المنبر قال: فيقول: ماذا قال؟ يقول له: أبو تراب فضحك قال: والله ما سماه إلا النبي ﷺ، وما كان والله له اسم أحب إليه منه، فاستطعمت الحديث سهلا وقلت يا أبا عباس كيف ذلك؟ قال: دخل عليٌ على فاطمة ثم خرج فاضطجع في المسجد فقال النبي ﷺ: أين بن عمك؟ قالت: في المسجد فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره، وخلص التراب إلى ظهره، فجعل يمسح التراب عن ظهره فيقول: اجلس يا أبا تراب مرتين.

القبيحة؟ ومن الغريب أنك قلت في بودربالة معناه صالح، ثم قلت: إنه من الألفاظ القبيحة، وفي ظني أن بين القبح والصلاح بوناً شاسعاً لا يتحدان في لفظ واحد، ولكنك لو كنت تحترم الشرع لما عجلت في نسبة الأحكام إليه بدون علم، أو لم تستمع قوله عليه الصلاة والسلام: من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماوات والأرض[٢٤٦] وأي شيء يترتب على هذا اللفظ حتى ارتكبت به هذه الجريمة باضطرارك لنسبة قبحه في الشرع؟ ولكن في ظني اقتحمت ذلك لتتوصل به إلى تجريح من لا تخشى الله بتجريحهم، ومن ذلك قولك: "ومما يحكى أن بعضهم قال لصوفي: بعني جبتك فقال له: إذا باع الصياد شبكته فبأي شيء يصيد؟ فإذا نظرت إلى متصوفة زماننا المتصفين بما ذكرنا وجدتهم صيادين، أصحاب شَرَك[٢٤٧] وحبالات، وكثيراً ما يقع في شَرَكهم من ينتسب إلى العلم، كما رأيناه وسمعناه فضلاً عن العامة، والغالب أن العامة لا تقع في مهواتهم إلا بعد وقوع الخاصة فيها، فيتمكنون بتلك النسبة الموهومة من سلب أموال الناس بالباطل، فيصيرون أغنياء بعد أن كانوا فقراء، وكثيراً ما يستندون إلى ذي سلطان فيتوصل كل واحد منهم إلى مقصوده، فبسبب ذلك تتقوى شوكتهم ويظهر سلطانهم، وهذا هو الأمر المقصود من أعمالهم، فهم أشد ضرراً على المسلمين من العدو وأهل الربا، فإن المرابي يدفع قليلاً من المال ليأخذ عنه كثيراً، وقد علمت ما ورد في شأنه من الكتاب والسنة، وشيخ الطريقة لا يدفع شيئاً البتة، ويأخذ أموال الناس بالدين، فمن كانت هاته صفته فكيف يكون من أولياء اله؟؟".

---

[٢٤٦] رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٢).

[٢٤٧] الشَرَك: بفتح الشين والراء شبكة الصيد التي يصاد بها السمك والطير.

قلت: لم استفد من ذكرك هاته الجملة أكثر من علمي بقلة حيائك وعدم مروءتك، ولكن الحياء من الإيمان، ومن لم يستحي من الناس لم يستحي من الله، ألم يبلغك يا هذا ما توعد الله به المغتاب؟؟ ألم ينهك الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ (١٢)﴾ الحجرات أو ليس ذلك من الكبائر؟ روي عن الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: من أكبر الكبائر استطالة الرجل في عرض أخيه[٢٤٨] وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: من آذى مسلماً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله[٢٤٩] أهـ من الجامع الصغير، وفي ظني أنك تعترف

---

(٢٤٨) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٦٩).

(٢٤٩) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٤/ ٦١) وفي المعجم الصغير (١/ ٢٨٤) قال ابن عبد البر في التمهيد (١٢/ ١٧٤): حديث رابع لأبي الزبير مالك عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: أغلقوا الباب وأوكئوا السقاء وخمروا الإناء واكفئوا الإناء وأطفئوا المصباح، فإن الشيطان لا يفتح غلقاً ولا يحل وكاء ولا يكشف إناء، وإن الفويسقة تضرم على الناس بيتهم، هكذا قال يحيى في هذا الحديث: تضرم على الناس بيتهم، وتابعه ابن القاسم وابن وهب وقال ابن بكير: بيوتهم وقال القعنبي: بيتهم أو بيوتهم على الشك والفويسقة؛ الفارة سماها رسول الله ﷺ فاسقة في هذا الحديث وغيره وقال ﷺ خمس فواسق تقتل في الحل والحرم فذكر منهن الفارة، وَ كل من آذى مسلما إذا تابع ذلك وكثر منه وعرف به فهو فاسق والفارة أذاها كثير وأصل الفسق الخروج عن طاعة الله ومن الخروج عن طاعة الله أذى المسلم والفارة مؤذية فلذلك سميت فاسقة وفويسقة والرجل الظالم الفاجر فاسق، والمؤذي بيده ولسانه وفعله وسعيه فاسق قال الله عز وجل ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٥٨)﴾ الأحزاب.

قلت: لقد أبلغ ابن عبد البر رحمه الله في الوصف، فلم يكن أبلغ وصفاً من تشبيه هذا الرجل الذي استطال في أعراض الأولياء، بل وأعراض المؤمنين بما يرضي أسياده من بني إسحاق، بالفارة التي سماها النبي ﷺ بالفويسقة، فهو فاسق بنص القرآن، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)﴾ الحجرات، فمجرد نقله لهذه الأخبار فهو فاسق مردود العدالة ساقط المروءة غير مقبول الشهادة، لأنه يشعل الفتنة فيما بين

بإسلام المتصوفة على كل حال، وإن كان كذلك فما هذه البلوى التي ألجأتك للاستطالة في أعراضهم؟ فشوهتهم بكل صيغة وذكرتهم بكل رذيلة، ولو استثنيت منهم أحداً لكان شفيعاً لك في ما كاتبتُك به، ولكنك عممت فقلت: أن المقصود من أعمالهم التوصل إلى جمع الدنيا وغير هذا مما ذكرتهم به.

أو لم يبلغك زهدهم وتقشفهم وتجافيهم عن الدنيا حتى كانوا حجة على أمثالك[٢٥٠] في العاجل والآجل؟ وهل ترى أن من تمكن حب الدنيا من قلبه، وامتزجت بلبه، يستطيع أن يفطم نفسه عن لذائذ الدنيا في العاجل ليتمكن بها في الأجل؟ وهذا من أبين المحال عند من عَقِلَ، كيف يترك الشيء لأجل أن يتوصل إليه؟؟!! وحتى لو قلنا: أن فعلهم كان لأجل ذلك فافعل أنت مثل فعلهم مخلصاً به لله لتكون قدوةً إن كنت من

المسلمين، وشبهه ابن عبد البر بالفارة، حيث أن الفارة تحمل الفتيلة وهي تتقد حتى تجعلها في السقف فتشعل البيت عليهم نارا وذلك أنها إذا تناولت طرف الفتيلة وفيها النار فلعلها تمر بثياب أو بحطب فتشعل النار فيها فيلتهب البيت على أهله، فخطر هذا الفاسق أشد على المسلمين من خطر الفارة، لأن الفارة قد تحرق بيتاً أو بيتين، وهذا الفاسق يحرق بلسانه وقلمه آلاف البيوت من المسلمين.

(٢٥٠) الواقع يشهد للمؤلف رحمه الله فيما قال، أما زهد الصوفية فهو أشهر من أن يعرف به، وهذه كتب التراجم طافحة بها، ولكن هذه الطائفة جعلت همها الدرهم والدينار، وجعلته معبودها، فمن أراد الواقع فليتصل بنا أريه الحقائق الدامغة التي سيصعق لها، إنهم يوظفون موظفين في كل منطقة ممن اشتهر بإخلاصه لهم، يرسلون إليه بوساطة الملحق الثقافي في السفارة شيكا ليوزعه على عملائه في منطقته، ففي الأردن مثلا لهم عميل في عمان واسمه (...) يوزع الرواتب الشهرية على جماعته التابعين له، وفي الزرقاء كذلك، وفي اربد كذلك، ومن الطريف في هذا المجال؛ أن عميلهم في اربد نعرفه ونعرف نسبه ومكان سكنه، لكنه غير اسم عشيرته الى عشيرة من عشائر نجد ليتزلف لأسياده، ومنهم من اعتزل مشربهم حيث لم يتسلم مسؤولية إدارية، بعد وفاة محدثهم، ومنهم من رفع قضية ضد شيخه في المحكمة لعدم إعطائه نصيبه من عائدات مكتب التحقيق، ومنهم ... ومنهم...

الصادقين، كلا وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين، إني تفرست فيما ذكرته فوجدت ـ والله اعلم ـ أن الحامل لك مجرد حسد، وفيه نوع من اعتراضك على الله في قسمته حيث منحهم ومنعك، وهي قسمة من الله لا مدخل لهم فيها ولا لك.

أو لم تعلم أن عصابة الذاكرين المتصدرين للإرشاد وعدهم الله بمثل ذلك قال تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴿٥٥﴾﴾ النور، وقد صاروا أمراء بعد أن كانوا فقراء والله يرزق من يشاء بغير حساب.

وإننا والله تركنا الدنيا فطلبتنا، وتغفلنا عليها فلحقتنا، ولا زلنا معرضين عنها بقلوبنا، ولا زالت تابعة لأثرنا، فكانت من جملة أتباعنا، وكنتم من جملة أتباعها، ذلك تقدير العزيز العليم، أحببت أم كرهت، ولكن أتمنى على الله أن يتوب عليك، ويغفر لك قبل أن تغرغر في العاجل، لأن الأجل قريب، وما ارتكبته صعيب.

ثم إنك بعدما استوفيت من غيبتك قلت بقصد النصيحة للمسلمين ليتمسكوا بعقيدتك الممقوتة في الذاكرين: "فتنبهوا وتيقظوا ولا تكونوا مثل المغرورين المخدوعين الذين انغمسوا في خابيتهم، فليس كلامنا معهم إلا من وفقه الله منهم بفضله وكرمه، وإنما كلامنا مع من لم ينغمس في خابيتهم المتنجسة الخبيثة".

فأقول: حسبك من هاته الجملة ما أنت متلبس به من الطعن في أعراض الذاكرين، المنتسبين إلى الله عز وجل، وكل ذلك من ضعف الإيمان، وإلا لمنعتك نسبتهم من الطعن في أعراضهم، ولاكتفيت منهم

بالذكر على كل حال، لأنه يشهد لصاحبه بالإيمان كما يشهد الاعتراض على الذاكرين لصاحبه بالنفاق، وكان من حقي أن لا نطيل الكلام مع من هذا وصفه، ولأنه في مثلك، قيل لبعض الحكماء: فلِمَ لا تعظن فلاناً؟ فقال: ذلك على قلبه قفل ضاع مفتاحه، ولكن رجائي في الله لا يعدم الانتفاع مما كتبناه، سواء عاد عليكم أو على غيركم، فمن تقع بيده رسالتنا فلا يمتنع أن يقابل بين القولين، ثم يضع أحد الكتابين احتراماً ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ﴾ (٥٣) يوسف، إنما أبرئ المذهب مما نسبته إليه من الجهالة والضلالة والبطالة، حتى لا يغتر خاليَ الذهن بما اشتملت عليه رسالتكم من الزور، وما ارتكبتموه فيها من الفجور، تغريراً لعباد الله وحطاً لما رفعه الله، ولكن القوافل لا يعوقها نبح الكلاب ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (٨) الصف، ومن تقريرك أنك قلت فيما دلست به: أن من أراد السلامة في دينه ودنياه، فعليه بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما عليه السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم، فهو الطريقة الوحيدة الموصلة إلى الله تعالى، وأن يترك كل ما أحدثه المحدثون" وهذه كلمة حق، وجملة صدق، لكنك أردت بها باطلا، أي تريد بقولك: "ويترك ما أحدثه المحدثون" تعني بهم المتصوفة، وما ألزموه على من أراد الانخراط في سلكهم من أخذ العهد[٢٥١] وصحبة المرشد وغير ذلك، ثم إنك تشير لنفسك أنك

---

[٢٥١] وهي بيعة يأخذها الشيخ المربي على من يريد الانخراط في طريقته، وهي تلقينه التوبة ورد المظالم، ثم ذكر الله تعالى من الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ وكلمة التوحيد وقراء سور معينة من القرآن صباحا ومساءا، وهذه الصيغة أخذها الأشياخ عمن سبقهم بالتلقين بالسند المتصل إلى رسول الله ﷺ من طريق الحسن البصري عن سيدنا علي رضي الله عنهم أجمعين، وقد اجمعت الأمة خلفاً عن سلف عن صحة أخذ العهد وصحبة أشياخ التربية حتى بات الأمر إجماعاً عند جميع المسلمين المعتبرين.

المتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ المتخلق بأخلاق السلف قولاً وفعلاً، وشتان ما بين الفريقين كما بين الشك واليقين، وها أنا أجلو لك السحاب لتستنصف من نفسك إن كنت من أولي الألباب، فأقول: بالله عليك ما هي معرفتك في كتاب الله؟ والحالة أنه قال فيه عليه الصلاة والسلام: إن للقران ظاهراً وباطناً وحداً ومطلعا[٢٥٢] وفي رواية أخرى: إن لكل آية ظاهرا وباطنا وحداً ومطلعاً إلى سبعة أبطن وإلى سبعين، فهل حصلت على شيء من هاته الأبطن، كلا!! فإنك لم تستوعب ظاهره، وأين أنت من باطنه وحده ومطلعه؟؟ وأين فهمك من فهم الصحابة من كتاب الله، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: لو قلت لكم ما أعلم من تفسير قوله تعالى: ﴿ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ⑫ ﴾ الطلاق، لرجمتموني أو لقلتم أني كافر، نقله الشعراني في اليواقيت والجواهر[٢٥٣].

إني أقول: إن ما فاتك من بعض آيات القرآن أكثر مما حصلته من جميع القرآن، وإلى ذلك مرمى خواص المتصوفة الذين أنت من أعدائهم، وهذا بعض ما يتعلق بكتاب الله، وأما ما يتعلق بسنة رسول الله فأقول: إن السنة هي عبارة عما كان عليه ﷺ من جهة أقواله وأفعاله وأحواله، ومن جملتها أنه كان نطقه حكمة، وصمته فكرة، ونظره عبرة، وفعله طاعة، وأما حاله فهو مع الله في كل حال يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه، وأين أنت من هذه الأخلاق الحسان؟؟ وهل تظن أن السنة مجرد قلقلة باللسان؟؟ أم هي عبارة عن خشونة الثوب ورقته؟؟ كلا!! إنما هي عبارة عن متابعته عليه الصلاة والسلام في أقواله وأفعاله وأحواله، أما

---

[٢٥٢] رواه ابن حبان في صحيحه برقم (٧٤) وغيره بسند صحيح.

[٢٥٣] (١/ ٤٦) دار إحياء التراث العربي.

الأقوال والأفعال فقد يتسنى التلبس ببعضها والتظاهر بشكلها، وأما الأحوال فلا تكتسب إلا بصحبة أهل الحال المشار إليهم بقوله عليه الصلاة والسلام: جالسوا من تذكركم بالله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه ويرغبكم في الآخرة عمله(٢٥٤) وبالجملة إن السنة عبارة عن أخلاق سنيّة وأحوال نبوية، فهي مثل المغناطيس لمن وُجدت فيه، تجذب إليها بالخاصية كما كانت أخلاق النبي ﷺ تجذب من حاذاه، فيتخلق ببعض أخلاقه كل من صحبه بلا شعور(٢٥٥) فلو كان لك نصيب لهذبت الأتباع

---

(٢٥٤) هذا الكلام منقول عن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، روى البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٥٧) وابن أبي عاصم في الزهد (١/ ٥٤) وابن المبارك في الزهد باب: من مواعظ نبي الله عيسى عليه السلام: حدثنا جعفر ابو غالب قال بلغنا ان هذا الكلام في وصية عيسى بن مريم عليه السلام يا معشر الحواريين تحببوا الى الله عز وجل ببغض اهل المعاصي وتقربوا اليه بالمقت لهم والتمسوا رضاه بسخطهم قالوا يا نبي الله فمن نجالس قال: جالسوا من يزيد في أعمالكم منطقة ومن تذكركم بالله رؤيته ويزهدكم في دنياكم عمله.

(٢٥٥) ويؤيد ما أخبر به المؤلف رحمه الله تعالى رحمة واسعة ما رواه مسلم في صحيحه ت محمد فؤاد عبد الباقي (٤/ ٢١٠٦) عن حنظلة الأسيدي (وكان من كتاب رسول الله ﷺ) قال: لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة قال: سبحان الله! ما تقول ؟ قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرا قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا فقال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده، إنكم لو تدومون على ما تكونون عليه عندي وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات.

فهذا سيدنا حنظلة التميمي رضي الله عنه اتهم نفسه بالنفاق، لأنه كان إذا جلس عند النبي ﷺ تعتريه حالة إيمانية فيعاين الجنة والنار وأمور الآخرة، فإذا خرج من عند النبي ﷺ إلى أهله فيباسطهم، ويلاعب أبناءه الصغار ويعمل ببستان نخيله يفقد هذا الحال فلا يجده، ثم يذهب مرة أخرى عند النبي ﷺ فيصيبه الحال الأول، ثم يعود إلى بيته وبستانه فيفقده، فأخذ يتفكر في أمره، فمرة وهو جالس على باب بستانه متفكرا بحاله اتهم نفسه بالنفاق، ثم أخذ يبكي على نفسه، فمر به سيدنا أبو بكر رضي الله عنه، فسأله عن سبب البكاء فشرح له حالته هذه فقال أبو بكر: كلنا ذاك الرجل، إن كان هذا نفاقا فأنا كذلك، إذهب بنا إلى الطبيب، فذهبا إلى رسول الله ﷺ

بأخلاقك، ودربتهم بأطرافك، ونورت بواطنهم بإشراقك، حتى تكون الحال منك في التدريس كافية، لأنها أفصح من لسان المقال عند أهل الحال، ولكن كل شيء يكتسب من أهله، فلو جالست أهل التصوف أقل وقت من الزمان بصفة العبودية الخاصة التي هي الافتقار اللازم المستفاد من قوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝١٥﴾ فاطر، لأثرت فيك موعظتهم، وسرت فيك إشارتهم، وانقلبت منك الصفات ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ ۝٧٠﴾ الفرقان، وما اكتسبوا تلك الأحوال السنية إلا بممارستهم السنة النبوية، ونهجهم نهج السلف الصالح، حتى كانوا في كل أمة سلفاً صالحاً لمن بعدهم، قال الشيخ أبو مدين[٢٥٦] رضي الله عنه في مدحهم:

قوم كرام السجايا حيثما نزلوا   يبقى المكان على آثارهم عطرا

فرأى النبي آثار الحزن والبكاء على حنظلة فسأله عن سبب بكاله وحزنه فشرح له حاله، فقال عليه الصلاة والسلام: إن هذا مدد النبوة حيث إنك إذا جالستني يسري ما في باطني إلى ما في باطنك فيسري معك هذا الحال المكتسب مني لا منك، ولو أن هذا الحال يدوم معك لرأيت الملائكة بأم عينك وهي تصافحك في كل مكان، ثم قال له: إن فاتتك مجالستي فاذكر الله تعالى حتى تعوض ما فاتك من النور الذي تكتسبه مني.

لذلك جاءت الآيات والأحاديث الكثيرة ترغب في مجالسة الصالحين، وتنفر من عكس ذلك، لأن الصاحب ساحب، والمرء على دين خليله، وقيل في المثل: قل لي من تجالس أقل لك من انت، وقالوا في المثل: الناس على دين ملوكهم، لأن الإنسان مجبول على حب تقليد الأكابر، وهكذا كل إمام طائفة تجد أتباعه مقلدين له في كل شيء حتى اللباس، فلذلك أدب الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام وجبله على مكارم الأخلاق والصفات حتى يقتدى به، فهذا المنكر لو أنه كان على أخلاق النبوة لهذب أتباعه بحاله لا بمقاله، فلما كان أتباعه أبعد ما يكون عن الأخلاق علمنا أن شيخهم كذلك، فمن كان بعيداً عن الأخلاق النبوية فكيف يأمر من أحسن منه حالاً باتباعها؟؟

(٢٥٦) ديوان الغوث ابي مدين ص٥٨.

ثم إني أستفسرك: هل تظن أن ما عليه باطنك هو ما كانت عليه أصحاب رسول الله في المعارف الإلهية والإسرار الغيبية؟ وإذاً لضاعت الخصوصية في الأمة المحمدية إن كان المكنون من سر الوحي هو ما تداولته أفكار العموم، وحينئذ لا فائدة في الانقطاع إلى الله عز وجل والتوجه نحوه، وهذا لا يقول به سني، إنما الكل يعلم أنما انطوت عليه أسرار الخصوص في الإلهيات هو غير المتداول للعموم، ولهذا قال زين العابدين[٢٥٧] رضي الله عنه:

يا رُبَّ جوهر علم لو أبوح به لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولا ستحل رجال مسلمون دمي يـرون أقبح ما يأتونه حسنا

ومثل هذا ما قاله سلطان العاشقين رضي الله عنه:

وثم وراءَ النَّقل علمٌ يدق عن مدارك غايات العقول السليمةِ
تلقيته مني وعني أخذته ونفسي من عطائي كانت ممدتي

ولولا هذا ومثله لما احتيج لمرشد في طريق الله، الذي قلت أنت بنفيه حسبما يستفاد من قولك حيث قلت: أما قولهم من ليس له شيخ فالشيطان شيخهُ المراد بالشيخ العالم العارف، الذي يعلِّمُ الناسَ أمورَ ديانتهم حتى لا يأخذ العلم عن نفسه برأيه، وليس المراد بالشيخ شيخ الطريقة الجاهل، الذي أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: يكون في آخر الزمان عُبَّادٌ جهال، وقراء فسقة[٢٥٨].

فأقول: هذا من الزور، هذا في أقصى غاية التعمق أن قلت: المراد بقولهم: مَن ليس له شيخ فالشيطان شيخهُ يعنون به الشيخ المدَرِّس، لأن

---

[٢٥٧] انظر تخريجهما في هامش ١٢٢.

[٢٥٨] رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٥١) عن أنس.

الكل يشهد على بطلان قولك، حتى المدَرِّس نفسه يقول لك: يعنون بالشيخ؛ الشيخ المرشد لمعرفة الله الخاصة، الذي ينتفع المريد بصحبته، ويتهذب بأخلاقه، فيستنار باطنه بإشراقه، الذي يجمع المريد على الله بنظرته، الشيخ الذي يُخرِج المريدَ من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، ومن نور الإيمان إلى سر الإيقان، ومن سر الإيقان إلى وقوع العيان، ومن وقوع العيان إلى فقد الأعيان، وهناك يكون الحق سمعه وبصره ويده ورجله، كما في الصحيح، وهي غاية في القرب، يغيب فيها العبد عن القرب في عظيم القرب، وقد يعبرون عن هذه الحالة بالطي، وبالفناء، وبالتلاشي، وبالاضمحلال، وغير هذا من اصطلاحاتهم، وهي ثمرة التصوف المجهولة عندك، وبها عرَّف التصوفَ الإمامُ الجنيدُ رضي الله عنه لما سئل عنه فقال: "التصوف هو؛ أن يميتك الحق عنك ويحييك به" فقل لي بالله عليك: هل لك نصيب مما ذكرناه؟ فأنت في تدريج لأتباعك فيما قدمناه من المقامات، فإن كنت كذلك فتكون أنت المقصود من قولهم: "من ليس له شيخ فالشيطان شيخه" ولكن في ظني بعدك من هذا يقابل قربك من ضده، وهو الجحود المحض، وهذا هو الذي أهمنا من أمرك، وأما لو كنت تنكر من هذا نعته لكان الأمر أسهل فيقال لك: جِدْ صِدْقاً تجدْ مرشداً، وإن أردنا نصحك بالخصوص قلنا لك: اصحبنا برهة من الزمان ثم اعترض، وإن قلت بعدم احتياج المتضلع في الظواهر لصحبة مَن يرشده فيما خفي عنه من المغيبات، قلنا: قصة موسى مع الخضر عليهما السلام حجة عليك وعلى أمثالك، وفيما جمعناه كفاية لمن اهتدى ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾ الأحقاف.

انتهى ما أملاه علينا الأستاذ الأكرم المشهور بتلقين الاسم الأعظم، مولانا العارف بالله والدال عليه، الشيخ الأكبر سيدي أحمد بن مصطفى بن عليوة المستغاني رضي الله عنه وأرضاه، وأطال بقاءه ونفعنا والمسلمين به آمين.

١. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩ م.
٢. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، دار إحياء التراث.
٣. أحكام القرآن، محمد بن عبد الله الأندلسي (ابن العربي) دار الكتب العلمية.
٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزأبادي.
٦. تفسير البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف.
٧. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب لعبد الله بن عباس جمعهُ وصنفه محمد بن يعقوب الفيروز آبادي.
٨. صحيح البخاري، الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
٩. صحيح مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
١٠. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، دار الفكر.
١١. سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨ م.

١٢. سنن النسائي، المجتبى من السنن، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ٢، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.
١٣. السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٤١١ – ١٩٩١.
١٤. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، دار الفكر – بيروت.
١٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
١٦. الموطأ، مالك بن أنس، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ط٢، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
١٧. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١ – ١٩٩٠.
١٨. المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، مكتبة الرشد– الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.
١٩. سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م.
٢٠. السنن الصغرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
٢١. مسند الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٢. سنن سعيد بن منصور، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني.

٢٣. البحر الزخار ـ مسند البزار، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ١٤٠٩ هـ ط١.
٢٤. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مكتبة العلوم والحكم – الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م.
٢٥. المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.
٢٦. المعجم الصغير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، المكتب الإسلامي دار عمار، بيروت، عمان، ط١، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
٢٧. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان أبو حاتم البُستي (المتوفى، ٣٥٤هـ)، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
٢٨. صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م.
٢٩. مسند الشهاب، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م.
٣٠. مسند الفردوس، أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه.
٣١. الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار البشائر الإسلامية بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.
٣٢. المنتقى من السنن المسندة، عبد الله بن علي بن الجارود أبو محمد النيسابوري، مؤسسة الكتاب الثقافية – بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٣٣. شرح معاني الآثار، أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة أبو جعفر الطحاوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.
٣٤. سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
٣٥. سنن الدارقطني، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م.
٣٦. مسند أبي يعلى الموصلي، مركز التراث للبرمجيات، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧م.
٣٧. مسند الحميدي، عبدالله بن الزبير أبو بكر الحميدي، دار الكتب العلمية، مكتبة المتنبي، بيروت، القاهرة.
٣٨. مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي، دار المعرفة – بيروت.
٣٩. الأحاديث المختارة مما ليس في الصحيحين أو أحدهما، الضياء المقدسي.
٤٠. شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
٤١. المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي دار ابن حزم، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
٤٢. جمع الجوامع أو الجامع الكبير للسيوطي.
٤٣. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري (المتوفى، ٩٧٥هـ).

٤٤. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، شهاب الدين البوصيرى، دار الجنان ـ بيروت.
٤٥. السيرة الحلبية، علي بن برهان الدين الحلبي، المكتبة الإسلامية، بيروت.
٤٦. السيرة النبوية، محمد بن إسحاق.
٤٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري، احمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٤٨. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي.
٤٩. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
٥٠. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى، ٤٦٣هـ)، مؤسسة قرطبة.
٥١. عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.
٥٢. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلاء محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط٢، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م.
٥٣. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي القشيري المعروف بابن دقيق العيد، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م.
٥٤. فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

٥٥. شرح معاني الآثار، أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة أبو جعفر الطحاوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.
٥٦. شرح سنن أبي داود، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بدر الدين العينى (المتوفى، ٨٥٥ هـ)، مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٥٧. تاريخ ابن معين، رواية الدوري، يحيى بن معين أبو زكريا، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط١، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٥٨. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد البصري الزهري، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨ م.
٥٩. تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.
٦٠. تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار الكتاب العربي – بيروت.
٦١. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.
٦٢. تاريخ أصبهان، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى، ٤٣٠هـ).
٦٣. تاريخ جرجان، حمزة بن يوسف أبو القاسم الجرجاني، عالم الكتب– بيروت، ط٣، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
٦٤. تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٥. مختصر تاريخ دمشق، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (المتوفى، ٧١١هـ).
٦٦. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي.
٦٧. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر.
٦٨. المجروحين، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، دار الوعي، حلب.
٦٩. الضعفاء الكبير، أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي، دار المكتبة العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
٧٠. الكامل في ضعفاء الرجال، عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م .
٧١. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي.
٧٢. لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت، ط٣، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
٧٣. الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ابن حجر العسقلاني.
٧٤. طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة.
٧٥. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون.
٧٦. رفع الإصر عن قضاة مصر، ابن حجر العسقلاني.
٧٧. طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي.
٧٨. الطبقات السنية في تراجم الحنفية، التقي الغزي.
٧٩. الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، النجم الغزي.
٨٠. الطبقات الكبرى، عبد الوهاب الشعراني، المكتبة الشعبية.
٨١. التدوين في أخبار قزوين، الرافعي.
٨٢. الأعلام للزركلي.

٨٣. صفة الصفوة، عبد الرحمن بن علي بن محمد شهير بـ ابن الجوزي، دار المعرفة – بيروت ط٢، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٨٤. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني.
٨٥. إيقاظ الهمم شرح متن الحكم، ابن عجيبة، دار المعرفة، بيروت.
٨٦. الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن القشيري.
٨٧. الفتوحات المكية، محمد بن علي الحاتمي شهير بـ ابن عربي، دار صادر، بيروت.
٨٨. المدخل، محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (المتوفى، ٧٣٧هـ).
٨٩. إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة، بيروت.
٩٠. نتيجة الفكر في الجهر بالذكر، السيوطي، وهو ضمن الحاوي للفتاوي.
٩١. المبسوط، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى، ٤٨٣هـ).
٩٢. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني علاء الدين (المتوفى، ٥٨٧هـ).
٩٣. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن إبراهيم بن نجيم، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى، ٩٧٠هـ).
٩٤. رد المحتار على الدر المختار، شرح تنوير الابصار، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر (المتوفى، ١٢٥٢هـ).
٩٥. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي (المتوفى، ١١٢٦هـ).

٩٦. مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني (المتوفى، ٩٥٤هـ)، دار عالم الكتب، طبعة خاصة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.
٩٧. الفتاوى الفقهية الكبرى [شافعي]، شهاب الدين أحمد بن محمد، ابن حجر الهيتمي (المتوفى، ٩٧٤هـ).
٩٨. منار السبيل في شرح الدليل، ابن ضويان، إبراهيم بن محمد بن سالم (المتوفى، ١٣٥٣هـ)، المكتب الإسلامي، الطبعة السابعة، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩م.
٩٩. الروض المُربِع شرح زاد المستنقع في اختصار المقنع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي (المتوفى، ١٠٥١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
١٠٠. شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي (المتوفى، ١٠٥١هـ).
١٠١. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
١٠٢. الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى، ٧٩٠هـ)، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
١٠٣. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى، ٦٦٠هـ)، دار المعارف بيروت، لبنان.

١٠٤. المستصفى من علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى، ٥٠٥هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
١٠٥. الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب.
١٠٦. مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي.
١٠٧. البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، أحمد بن قاسم العنسي الصنعاني، زيدية، مكتبة اليمن، من كتب الشيعة.
١٠٨. الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، عبد الوهاب الشعراني، مكتبة المعارف.
١٠٩. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيمة الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
١١٠. سيرة النبي لابن هشام محمد بن عبد الملك، دار الفكر، بيروت.
١١١. شرح جوهرة التوحيد، إبراهيم الباجوري، دار الكتب العلمية، بيروت.
١١٢. كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب، محسن الأمين الحسيني.
١١٣. الترابط الجذري بين أهل الكتاب والمجسمة في العقيدة والفكر والسلوك، عبد الله محمد عكور، عالم الكتب الحديث، ط١، اربد، الأردن، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
١١٤. الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، محي الدين النووي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
١١٥. اللمع، أبو نصر السراج الطوسي، مكتبة المثنى، بغداد.
١١٦. عوارف المعارف، عبد القاهر بن عبد الله السهروردي، دار الكتاب العربي.

١١٧. الفرق بين الفِرَق، عبد القاهر البغدادي، المكتبة العصرية، بيروت.
١١٨. الأم، الشافعي محمد بن إدريس، دار المعرفة، بيروت.
١١٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢ هـ.
١٢٠. الزهد، هناد بن السري الكوفي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
١٢١. مفتاح الجنة شرح عقيدة أهل السنة، محمد بن الهاشمي التلمساني، مطبعة الترقي، دمشق، ط١، ١٣٧٩هـ ١٩٦٩م.
١٢٢. الوصايا، محي الدين محمد بن علي الحاتمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
١٢٣. المعيار المُعرب والجامع المغرب من فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب، احمد بن يحي الونشريسي.
١٢٤. نخبة الفِكَر في مصطلح أهل الأثر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى، ٨٥٢ هـ)، دار إحياء التراث العرب، بيروت.
١٢٥. ديوان أبي مدين المسمى بالمنن الربانية الوهبية الشعيبية، شعيب بن الحسين الأنصاري الإشبيلي الأندلسي، ط١، ١٩٣٨م، مطبعة الترقي، دمشق.
١٢٦. شرح نخبة الفكَر، مُلاّ علي القاري.
١٢٧. اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، عبد الوهاب الشعراني، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

١٢٨. الاستقصاء لآيات الإستواء، عبد الله محمد عكور، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
١٢٩. نصرة الفقير في الرد على أبي حسن الصغير، محمد بن يوسف السنوسي، مخطوط.
١٣٠. شرح الصاوي على جوهرة التوحيد، احمد بن محمد الصاوي المالكي، تحقيق د. عبدالفتاح البزم، دار ابن كثير، دمشق.
١٣١. سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس في من أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، محمد بن جعفر الكتاني.
١٣٢. النور المبين على المرشد المعين، محمد بن يوسف المعروف بالكافي، ط١، ١٣٤١/ ١٩٣١م، دار إحياء الكتب العربية.
١٣٣. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٥٠هـ.
١٣٤. عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، لابن العربي المالكي، المطبعة الأزهرية، ١٣٥٠هـ.
١٣٥. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض اليحصبي.
١٣٦. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، شهاب الدين احمد بن القسطلاني، دار الكتاب العربي، لبنان.
١٣٧. عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.
١٣٨. المبسوط، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة.
١٣٩. حياة الحيوان للدميري كمال الدين محمد بن موسى.
١٤٠. كشف الخفا ومزيل الإلباس عما أشكل من الحديث على ألسنة الناس للعجلوني.

١٤١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي- بيروت، ١٤٠٧ هـ.
١٤٢. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن احمد الدسوقي.
١٤٣. سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
١٤٤. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.
١٤٥. كشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث، إبراهيم بن محمد بن سبط ابن العجمي الطرابلسي، عالم الكتب، ط١، مكتبة النهضة العربية - بيروت، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.
١٤٦. المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، القاري، على بن سلطان الهروي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية.
١٤٧. السيرة النوية لابن هشام.
١٤٨. فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.
١٤٩. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة، نور الدين الهيثمي، تحقيق د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية- المدينة المنورة، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.